وقال بعض الحكماء: عز النزاهة أحب إلي من فرح الفائدة، والصبر على العسرة أحب إلي
من احتمال المنة. وقال أبو ذؤيب الهذلي:
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع
وقال سالم بن وامضة:
غنى النفس ما يكفيك في سد فاقة فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا
وقال أبو هلال العسكري:
ألا إن القناعة خير مال لذي كرمٍ يروح بغير مال
وإن يصبر فإن الصبر أولى بمن عثرت به نوب الليالي
تجمل إن بليت بسوء حالٍ فإن من التجمل حسن حال
الشكر والثناء
قال الله تبارك وتعالى: "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم" فالشكر مما يوجب الزيادة.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يزهدك في المعروف من لا يشكرك عليه، فقد
يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدرك من شكر الشاكر، أكثر مما أضاع
الكافر، "والله يحب المحسنين".
ومما تعزيه الفرس إلى إسفنديار: الشكر أفضل من النعمة لأنه يبقى وتلك تفنى. وقال
موسى بن جعفر: المعروف لا يفكه إلا المكأفاة أو الشكر، وقال: قلة الشكر تزهد في
اصطناع المعروف.
وقيل: إذا قصرت يدك عن المكأفاة، فليطل لسانك بالشكر.
وقيل: للشكر ثلاث منازل:
ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكأفاة اليد. قال الشاعر:
أفادتكما النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا
وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب:
حلفت برب العيس تهوي بركبها إلى حرمٍ ما عنه للناس معدل
لما يبلغ الإنعام في النفع غاية على المرء إلا مبلغ الشكر أفضل
ولا بلغت أيدي المنيلين بسطةً من الطول إلا بسطة الشكر أطول
ولا ثقلت في الوزن أعباء منةٍ على المرء إلا منة الشكر أثقل
فمن شكر المعروف يوما فقد أتى أخا العرف من حسن المكأفاة من عل
وقال رجل من غطفان:
الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً به الزيادة عند الله والناس
وقال أبو بجيلة:

شكرتك إن الشكر حبلٌ من التقي وما كل من أوليته نعمةً يقضي
ونبهت لي ذكرى وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض
وقال آخر:
سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
وقال أبو تمام:
كم نعمةٍ منك تسربلتها كأنها طرة بردٍ قشيب
من اللواتي إن ونى شاكر قامت لمسديها مقام الخطيب
وقال أبو عيينة بن محمد بن أبي عتبة المهلبي:
ياذا اليمينين قد أوليتني مناً تترى هي الغاية القصوى من المنن
ولست أسطيع من شكرٍ أجيء به إلا استطاعة ذي جسم وذي بدن
لو كنت اعرف فوق الشكر منزلة أوفى من الشكر عند الله في الثمن
أخلصتها لك من قلبي مهذبةً حذواً على مثل ما أوليت من حسن
قالوا وأجود ما قيل في عظم النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح ابن
إسماعيل:
سعيت ابتغاء الشكر فيما صنعت لي فقصرت مغلوبا وإني لشاكر
لأنك توليني الجميل بداهةً وأنت لما استكثرت من ذاك حاقر
فأرجع مغبوطا وترجع بالتي لها أولٌ في المكرمات وآخر
وقال دعبل:
هجرتك لا عن جفوةٍ وملالة ولا لقليً أبطأت عنك أبا بكر
ولكنني لما رأيتك راغباً فأفرطت في بري عجزت عن الشكر
فملآن لا آتيك إلا تعذراً أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر
وقال البحتري:
هاتيك أخلاق إسماعيل في تعبٍ من العلا والعلا منهن في تعب
أبث شكري فأمسى منك في نصبٍ أقصر فمالي في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلا لا يقول له شكري ولو كان يسديه إلي أبى
لما سألتك وافاني نداك علي أضعاف شكري فلم أظفر ولم أخب

وقال أيضا:
إني هجرتك إذ هجرتك وحشةً لا العود يذهبهما ولا الإبداء
أخجلتني بندي يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالجود حتى إنني متخوفٌ أن لا يكون لقاء
صلةٌ غدت للناس وهي قطيعةٌ عجباً وبرُ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعرٍ سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبدا كما تمت لك النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيد بي وتظل تحسدني بك الشعراء
وقال الحسن بن هانيء:
قد قلت للعباس معتذراً من عظم شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتني نعماً أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدين إلي عارفةً حتى أقوم بشكرها سلفاد
وقال الحسين بن الضحاك للواثق من أبيات:
إذا كنت من جدواك في كل نعمةٍ فلا كنت إن لم أفن عمري بشكركا
وقال البحتري:
إذا أنا لم أشكر لنعماك جاهداً فلا نلت نعمي بعدها توجب الشكرا
وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:
إني لشاكر أمسه ووليه في يوه ومؤملٌ عنه غدا
وقال آخر:
وكيف أنساك لا نعماك واحدة عندي ولا بالذي أوليت من قدم
وقال عبد الأعلى بن حماد: دخلن على المتوكل، فقال لي: قد هممنا أن نصلك، فتدافعت
الأمور، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال: من لم يشكر
للهمة، لم يشكر للنعمة، وأنشدته قول الباهلي:
لأشكرنك معروفا هممت به إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ فالشيء بالقدر المحتوم مصروف
وقال ابن الرومي:
كم من يدٍ بيضاء قد أسديتها تثني إليك عنان كل وداد
شكر الإله صنائعاً أوليتها سلكت مع الأرواح في الأجساد
وقال آخر:
وأحسن ما قال امرؤ فيك مدحة تلاقت عليها منةٌ وقبول
وشكرٌ كأن الشمس تعني بنشره ففي كل أرض مخبرٌ ورسول
ومن كلام الحسن بن وهب: من شكر الله على درجة رفعته إليها، أو ثروة أفدته إياها،

فإن شكري لك على مهجة أحييتها، وحشاشة أبقيتها، ورمق أمسكته، وقمت بين التلف
وبينه، ولكل نعمة من نعم الدنيا حد ينتهي إليه، ومدًى توقف عليه، وغاية من الشكر
يسمو إليها الطرف، خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف، وطالت الشكر، وتجاوزت كل
قدر، وأتت من وراء كل غاية، وردت عنا كيد العدو، وأرغمت أنف الحسود، نلجأ منها
إلى ظل ظليل، وكنفٍ كريم، فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغ جهد المجهود.
وقال الشريف الرضى:

ألبستني نعما على نعمٍ وفعت لي علما على علم
وعلوت بي حتى مشيتُ على بسطٍ من الأعناق والقمم
فلأشكرن يديك ما شكرت خضر الرياض مصانع الديم
فالحمد يبقى ذكر كل فتًى ويبين قدر مواقع الكرك
والشكر مهرٌ للصنيعة إن طلبت مهور عقائل النعم

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي:

سأشكر نعماك التي انبسطت بها يدي ولساني فهو بالمجد ينطق
وأثني بما أوليتني من صنيعةٍ ومن منةٍ تغدو على وتطرق
وكل امريء يرجو نداك موفقٌ وكل امريءٍ عليك مصدق

وقال ابن رشيق القيرواني:

خذ ثناءً عليك غب الأيادي كثناء الربى على الأمطار
سقط الشكر وهو موجب نعما ك سقوط الأنواء بالأثمار

ومن المنعمين من رأى أن الشكر بإظهار النعمة، أبلغ منه بالنطق باللسان، وعاقب على
ذلك بالحرمان.
فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري يسنده إلى العتبي قال:
أراد جعفر بن يحيى حاجة
كان طريقه إليها على باب الأصمعي، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف دينار وقال: إني
سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي، ثم سيحدثني ويضحكني، فإذا ضحكت، فضع الكيس بين
يديه، فلما رجع، ودخل إليه، رأى حباً مكسور الرأس، وجرةً مكسورة العنق، وقصعة
مشعبة، وجفنة أعشارا، ورآه على مصلًى بالٍ، وعليه برنكان أجرد، فغمز غلامه أن لا
يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئا مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده فلم
يتبسم، ثم خرج، فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظلم، ومن زرع السبخة حصد

الفقر، إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حلفت بنشره له باللسان، وأين
يقع مديح اللسان من آثار العيان؟ إن اللسان قد يكذب، والحال لا يكذب، ولله در نصيب
حيث يقول:
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
ثم قال: أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز من زهير لآل سنان؟
وقالت الحكماء: لسان الحال، أصدق من لسان الشكوى.
وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال:
حالي تبوح بما أوليت من حسنٍ فكل ما تدعيه غير مردود
كلي هجاء وقتلي لا يحل لكم فما يداويكم مني سوى الجود
وقالوا: شهادات الأحوال، أعدل من شهادات الرجال.
الوعد والإنجاز
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "وعد المؤمن كأخذٍ باليد". وقال
الحسن بن علي رضي الله عنهما: الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواءه.
ومن كلامه: المسئول حرٌ حتى يعد، ومستترٌ بالوعد حتى ينجز.
وقال الزهري: حقيق على من أزهر بالوعد، أن يثمر بالفعل.
وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال: سألت الفضل بن سهلٍ حاجة، فقال: أشرفك اليوم
بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعت يحيى بن خالد يقول: المواعيد شبكة من
شباك الكرام، يصيدون بها محامد الأحرار، ولو كان المعطي لا يعد، لارتفعت مفاخر إنجاز
الوعد، ونقص فضل صدق المقال.
وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلي معروفا، حتى
تعدني، فإنه لم يأتني منك سيب على غير وعد، إلا هان علي قدره، وقل مني شكره، فقال
له هشام: لئن قلت ذلك، لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني: أنجع المعروف في القلوب،
وأبرده على الأكباد، معروف منتظر من وعد لا يكدر بالمطل.
وكان يحيى بن خالد لا يقضي حاجةً إلا بوعد.
وقال أعرابية لرجل: مالك تعطي ولا تعد، فقال: مالك والوعد؟ قالت ينفسح به البصر،
وينشر فيه الأمل، وتطيب بذكره النفس، ويرخي به العيش، وتربح به المدح بالوفاء.
قيل: كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال: عده عني قضاءها، قال:

وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة؟ فقال يحيى: هذا قول من لا يعرف
موضع الصنائع من القلوب، إن الحاجة إن لم لتقدمها بوعد ينتظر به نجحها، لم تتجاذب
الأنفس بسرورها، ولم تتلذذ بتأميلها، وإن الوعد تطعم، والإنجاز طعام، وليس من فاجأه
طعام، كمن وجد رائحته، وتمطق له وتطعمه، ثم تطعمه، فدع الحاجة تحتم بالوعد، ليكون
لها عند المصطنع إليه حسن موقع، ولطف محل.
وقال عيسى بن ماهان: إني أحب أن أهب بلا وعد، وأحب أن أعد، لأخرج من جملة
المخلفين، وأدخل في عدد الوافين، ويؤثر عني كرم المنجزين، فإن من سبق فعله وعده،
وصف بكرم فرد، وسقط عنه جميع ما ذكرت.
قال ذكر العباس المأمون فقال: إنه ألقح معروفه عندي بالوعد، ونتجه بالنجح، وأرضعه
بالزيادة، وشيبه بالتعهد، وهرمه باستتمامه من جهاته، وهنأه بترك الامتنان به.
وشكا رجل جعفر بن يحيى لأبيه: أنه وعد وعدا ومطله به، فوقع: يا بني، أنتم معاقل
الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى، فكونوا سواءً في الأقوال والأفعال، فإن الحر،
يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته، فإن أخفق أمله، كان سببا لذمه واتهامه وسوء
ظنه، حتى يواري قبح ذلك حسن يقينه، فأنجز الوعد، وإلا فأقصر القول، فإنه أعذر
والسلام.
قال: كلم المأمون في الحسين بن الضحاك الخليع أن يرد عليه رزقه، فقال: أليس هو القائل في
الأمين:

فلا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

فما زالوا يتلطفون معه في القول، إلى أن أذن له أن ينشده، فأنشده:

أبن لي فإني قد ظمئت إلى الوعد، متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من صد الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
فما لي شفيعٌ عند حسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالود
أيبخل فرد الحسن فرد صفاته علي وقد أفردته بهوى وحدي
رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله أعلم بالعبد

فقال له المأمون: هذه بتلك، وقد عفونا عنك فقال: يا أمير المؤمنين، فأتبع عفوك إحسانك،
فأمر برد أرزاقه عليه، وكانت فيكل شهر خمسمائة دينارٍ، فقال المأمون: لولا أني نويت عفوا
عنه، وجعلت ذلك وعدا له من قبل، ما فعلته، وإنما ذكر الوعد في تشبيه يذكرنيه.
وقال بعض ملوك العجم: البخل بعد الوعد، يضعف قبحه على البخل قبله، فما قولك في
أمر، البخل أحسن منه؟
وقال بعض الشعراء:

ولي منك موعودٌ طلبت نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف الدهر موعدا
وعودتني أن لا تزال تظلني يدٌ منك قد قدمت من قبلها يدا
فلو أن مجدا أو ندىً أو فضيلة تخلد شيئا كنت أنت المخلدا

وقال بشار:

وعد الكريم يحث نائله كالغيث يسبق رعده مطره

وقال ابن الرومي:

يتخطى العداة عمدا إلى البذ ل كسح الحيا بلا إيماض

الشفاعة
قال الله عز وجل: "من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيبٌ منها".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله
عن عمره، فيقول له: جعلت لك جاها، فهل نصرت به مظلوما، أو قمعت به ظالما، أو
أعنت به مكروبا"؟ وقال صلى الله عليه وسلم: "أفضل الصدقة أن تيعن بجهك من لا
جاه له". وقال: "الخلق عيال الله، فأحبهم إليه، أنفعهم لعياله".
وقال: "الشفيع جناح
الطلب".
وقيل: قصد ابن السماك الواعظ رجلا من حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيها، فقال ابن
السماك: إني أتيتك في حاجةٍ، وأن الطالب والمطلوب إليه عزيزان إن قضيت الحاجة،
وذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عز البذل، على ذل المنع، واختر لي عز النجح، على ذل
الرد، فقضي حاجته.
قال أبو تمام:

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك: إن الناس يتوسلون إليك بغيرك، يسألون معروفك، ويشكرون
غيرك، وأنا أتوسل إليك بك، ليكون شكري لك لا لغيرك.

قال بعض الشعراء:
إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعةٌ فلا خير في ود ويكون بشافع
الاعتذار والاستعطاف
رأيت جماعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الاعتذار والاستعطاف
بالمدح، كالحمدوني في
تذكرته، وغيره، فلذلك أضفته إليه، وجعلته من فصوله. قال الله
عز وجل: "وليعفوا
وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من اعتذر
إليه أخوه المسلم، فلم
يقبل، لم يرد على الحوض".
وقال علي رضي الله عنه: أولى الناس بالعفو، أقدرهم على
العقوبة. وقال: العفو زكاة
الظفر. وقال: إذا قدرت على عدوك، فاجعل عفوك عنه شكر
المقدرة عليه.
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: لا تعاجل الذنب
بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار
طريقا. وقال: أوسع ما يكون الكرم بالمغفرة، إذا ضاقت بالذنب
المعذرة.
وقال جعفر بن محمد الصادق: شفيع المذنب إقراره، وتوبة
المجرم الاعتذار.
وقالوا ما أذنب من اعتذر، ولا أسى من استغفر.
وأوصى بعض الحكماء ولده فقال: يا بني لا يعتذر إليك أحد من
الناس، كائنا من كان، في
أي جرم كان، صادقا كان أو كاذبا، إلا قبلت عذره، فكفاك
بالاعتذار براً من صديقك،
وذلاً من عدوك.
قال بعض الشعراء:
فإن كنت ترجو في العقوبة راحة فلا تزهدن عند التجاوز في
الأجر
وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الاعتذار
ذلة، ولا بد منه، لأن
الإصرار على الذنب، فيما بينك وبين خالقك هلكةٌ، وفيما بينك
وبين صديقك فرقةٌ،
وعند سائر الناس مثلبةٌ وهجنةٌ، فعليك به، إذا واقعت الذنب،
وقارفت الجرم، ولا
تستنكف من خضوعك وتذللك فيه، فربما استثير العز من تحت
الذلة، واجتني الشرف من
شجرة النذلة، ورب محبوبٍ في مكروه، والمجد شهدٌ يجتني من
حنظل.
قال: ومما خص به الاعتذار أن الحق لا يثبت لباطله، والحقيقة لا
تقوم مع تخييله وتمويهه،

وأن رده لا يسع مع الكذب اللائح في صفحاته. وقالوا: لا عذر في رد الاعتذار، والمعتذر
من الذنب، كمن لا ذنب له، وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره.
قال بعضهم: كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن توابة،
نسختها: قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك،
وأشكو صروفها إلى فضلك، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك، وحسن ملكتك، فإنها
تؤخرني إذا قدمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت أعطت يسيرا، وإن ارتجعت
ارتجعت كثيرا، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت الانتصاف منها إلا إلى فضلك، ولي
مع ذمام المسألة لك، وحق الظلام إليك، ذمام تأميلك، وقدم صدق في طاعتك، والذي يملأ
من النصفة يدي، ويفرغ الحق علي، حتى تكون لي محسنا، وأكون بك إلى الأيام مقربا، أن
تخلطني بخواص خدمك الذين نقلتهم من حد الفراغ إلى الشغل، ومن الخمول إلى النباهة
والذكر، فإن رأيت أن تعذبني فقد استعديت إليك، وتنصرني فقد عذت بك، وتوسع لي
كنفك فقد أويت إليه، وتسمني بإحسانك فقد عولت عليه، وتستعمل يدي ولساني فيما
يصلحان له من خدمتك، فقد درست كتب أسلافك وهم القدوة في البيان، واستضأت
بآرائهم، واقتفوت آثارهم اقتفاءً جعلني بين وحشي الكلام وأنيسه، ووقفني منه على جادةٍ
متوسطةٍ، يرجع إليها العالي، ويلحق بها المقصر التالي، فعل إن شاء الله. قال: فعل إن شاء
الله! قال: فجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها، ثم قال: هذا أحق بديوان الرسائل.
ومن الاستعطاف: ما حكي أن محمد بن الحنفية، جرى بينه وبين أخيه الحسين، كلام
افترقا بسببه متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله، كتب إلى الحسين رقعة فيها: بسم الله
الرحمن الرحيم أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أدركه، أبونا عليٌّ، لا أفضلك فيه
ولا تفضلني، وأمي امرأة من بني حنيفة، وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ولو كان ملء الأرض نساءً مثل أمي ما وفين بأمك، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس

رداءك ونعليك وتعال لتترضاني، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني
والسلام. فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء إلى محمد وترضاه.
وقيل: وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتذرا: قد تقدمت طاعتك ونصيحتك، فإن ثبت
منك هفوة فلن تغلب سيئةٌ حسنتين.
وقال شاعر:
إرض للسائل الخضوع وللقا رف ذنباً مذلة الإعتذار
قال أبو هلال العسكري: لم يرو عن أحد النابغة الذبياني في الاعتذار شعر، فمن أجود ما
روي له فيه، قوله حين سعى به المنخل اليشكري إلى النعمان، وزعم أنه غشى المتجردة
حظية النعمان، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال:
وإذا لمست لمست أخثم جاثما متحيزاً بمكانه ملء اليد
وإذا طعنت طعنت في مستهدف رابي المجسة بالعبير مقرمد
وإذا نزعت نزعت من مستحصف نزع الحزور بالرشاء المحصد
فقال المنخل للنعمان: هذا وصف من ذاقها، فوقر ذلك في نفس النعمان، ثم وفد عليه
رهط من بني سعد بن زياد مناة من بني قريع، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف
منها، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان، وهو الذي
قيل فيه:
نفس عصام ستودت عصاما
فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان، فزادهم لحاق النابغة بهم
حشمة، ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم، فحسدهم عليه وأمنه وراسله في
المصير إليه، فأتاه وجعل يعتذر مما قذف به ومن مدحه لآل غسان فقال:
حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جنايةً لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبقٍ أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب
فأن أك مظلومًا فعبدٌ ظلمته وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب
يقول: مثلك يعفو ويحسن إن كان عاتبا، وفي كرمك ما يفعل ذلك، ولك العتبي والرجوع إلى
ما تحب. ومنه قوله أيضا النعمان:
أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

فبت كأني ساورتني ضئيلةٌ من الرقش في أنيابها السم ناقع
لكلفتني ذنب امريء وتركته كذع العر يكوي غيره وهو راتع
إلى أن قال:
فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذبٌ ولا حلفي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشيء أقوله وأنت بأمرٍ لا محالة واقع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتنأي عنك واسع
وقال أيضا:
أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زارٍ من الأسد
مهلاً فداءٌ لك الأقوام كلهم وما أثمر من مالٍ ومن ولد
لا تقذفني بركن لا كفاء به وإن تأثفك الأعداء بالرفد
ما قلت من سيء مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
قال: فخلع عليه النعمان خلع الرضى، وكن حبراتٍ خضار مطرقةً بالجوهر.
قال العسكري: ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحتري، فمن اعتذاراته
قوله في قصيدته التي أولها:
لوت بالسلام بنانا خضيبا
قال منها:
فديناك من أي خطبٍ عرى ونائبةٍ أوشكت أن تنوبا
وإن كان رأيك قد حال في وأوليتني بعد شر قطوبا
يريبني الشيء تأتي به وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكره أن يتمادى علي سبيل اغ ترارٍ فألقى شعوبا
أكذب نفسي بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أيصبح ودي في ساحتي ك طرقا ومرعاي محلاً جديبا
وما كان سخطك إلا الفراق أفاض الدموع وأشجي القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبا لما كا ن خالجني الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألاقي رضا ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح وأنظر عطفك حتى يثوبا
وقوله:
عذيري من الأيام رنقن مشربي ولقينني نحسا من الطير أشأما
وأكسبنني سخط امريء بت موهنا أرى سخطه ليلا مع الصبح مظلما
تبلج عن بعض الرضى وانطوي على بقية عتبٍ شارفت أن تصرما
إذا قلت يوما: قد تجاوز حدها تلبث في أعقابها وتلوما
وأصيد إن نازعته الطرف رده قليلا وإن راجعته القول جمجما

ثناه العدا عني فأصبح معرضا ووهمه الواشون حتى توهما
وقد كان سهلا واضحا فتوعرت رباه وطلقا ضاحكا فتجهما
أمتخذٌ عندي الإساءة محسنٌ ومنتقم مني امرؤ كان منعما
ومكتسبٌ في الملامة ماجد يرى الحمد غنماً والملامة مغرما
يخوفني من سوء رأيك معشرٌ ولا خوف إلا أن تجوز وتظلما
أعيذك أن أخشاك من غير حادثٍ تبين أو جرم إليك تقدما
الست الموالي فيك نظم قصائدٍ هي الأنجم أقتادت مع الليل أنجما
أعد نظرا فيما تسخطت هل ترى مقالا دنيئاً أو فعالا مذمما
وكان رجائي أن أؤوب مملكا فصار رجائي أن أؤوب مسلما
حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً بعيدا ولم أركب من الأمر معظما
ولم أعرف الذنب الذي سؤتني له فأقتل نفسي حسرةً وتندما
ولو كان ما خبرته أو ظننته لما كان غروا أن ألوم وتكرما
أذكرك العهد الذي ليس سؤددا تناسبه والود الصحيح المسلما
وما حمل الركبان شرقا ومغربا وأنجد في أعلى البلاد وأتهما
أقر بما لم أجنه متنصلا إليك على أني إخالك ألوما
لي الذنب معروفا فإن كنت جاهلا به فلك العتبي علي وأنعما
ومثلك إن أبدي الفعال أعاده وإن صنع المعروف زاد وتمما
وقال سعيد بن حميد:
لم آت ذنبا فإن زعمت بأن أتيت ذنبا فغير معتمد
قد تطرف الكف عين صاحبها فلا يرى قطعها من الرشد
وقال آخر:
وكنت إذا ما جئت أدنيت مجلسي ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرةً إلي بها في سالف الدهر تنظر
وقال آخر:
اغتفر زلتي لتحرز فضل ال عفو عني ولا يفوتك أجرى
لا تكلني إلى التوسل بالعذ ر لعلي أن لا أقوم بعدرى
وقال بعض فضلاء الأندلس:
إني جنيت ولم يزل أهل النهي يهبون للجانين ما يجنونه
ولقد جمعت من الذنوب فنونها فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه فليعف عن ذنب الذي هو دونه.
الباب الثاني وفيه أربعة عشر فصلا
في الهجاء

ما قيل في الهجاء ومن يستحقه.
ما قيل في الحسد.
ما قيل في السعاية والبغي.
ما قيل في الغيبة والنميمة.
ما قيل في البخل واللؤم وأخبار البخلاء واحتجاجهم.
ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة.
ما قيل في الجبن والفرار.
ما قيل في الحمق والجهل.
ما قيل في الكذب.
ما قيل في الغدر والخيانة.
ما قيل في الكبر والعجب.
ما قيل في الحرص والطمع.
ما قيل في الوعد والمطل.
ما قيل في العي والحصر.

الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى: "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون". فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار.

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلةً فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفءٍ فشركما لخيركما الفداء
لنا في كل يوم من معد سبابٌ أو قتالٌ أو هجاء
لساني صارمٌ لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاء

ويستحق الهجاء من اتصف بسوء الخصال، واتسم بأخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبانه وشعاره، والبخل وطاءه ودثاره، وسأذكر جماع ما اتصفوا به من سوء الفعال، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال.

قال بعض الحكماء: أربعة من علامات اللؤم: إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار.

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره فأقسم عليه فقال: حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك: ما في إبليس شرُ من هذه الخلال، فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال: لقد انتحل الشر بحذافيره، ومرق من جميع خلال

الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجرد في الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط في إقامة الحجة على كفره،
وخرج من الخلال الموجبة رضي ربه.
قال أبو تمام:
تأنست بذميم الفعل طلعته تأنس المقلة الرمداء بالظلم
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أربعة، من كن فيه فهو منافق، من إذا
حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا أؤتمن خان".
وقالوا: اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد. وقالوا: اللئيم إذا استغنى بطر،
وإذا افتقر قنط، وإذا قال أفحش، وإذا سئل بخل، وإن سأل ألح، وإن أسدي إليه صنيعٌ
أخفاه، وإناستكتم سراً أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوه منه على غرر.
وإن للشعراء والبلغاء في الذم والهجاء نظما ونثرا سنورد منه طرفا، ونشرح ما يجل ضوء
النهار على المقول فيه سدفا.
فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب في بني سعيد بن مسلم بن قتيبة: محاسنهم
مساويء السفل، ومساوئهم فضائح الأمم، وألسنتهم معقودة بالعي، وأيديهم معقولة بالبخل،
وأعراضهم أعراض الذم، فهم كما قيل:
لا يكثرون وإن طالت حياتهم ولا تبيد مخازيهم وإن بادوا
وذم أعرابي قوما فقال:
هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم، وأكثرهم تجرؤا على أصدقائهم، يصومون عن المعروف،
ويفطرون على الفحشاء.
وذم أعرابي قوما فقال: قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودبغت جلودهم باللؤم، فلباسهم في
الدنيا الملامة، وفي الآخرة الندامة.
وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبي العيناء حال وزارته، فلما صرف عن الوزارة
لقي أبا العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيفا، فقال أبو العيناء لقائده: من
هذا؟ قال: أبو موسى، فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال: لقد كنت أقنع بإيمائك دون
بنانك، وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت إليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك
النعمة، لقد أصابت فيك النقمة، ولئن كانت الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد
أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، ولله المنة إذا أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول

الزور فيك، وقد والله أسأت حمل النعمة، وما شكرت حق المنعم، ثم أطلق يده من عنانه،
ورجع إلى مكانه فقيل له: يا أبا عبد الله! لقد بالغت في السب، فما كان الذنب؟ قال:
سألته في حاجة أقل من قيمته، فردني عنها بأقبح من خلقته.
قال بعض الأعراب: نزلت بذاك الوادي فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد، إقبال
حظهم، إدبار حظ الكرام، ألم بهذا المعنى شاعر فقال:

أرى حللاً تصان على رجال وأعراضاً تذال ولا تصان
يقولون الزمان به فسادٌ وهم فسدوا وما فسد الزمان

وسئل بعض البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القدر، قصير الشبر، ضيق الصدر، لئيم
النجر، عظيم الكبر، كثير الفخر.
وذم أعرابي رجلا فقال: هو عبد البدن، حر الثياب، عظيم الرواق، صغير الأخلاق،
الدهر يرفعه، ونفسه تضعه.
وقال آخر: فلان غثٌ في دينه، قذر في دنياه، رثٌ في مروءته، سمج في هيئته منقطع إلى
نفسه، راضٍ عن عقله، بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من فضله، حلاف لجوج،
إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف، لا ينصف الأصاغر، ولا يعرف حق الأكابر.
وترجم الفتح بن عبد الله القيسي صاحب قلائد العقيان في كتابه عن أبي بكر بن ماجة
المعروف بابن الصائغ فقال: هو رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفا
وجنونا، وهجر مفروضا ومسنونا، فما يشرع، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع، ناهيك
به من رجل ما تطهر من جنابه، ولا أظهر مخيلة إنابه، ولا استنجي من حدث، ولا أسجي
فؤاده موارًي في جدث، ولا أقر ببارئه ومصوره، ولا فرعن تباريه في ميدان تهوره، الإساءة
إليه أجدى من الإحسان، والبهيمة أهدى عنده من الإنسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في
أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم العليم، ونبذه وراء ظهره، ثاني
عطفه، وأراد إبطال ما لا تأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة،
وأنكر أن يكون له عند الله تبارك وتعالى فيئة، وحكم للكواكب بالتدبير، واجترم على الله
اللطيف الخبير، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد، واستهزأ بقوله تعالى: "إن الذي فرض

عليك القرآن لرادك إلى معادٍ".
فهو يعتقد أن الزمان دور، وأن الإنسان نبات له نور، حمامه تمامه، واختلافه فطامه، قد
محي الإيمان من قلبه فما له فيه رسم، ونسي الرحمن لسانه فما يمر له عليه اسم، انتمت
نفسه للضلال وانتسبت، ونفت يوما تجزي فيه كل نفسٍ بما كسبت، فقصر عمره على طرب
ولهو، واستشعر كل كبر وزهو، وهو يعكف على سماع التلاحين، ويقف عليها كل حين،
يعلن بذلك الاعتقاد، ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله في أسلس مقاد، مع منشإ وخيم، ولؤم
أصل وخيم، وصورةٍ شوهها الله وقبحها، وطلعةٍ لو رآها كلب لنبحها، وقذارة يؤذي البلاد
نفسها، ووضارةٍ يحكي الحداد دنسها وفندٍ لا يعمر إلا كنفه، ولددٍ لا يقوم إلا الصفاد
جنفه.
وكتب أحمد بن يوسف: أما بعد فإني لا أعرف للمعروف طريقا أوعر من طريقه إليك، لأنه
يحصل منك بين حسب دنيء، ولسان بذيء، وجهل قد ملك عليك طباعك، فالمعروف
لديك ضائعٌ، والشكر عندك مهجورٌ، وإنما غايتك في المعروف أن تحوره، وفي وليه أن
تكفره.
ما قيل في الهجاء من النظم
فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب:
فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بني نميرٍ على خبث الحديد إذاً لذابا
وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه: هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعرٌ ودوا افتدوا
منه بأموالهم، وشعرٌ لهم يسرهم به حمر النعم فقال أسماء بن خارجة: نحن يا أمير
المؤمنين! قال: وما قيل فيكم: قول الحارث بن ظالم
وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا
فوالله يا أمير المؤمنين! إني لألبس العمامة الصفيقة فيخيل إلي أن شعر قفاي قد بدا منها،
وقول قيس بن الخطيم:
هممنا بالإقامة يوما سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر
فما يسرنا أن لنا بها أوبه حمر النعم، فقال هانيء بن قبيصة النميري: أولئك نحن يا أمير
المؤمنين! قال: ما قيل فيكم؟ قال قول جرير:
فغض الطرف إنك من نميرٍ
والله لوددنا أننا افتدينا بأملاكنا، وقول زياد الأعجم:

لعمرك ما رماح بني نميرٍ بطائشة الصدور ولا قصار
فوالله ما يسرنا به حمر النعم.
قال العسكري وذكر أن جريرا لما قال:
والتغلبي إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا
قال: قلت فيهم بيتا لو طعن أحدهم في استه لم يحكها!
وقالوا: مرت امرأة ببني نمير
فتغامزوا إليها فقالت: يا بني نمير! لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر، يقول الله تعالى: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم". ويقول الشاعر:
فغض الطرف إنك من نميرٍ
فخجلوا، وكان النميري إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من نمير، فصار يقول: من بني عامر بن صعصعة.
قال العسكري: ولو قيل إن أهجي بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو:
ولو ترمي بلؤم بني كليبٍ نجوم الليل ما وضحت لساري
ولو يرمي بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بني كليبٍ ليطلب حاجةً إلا بجار
ومثله قول الآخر:
ولو أن عبد القيس ترمي بلؤمها على الليل لم تبد النجوم لمن يسري
وقالوا: أهجي بيت قالته العرب قول الأعشى:
تبيتون في المشتا ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
وهذا البيت من أبيات ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه
وذلك: أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة فقال عامر: أنا أفضل
منك! وهي لعمي ولم يمت، وعمه عامر بن مالك بن جعفر ابن كلاب وكان قد أهتر
وسقط، وقال علقمة: أنا أفضل منك! أنا عفيف، وأنت عاهر، وأنا وفيٌ وأنت غادر، وأنا
ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى إلى ربيعة، فتداعيا إلى هرم بن قطنة، ليحكم بينهما فرحلا إليه
ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل، مائة يطعمها من تبعه، ومائة يعطيه للحاكم، ومائة
تعقر إذا حكم، فأبي هرم بن قطنة أن يحكم بينهما مخافة الشر وأبيا أن يرتحلا، فحلا هرم
بعلقمة وقال له: أترجو أن ينفرك رجل من العرب على عامرٍ فارس مضر، أندى الناس كفاً،
وأشجعهم لقاءً، لسنان رمح عامر أذكر في العرب من الأحوص، وعمه ملاعب الأسنة،

وأمه كبشة بنت عروة الرحال، وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء،
وأمك من النخع، وكانت أمه مهيرة، وأم علاثة أخيذة من النخع، ثم خلا بعامر فقال له:
أعلى علقمة تفخر؟ أنت تناوئه، أعلى بن عوف بن الأحوص، أعف بني عامر وأيمنهم
نقيبة، وأحلمهم وأسودهم وأنت اعور عاقر مشئوم! أما كان لك رأي يزعك عن هذا!
أكنت تظن أن أحدا من العرب ينفرك عليه؟ فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قال: أنتما
كركبتي الجمل فتراجعا راضيين.
قال العسكري: والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ولو قال: أنتما كركبتي الجمل
لقال كل واحد منهما: أنا اليمني، فكان الشر حاضرا، قال وسأله عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بعد ذلك بحين: لمن كنت حاكما لو حكمت؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين! فلو
قلتها لعادت جذعةً. فقال عمر: صدقت! مثلك فليحكم.
قال فارتحلوا عن هرم لما أعياهم نحو عكاظ فلقيهم الأعشى منحدرا من اليمن، وكان لما
أرادها قال لعلقمة: اعقد لي حبلا، فقال: أعقد لك من بني عامر! قال: لا يغني عني قال:
فمن قيس! قال: لا، قال: فما أنا بزائدك، فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء
والأرض فقيل له: كيف تجيره من أهل السماء؟ قال: إن مات وديته، فقال الأعشى لعامر:
أظهر أنكما حكمتماني ففعل، فقام الأعشى فرفع عقيرته أي صوته في الناس فقال:

حكمتموه فقضي بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي خسر الخاسر
علقم لا لست إلى عامر ال ناقض الأوتار والواتر
واللابس الخيل بخيلٍ إذا ثار عجاج الكبة الثائر
إن تسدا الحوص فلم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامر
ساد وألفي رهطه سادةً وكابراً سادوك عن كابر

قال وشد القوم في أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا: نفر عامر، وذهبت بها الغوغاء،
وجهد علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك، فجعل يتهدد الأعشى فقال:

أتاني وعيد الحوص من آل عامر فيا عبد عمرو لو نهيت الأحارصا
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساجٍ لا يواري الدعامصا

كلا أبويكم كان فرعا دعامةٍ ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتا ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
يراقبن من جوع خلال مخافةٍ نجوم العشاء العاتمات الغوامصا
رمى بك في أخراهم تركك الندى وفضل أقواما عليك مراهصا
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا
قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار، والعرب تعير
بالبكاء، قال مهلهل:
يبكي علينا ولا نبكي على أحد ونحن أغلظ أكبادا من الإبل
وقال جرير:
بكى دوبلٌ لا يرقى الله دمعه ألا إنما يبكي من الذل دوبل
قال عبد الملك بن مروان لأمية: مالك وللشاعرإذ يقول:
إذا هتف العصفور طار فؤاده وليثٌ حديد الناب عند الشدائد
فقال: أصابه حد من حدود الله فأقمته عليه قال: فهلا درأته عنه بالشبهات؟ قال: كان
أهون علي من أن أعطل حدا من حدود الله فقال: يا بني أمية! أحسابكم أحسابكم،
أنسابكم أنسابكم، لا تعرضوا للفصحاء فإن الشعر مواسم لا يزيدها الليل والنهار إلا جدة،
والله ما يسرني أني هجيت ببيت الأعشى حيث يقول: تبيتون في المشتا الخ ولي الدنيا
بحذافيرها ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضا
لقول ابن حرثان:
على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل
وهذا البيت لزهير:
وقالوا أهجي ببيت قالته العرب قول الحطيئة في الزبرقان بن بدر:
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الحطيئة في البخلاء،
وقيل: اتفق جماعة من الشعراء
على أن أهجي بيت قالته العرب، قول الفرزدق في جرير:
أنتم قرارة كل معدن سوءة ولكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال:
وكانت زفرة ثم اطمأنت كذاك لكل سائلة قرارُ
وقالوا أهجي بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير:
ما زال فينا الخيل معلمة وفي كليبٍ رباط اللؤم والعار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم: بولي على النار
قالت بنو تميم: ما هجينا بشيء، هو أشد علينا من هذا البيت، وهو يتضمن وجوها
شتًى من الذم: جعلهم بخلاء بالقرى، وجعل أمهم خادمهم، يأمرونها بكشف فرجها،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار، وجعل نارهم من قلتها تطفى ببولة، وأغرى بينهم
وبين المجوس، لتعظيم المجوس النار، وإهانتهم لها إلى غير ذلك.
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الطرماح:
تميمٌ بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت
وقيل أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابي:
اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا
قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا
وقال مسلم بن الوليد يهجو دعبل الخزاعي:
أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرضٌ عززت به وأنت ذليل
وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل، فبلغ دعبل ما هو فيه من الحظوة
عنده، فصار إلى مرو، وكتب إلى الفضل بن سهل:
لا تعبأن بابن الوليد فإنه يرميك بعد ثلاثمة بملال
إن الملوك إذا تقادم عهده كانت مودته كفيء ضلال
فدع الفضل الرقعة إلى مسلم، فلما قرأها قال: هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق
به؟ فقال: لا، قال: كان يلقب بمياس، وكتب إليه:
مياس قل لي أين أنت من الورى=لا أنت معلوم ولا مجهول
أما الهجاء الخ، ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال:
فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجا بك لؤمك منجا الذباب حمته مقاذيره أن ينالا
وأنشد الجاحظ:
ووثقت أنك لا تسب حماك لؤمك أن تنالا
وقال الآخر:
بذلة والديك كسيت عزاً وباللؤم اجترأت على الجواب
وقال آخر:
دناءة عرضك حصنٌ منيع يقيك إذا ساء منك الصنيع
فقل لعدوك ما تشتهي فأنت المنيع الرفيع الوضيع
وقال أبو نواس:
ما كان لو لم أهجه غالبٌ قام له هجوي مقام الشرف
يقول: قد أسرف في هجونا وإنما ساد بذاك السرف

غالب لا تسع لتبني العلا بلغت مجدا بهجائي فقف
قد كنت مجهولا ولكنني نوهت بالمجهول حتى عرف
وقال أبو هلال العسكري:
أهنت هجائني يا بن عروة فانتحي على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا: أتهجو مثله في سقوطه فقلت لهم جربت سيفي في كلب
وقال ابن لنكك:
وعصبةٍ لما توسطهم صارت على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سرورا بهم لأنهم عارٌ على آدم
وقالوا أهجي بيت قاله محدث قول الآخر:
قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر
وقال العسكري: ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأول:
إن يفجروا أو يغدروا أو يبخلوا لم يحفلوا
وغدوا عليك مرجلي ن كأنهم لم يفعلوا
ومن البليغ قول حسان:
أبناء حار فلن تلقى لهم شبها إلا التيوس على أكتافها الشعر
إن نافروا نفروا أو كاثروا كثروا أوقامر والربح عن أحسابهم قمروا
كأن ريحهم في الناس إن خرجوا ريح الكلاب إذا ما مسها المطر
وقال أيضا:
أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخيرٍ من أبيك وخالكا
وإن أحق الناس أن لا تلومه على اللؤمِ من ألفى أباه كذلكا
وقال الآخر:
سل الله ذا المن من فضله ولا تسألن أبا واثله
فما سأل الله عبدٌ له فخاب ولو كان من باهله
وقال آخر:
ولو قيل للكلب: يا باهلي لأعول من قبح هذا النسب
وقال زياد: ما هجيت ببيتٍ قط أشد علي من قول الشاعر:
فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر هل نلت مكرمةٍ إلا بتأمير
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير
وقال إبراهيم بن العباس:
ولما رأيتك لا فاسقا تهاب ولا أنت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي وليس صديقك بالحامد
أتيت بك السوق سوق الهوان فناديت هل فيك من زائد
على رجلٍ غادرٍ بالصديق كفورٍ لنعمائه جاحد
فما جاءني رجلٌ واحد يزيد على درهم واحد

سوى رجلٍ حان منه الشقاء وحلت به دعوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهدٍ مخافة ردك بالشاهد
وأبت إلى منزلي سالما وحل البلاء على الناقد
وقال العسكري:
إن كان شكلك غير متفقٍ فكذا خلالك غير مؤتلفه
صورت من نطفٍ قد اختلفت فأتت خلالك وهي مختلفه
من عصبةٍ شتى إذا اجتمعوا شبهت داركم بهم عرفه
فورثت من ذا قبح منظره وورثت ذاك خناه أو صلفه
وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة:
كم غصت في مدحك فكرا على در نفيس غير مثقوب
ولم يغص رأيك يوما على برى ولا أريٌ لمكذوب
إن كان موعودك في الجود لي أكذب من موعود عرقوب
فإن أخبارك في مدحتي أكذب من ذئب ابن يعقوب
وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة:
بليت بقومٍ ما لهم في العلايدُ ولا قدمٌ تسعى لبذل الصنائع
إذا نظرت عيني إليهم تنجست برؤيتهم طهرتها بالمدامع
وقال المتنبي:
إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربه
أو آنستك المخازي فإنها بك أشبه
وقال أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الحجاج:
ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصح يح النيىء والخبز الفطير
في جوف منحل الطبي عة والقوى شيخٍ كبير
يخرى فيخرج سرمه شبرين من وجع الزحير
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنت بلا ال ملح الجريش ولا الخمير
يا نتن رائحة الطبي خ إذا تغير في القدور
يا عش بيض القمل ف رخ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
يا بعض تدخين الحشا في الصوم من تخم السحور
يا حر قولنج البطو ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلة المظلوم أص بح وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة التف قد عند تشبيه الأمور
يا كل شيء متعبٍ متعقدٍ صعبٍ عسير
يا حيرة الشيخ الأص م وحسرة الحدث الضرير
يا قعدةً في دجلة والريح تلعب بالجسور
يا قرحة السل التي هدت شراسيف الصدور
يا أربعاء لا تدو ربه مخافات الشهور
يا هدة الحيطان تن قض بالمعاول والمرور
يا قرحةً في ناظرٍ غلظوا عليها بالذرور
فتسلخت مع ما يلي ها في الجفون من البثور

يا خيبة الأمل الذي أمسى يعلل بالغرور
يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور
يا ضجرة المحموم بال غدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضر بالشيخ الفقير
يا دولة الحسن التي خسفت بأيام السرور
يا ضجة الضجر المص دع بالتنازع والشرور
يا عثرة القلم المرش ش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غ ب عشية اليوم المطير
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في ال يوم العبوس القمطرير
يا نهمة الكلب الرضي ع ونكهة الليث الهصور
يا عيش عان موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير
يا حدة الرمد الذيً لا يستفيق من القطور
يا عيشة الكناس من شم الذرائر والعبير
يا حيرة العطشان وق ت الظهر في وسط الهبير
من لي بأن تلقاك خي ل بني كلاب بلاخفير
وأرى بعيني لحمك المطب وخ في حر الهجير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور
وقال المتنبي:
يمشي بأربعة على أعقابه تحت العلوج ومن وراء يلجم
وجفونه ما تستقر كأنها مطروفةٌ أوفت فيها حصرم
وتراه أصغر ما تراه ناطقا ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلما فكأنه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطم
يقلى مفارقة الأكف قذاله حتى يكاد على يدٍ يتعمم
ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلا، فأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم:
وثقيل أشد من غصص المو ت ومن زفرة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم
وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار:
ولقد قلت حيت وتد في الأر ض ثقيلٌ ارتبي على ثهلان
كيف لم تحمل الأمانة أرضٌ حملت فوقها أبا سفيان
ومما هجى به أهل الوقت على الإطلاق. فمن ذلك قول أبي هلال العسكري:
كم حاجةٍ أنزلتها بكريم قوم أو لئيم
فإذا الكريم من اللئي م أو اللئيم من الكريم
سبحان رب قادرٍ قد البرية من أديم
فشريفهم ووضيعهم سيان في سفهٍ ولوم
قد قل خير غنيهم فغنيهم مثل العديم
وإذا اختبرت حميدهم ألفيته مثل الذميم
ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم، فمن ذلك قول أبي عيينة ليهجو خالد بن

يزيد المهلبي ويمدح أباه:
أبوك لنا غيثٌ نعيش بفضله وأنت جرادٌ ليس يبقى ولا يذر
له أثرٌ في المكرمات يسرنا وأنت تعفي دائبا ذلك الأثر
لقد قنعت قحطان خزياً بخالدٍ فهل لك فيه يخزك الله يا مضر
وله في قبيصة بن روح، يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم
أقبيص لست وإن جهدت ببالغ سعى ابن عمك ذى الندى داود
شتان بينك يا قبيص وبينه إن المذمم ليس كالمحمود
داود محمودٌ وأنت مذممٌ عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عودٍ قد يشق لمسجدٍ نصفاً وسائره لحش يهودي
وقال حسان في أبي سفيان بن الحارث:
أبوك أبٌ حرٌ وأمك حرةٌ وقد يلد الحران غير نجيب
فلا تعجبن الناس منك ومنهما فما خبثٌ منفضةٍ بعجيب
الحسد
ومما يذم به الرجل، أن يكون حسودا، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، أن
يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد.
قال ابن السماك:
أنزل الله تعالى سورة جعلها عوذةً لخلقه من صنوف الشر، فلما انتهى إلى الحسد، جعله
خاتما إذ لم يكن بعده في الشر نهاية، والحسد أول ذنب عصى الله تعالى به في السماء، وأول
ذنب عصى به في الأرض، أما في السماء، فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض، فحسد
قابيل لهابيل، وذهب بعض أهل التفسير في قوله عز وجل إخبارا عن أهل النار: "ربنا أرنا
اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين". أن المراد بالجن
إبليس، وبالإنس قابيل، وذلك أن إبليس أول من سن الكفر، وقابيل أول من سن القتل،
وأصل ذلك كله الحسد.
وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، فقيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين
يحسدون الناس على ما آثارهم الله من فضله، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود
عدو نعمتي، مسخط لقضائي، غير راض بقسمتي.
وقالت الحكماء: إذا أراد الله، أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه، سلط عليه حاسدا.
وكان يقال في الدعاء على الرجل: طلبك من لا يقصر دون الظفر، وحسدك من لا ينام دون
الشقاء.

وقالوا: ما ظنك بعداوة الحاسد، وهو يرى زوال نعمتك نعمةً عليه؟
قال أبو الطيب المتنبي:
سوى وجع الحساد داءً فإنه إذا حل في قلبٍ فليس يحول
ولا تطمعن من حاسدٍ في مودةٍ وإن كنت تبديها له وتنيل
وقال الببغاء:
ومن البلية أن تداوي حقد من نعم الاله عليك من أحقاده
وقال علي رضي الله عنه:
"لا راحة لحسود، ولا أخ لملول، ولا محب لسيء الخلق".
وقال الحسن:
ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحزن لازم، وغيرة لا تنفد، ثم قال: لله
در الحسد ما أعدله! يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.
وقال الجاحظ: من العدل المحض، والإنصاف الصحيح، أن تحط عن الحاسد نصف عقابه،
لأن ألم جسمه، قد كفاك مئونة شطر غيظك عليه.
وقيل: الحسد أن تتمنى زوال نعمة غيرك، والغبطة أن تتمنى مثل حال صاحبك. وفي
الحديث: "المؤمن يغبطُ، والمنافق يحسد".
وقال أرسطاطاليس: الحسد حسدان: محمود، ومذموم، فالمحمود أن ترى عالما فتشتهي أن
تكون مثله، وزاهدا فتشتهي مثل فعله، والمذموم أن ترى عالما وفاضلا فتشتهي أن يموتا.
وقيل: الحسود غضبان على القدر، والقدر لا يعتبه.
قال منصور الفقيه:
ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فضله إذا أنت لم ترض ما قد وهب
وقال المتنبي:
وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
ومن أخبار الحسدة: ما حكي، أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم، فقال أحدهم لصاحبه: ما بلغ
من حسدك؟ قال: ما اشتهيت أن أفعل بأحد خيرا قط، فقال.
الثاني: أنت رجل صالح،
أنا ما اشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط، فقال الثالث: ما في الأرض أفضل منكما، أنا
ما اشتهيت أن يفعل بي أحد خيرا قط.
ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه. وهجاء الحاسد وذمه.
قال بعض الشعراء:
إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غماً بما يجد
وقال آخر:
إن الغراب وكان يمشي مشيةً فيما مضى من سالف الأحوال
حسد القطاة ورام يمشي مشيها فأصابه ضرب من العقال
وقال آخر:
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداءٌ له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لدميم
وقال البحتري:
لا تحسدوه فضل رتبته التي أعيت عليكم وافعلوا كفعاله
وقال السري الرفاء:
نالت يداه أقاصي المجد الذي بسط الحسود إليه باعا ضيقا
أعدوه هل للسماك جريرةٌ في أن دنوت من الحضيض وحلقا
أم هل لمن ملأ اليدين من العلا ذنبٌ إذا لم كنت منها مملقا
وقال أبو تمام الطائي:
وإذا أراد الله نشر فضيلةٍ يوما أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود
وقال البحتري:
ولن يستبين الدهر موضع نعمةٍ إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد
وقال محمد بن مناذر:
يا أيها العاتبي وما بي من عتبٍ ألا ترعوى وتزدجر
هل لك عندي وترٌ فتطلبه أم أنت مما أتيت معتذر
إن يك قسم الإله فضلني وأنت صلدٌ ما فيك معتصر
فالحمد والشكر والثناء له وللحسود التراب والحجر
ماذا الذي يجتني جليسك أو يبدو له منك حين يختبر
اقرأ لنا سورةً تذكرنا فإن خير المواعظ السور
أوصف لنا الحكم في فرائضنا ما تستحق الأنثى أو الذكر
أو ارو فقهاً تروي القلوب به جاء به عن نبينا الأثر
أو من أحاديث جاهليتنا فإنها حكمةٌ ومفتخر
أوارو عن فارسٍ لنا مثلاً فإن أمثالها لنا عبر
أو إن صوتا تشجي النفوس به وذنب ما قد أتيت مغتفر
فإن تكن قد جهلت ذاك وذا ففيك للناظرين معتبر
السعاية والبغي
قال الله تعالى: "يأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم". وقال تعالى: "ثم بغي عليه لينصرنه
الله". وقال تعالى: "هماز مشاءٍ بنميمٍ مناعٍ للخير معتدٍ أثيمٍ عتل بعد ذلك زنيم". وقالً
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفعن إلينا عورة
أخيه المؤمن". وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يراح القتات رائحة الجنة". وفي لفظٍ "لا

يدخل الجنة قتاتٌ"، والتات: النمام.
قال بعض الشعراء:
فلا تسعى على أحد ببغيٍ فإن البغي مصرعه وخيم
وقال العتابي:
بغيت فلم تقع إلا صريعاً كذاك البغي مصرع كل باغي
وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة. فقال لأصحابه: إذا شئتم، فقاموا، فلما تهيأ
الرجل للكلام، قال له: إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، أو تكذبني، فإنه لا رأى
لكذوب، أو تسعى إلي بأحد، وإن شئت أقلتك، قال: أقلني.
قال: ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دمشق، ولم يكن في بني أمية ألب منه في
حداثة سنه، قال أهل دمشق: هذا غلام شابٌ، ولا علم له بالأمور، وسيسمع منا، فقام
إليه رجل، فقال: أصلح الله الأمير، عندي نصيحةٌ، فقال له: يا ليت شعري، ما هذه
النصحية التي ابتدأتني بها من غير يدٍ سبقت مني إليك؟ فقال: جارٌ لي عاصٍ، متخلف
عن ثغره، فقال له: ما اتقيت الله، ولا أكرمت أميرك، ولا حفظت جوارك، إن شئت، نظرنا
فيما تقول، فإن كنت صادقا، لم ينفعك ذلك عندنا، وإن كنت كاذبا، عاقبناك، وإن شئت،
أقلناك، قال: أقلني، قال: اذهب حيث شئت، لا صحبك الله، ثم قال: يا أهل دمشق، ما
أعظمتم ما جاء به الفاسق، إن السعاية أحسب منه سجيةً، ولولا أنه لا ينبغي للوالي أن
يعاقب، قبل أن يعاتب، كان لي فيه رأيٌ، فلا يأتني أحد منكم بسعاية على أحد، فإن
الصادق فيها فاسق، والكاذب بهاتٌ. وسعى رجل برجل إلى عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه، فقال: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا، فأنت من هذه الآية: "إن جاءكم
فاسقٌ بنبإٍ". وإن كنت صادقا، فأنت من هذه الآية: "همازٍ مشاءٍ بنميم". وإن شئت
عفونا عنك، قال: العفو يا أمير المؤمنين، قال: على أن لا تعود.
وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات: إن قوما صاروا إلي متنصحين، فذكروا أن رسوما
للسلطان قد عفت ودرست، وأنه توقف عن كشفها إلى أن يعرف موقع رأيه فيها، فوقع
على رقعته: قرأت هذه الرقعة المذمومة، وسوق السعاة مكسدٌ عندنا، وألسنتهم تكل في

أيامنا، فاحمل الناس على قانونك، وخذهم بما في ديوانك، فلم ترد للناحية لكشف الرسوم
العافية، ولا لتحيي الأعلام الداثرة، وجنبني وتجنب قول جرير:
وكنت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وتركت عارا
قالوا: وكان الفضل بن يحيى يكره السعاة، فإذا أتاه ساع، قال له: إن صدقتنا، أبغضناك،
وإن كذبتنا، عاقبناك، وإن استقلتنا، أقلناك.
وحكي صاحب العقد قال: قال العتبي، حدثني أبي عن سعيد القصري، قال: نظر إلي
عمرو ابن عنبة ورجل يشتم بين يدي رجلا، فقال لي: ويلك، وما قال لي ويلك قبلها: نزه
سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن الكلام به، فإن السامع شريك القائل، وإنه
عمد إلى شر ما في وعائه، فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة جاهل في فيه، لسعد رادها،
كما شقي قائلها، وقد جعله الله تعالى شريك القائل، فقال: "سماعون للكذب أكالون
للسحت".
الغيبة والنميمة،
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا قلت في الرجل ما فيه فقد اغتبته
وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته".
اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم، فقال له: أمسك عليه أيها الرجل والله لقد
تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام.
وذكر في مجلسه رجل، فنال منه بعض جلسائه، فقال له: يا هذا أوحشتنا من نفسك،
وأيأستنا من مودتك، ودللتنا على عورتك.
واغتاب رجل عند بعض الأشراف، فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك، بما تذكر من
عيب الناس، لأن الطالب للعيوب، إنما يطلبها بقدر ما فيه منها، أما سمعت قول الشاعر:
لا تهتكن من مساوى الناس ما ستروا فيهتك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما:
أذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدع منك.
وقال بعض الملوك لولده وهو ولي عهده: يا بني ليكن أبغض رعيتك إليك، أشدهم كشفا

لمعايب الناس عندك، فإن في الناس معايب وأنت أحق بسترها، وإنما تحكم فيما ظهر لك،
والله يحكم فيما غاب عنك، واكره للناس ما تكرهه لنفسك، واستر العورة، يستر الله
عليك، ما تحب ستره، ولا تعجل إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاشٌ، وإن قال قول
نصح.
ووشَّى واشٍ برجل إلى الإسكندر فقال له: أتحب أن نقبل منك ما قلت فيه، على أن نقبل
منه ما يقول فيك؟ قال: لا، قال: فكف عن الشر، نكف عنك.
وقال ذو الرياستين: قبول النميمة، شرٌ من النميمة، لأن النميمة دلالة، والقبول إجازة، وليس
من دل على شيء، كمن قبله وأجازه.
قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تقبلن نميمةً بلغتها وتحفظن من الذي أنباكها
إن الذي أهدى إليك نميمةً سينم عنك بمثلها قد حاكها

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأساوري لم يزل يذكرك، ويقول: الضال، فقال عمرو: يا
هذا! والله ما راعيت حق مجالسته، حتى نقلت إلينا حديثه، ولا راعيت حقي، حين
أبلغتني عن أخي ما أكرهه، اعلم أن الموت يعمنا، والبعث يحشرنا، والقيامة تجمعنا، والله
يحكم بيننا.
وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه، فأنكره الأحنف: بلغني عنك الثقة، فقال
الأحنف: إن الثقة لا يبلغ.
قال بعض الشعراء:

لعمرك ما سب الأمير عدوه ولكنما سب الأمير المبلغ

وقال ابن المعتز: الساعي كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه.
وقالوا: النمام، شرٌ من الساحر، فإن النمام، يفسد في الساعة الواحدة، ما لا يفسد الساحر
في المدة الطويلة.
وقالوا: النميمة، من الخلال الذميمة، تدل على نفس سقيمة، وطبيعة لئيمة، مشغوفة بهتك
الأستار، وإفشاء الأسرار.
وقال بعض الحكماء: الأشرار يتتبعون مساؤى الناس، ويتركون محاسنهم، كما يتتبع الذباب
المواضع الألمة من الجسد، ويترك الصحيحة.
وقالوا: لم يمش ماش، شرٌ من واش. والساعي بالنميمة، كشاهد الزور، يهلك نفسه، ومن
سعى به، ومن سعى إليه.

وقالوا: حسبك من شرٍّ سماعه. وقد لهج الشعراء بذم النمام، وجعلوه من أهاجيهم.
قال بعض الشعراء:
من نم في الناس لم تؤمن عقاربه على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحدٌ من أين جاء ولا من أين يأتيه
وقال السري الرفاء:
أنم بما استودعته من زجاجة ترى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن
وقال محمد بن شرف:
وناصبٍ نحو أفواه الورى أذناً كالقعب يلقط فيها كل ما سقطاً
يظل يلتقط الأخبار مجتهداً حتى إذا ما وعاها زق ما لقطا
وقال ابن وكيع:
ينم بسر مسترعيه لؤما كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب ومن صافي الزجاج على عقار
وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسقٍ مجاهرٍ، وإمام جائر، وصاحب بدعة.
وكتب الكسائي إلى الرقاشي:
تركت المسجد الجام ع والترك له ريبه
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبه
فإن زدت من الغيب ة زدناك من الغيبة
البخل واللؤم
والبخل منع الحقوق وإليه الإشارة بقوله تعالى: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليمٍ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون". وقال تعالى: "ولا
يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم سيطرقون ما
بخلوا به يوم القيامة".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء
الخلق".
وقال بعض السلف: منع الجود، سوء ظن المعبود، وتلا "وما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه
وهو خير الرازقين".
وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء، بإسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم، أنه قال: "لما خلق الله تعالى جنة عدن، قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها:

أظهري أنهارك، فأظهرت عين السلسبيل، وعين الكافور، وعين التسنيم، ونهر الخمر، ونهر
العسل، ونهر اللبن، ثم قال لها: أظهري حورك، وحللك، وسررك وحجالك، ثم قال لها:
تكلمي، فقالت: طوبي لما دخلني، فقال الله عز وجل: أنت حرام على كل بخيل".
وقال سقراط: الأغنياء البخلاء، بمنزلة البغال والحمير، تحمل الذهب والفضة، وتعتلف
التبن والشعير.
وقالوا: البخل من سوء الظن، وخمول الهمة، وضعف الروية، وسوء الاختيار، والزهد في
الخيرات.
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: البخل جامع للمساؤى والعيوب، وقاطع للمودات
من القلوب.
وقالوا: حد البخل، منع المسترفد مع القدرة على رفده.
وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل، ويقول محتجا لذلك: إن البخيل يحمله بخله، على
أن يأخذ فوق حقه، مخافة أن يغبن، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا.
وقال بشر بن الحارث الحافي: لا غيبة لبخيل، ولشرطيٌ سخيٌ أحب إلي من عابد بخيل.
وقالوا: البخيل لا يستحق اسم الحرية، فإن ماله يملكه.
ويقال: لا مال للبخيل، وإنما هو لماله.
وقال الحسن البصري: لم أر أشقى بماله من البخيل، لأنه في الدنيا يهتم بجمعه، وفي الآخرة
يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدنيا
عيش الفقراء، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء. ودخل رحمه الله على عبد الله بن
الأهتم يعوده في مرضه، فرآه يصعد بصره ويصوبه إلى صندوق في بيته، ثم التفت إليه، فقال:
يا أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف دينار في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاةً ولم أصل بها
رحماً؟ فقال له: ثكلتك أمك! ولم كنت تجمعها؟ قال لروعة الزمان، وجفوة السلطان،
وتكاثر العشيرة، ثم مات، فشهده الحسن، فلما فرغ من دفنه، ضرب بيده على القبر، ثم
قال: انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه، وجفوة سلطانه، بما استودعه الله
إياه، وعمره فيه. انظروا إليه كيف خرج مذموما مدحورا! ثم التفت إلى وارثه، فقال: أيها

الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالا، فلا يكونن عليك
وبالا، أتاك عفوا صفوا، ممن كان له جموعا منوعا، من باطل جمعه، ومن حق منعه، قطع
فيه لجج البحار، ومفاوز القفار، ولم تكدح لك فيه عينٌ ولم يعرق لك فيه جبين، إن يوم
القيامة يوم ذو حسرات، وإن من أعظم الحسرات غدا، أن ترى مالك في ميزان غيرك،
فيالها حسرة لا تقال، وتوبة لا تنال.
ومن أخبار البخلاء: قيل: بخلاء العرب أربعة، الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود
الدؤلي وخالد بن صفوان، ونقلت عنهم أمور دلت على بخلهم.
أما الحطيئة: فقد حكي عنه: أنه مر به ابن الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له:
السلام عليكم، فقال: قلت ما لا ينكر، فقال: إني خرجت من أهلي بغير زاد، قال: ما
ضمنت لأهلك قراك، قال: أفتأذن لي أن آتي بظل بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء
عليك، قال أنا ابن الحمامة، قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت. قال: واعترضه رجل
وهو يرعى غنما، فقال له: يا راعي الغنم، وكان بيد الحطيئة عصاً فرفعها، وقال: عجراء
من سلم، فقال الرجل: إنما أنا ضيف، فقال: للأضياف أعددتها. وكان الحطيئة أحد
الحمقى، أوصى عند موته، أن يحمل على حمار، وقال: لعلي إن حملت عليه، لا أموت،
فإني ما رأيت كريما مات عليه قط وقال: لكل جديد لذيذ إلا جديد الموت فإني رأيته غير
لذيذ. وقيل له: أوص، فقال: أوصي أن مالي للذكور دون الإناث، قالوا: فإن الله ليس يقول
كذلك، قال: لكني أقوله. وقالوا له: قل لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن الشماخ أشعر
غطفان.
ومن أخباره: أن الزبرقان بن بدر، لقيه في سفر، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا حسبٌ
موضوع، أنا أبو مليكة، فقال له الزبرقان: إني أريد وجهاً، فصر إلى منزلي، وكن هناك،
حتى أرجع، فصار الحطيئة إلى امرأة الزبرقان، فأنزلته وأكرمته، فحسده بنو عمه، وهم بنو
لأيٍ، فقالوا للحطيئة: إن تحولت إلينا، أعطيناك مائة ناقةٍ، ونشد إلى كل طنب من أطناب

بيتك حلةً تحويه، وقالوا لامرأة الزبرقان: إن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته، فقدح
ذلك في نفسها، فلما أراد القوم النجعة، تخلف الحطيئة، فتغافلت عنه امرأة الزبرقان،
فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا، فمدحهم، وهجا الزبرقان، فقال:

أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم ولا يرى طاردا للحر كاليأس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحكم عمر، حسان ابن ثابت،
فقال حسان: ما هجاه ولكن سلح عليه، فحبس عمر الحطيئة، فقال يستعطفه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخٍ حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجر
ألقيت كاسبهم فَي قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما آثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الآثر

فأخرجه عمر، وجلس على كرسي، وأخذ بيده شفرة، وأوهم أنه يريد قطع لسانه، فضج،
وقال: إني والله يا أمير المؤمنين! قد هجوت أبي وأمي وآمرأتي ونفسي، فتبسم عمر، ثم
قال: ما الذي قلت؟ قال: قلت لأبي وأمي:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لأبي خاصة:

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأمي خاصة:

تنحي واجلسي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا
أغر بالا إذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا

وقلت لامرأتي:

أطوف ما أطوف ثم آتي إلى بيت قعيدته لكاع

وقلت لنفسي:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجهٍ وقبح حامله

فخلى عمر سبيله، وأخذ عليه أن لا يهجو أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف اشتري بها منه
أعراض المسلمين، فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتماً يضر ولا مديحا ينفع
ومنعتني عرض البخيل فلم يخف شتمي وأصبح آمناً لا يجزع

وأما حميد الأرقط: فكان هجاءً للضيف، فحاشاً عليه، فنزل به ضيف ذات ليلة، فقال
لامرأته: نزل بك البلاء، قومي فأعدي لنا شيئا، ففعلت، فجعل الضيف يأكل ويقول: ما فعل
الحجاج بالناس؟ فلما فرغ، قال حميد:

يجر على الأطناب من جذل بيتنا هجفٌ لمخزون التحية باذل
يقول وقد ألقى المراسي للقرى أين لي ما الحجاج بالناس فاعل

فقلت: لعمري ما لهذا أتيننا فكل ودع الأخبار ما أنت آكل
تدبر كفاه ويحدر حلقه إلى الصدر ما حازت عليه الأنامل
أتانا ولم يعدله سحبان وائلٍ بيانا وعلماً بالذي هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العي لما أن تكلم باقل

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاهم، وادعي عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال:

باتوا وجلتنا الصهباء حولهم كأن أظفارهم فيها السكاكين
فأصبحوا والنوى ملقى معرسهم وليس كل النوى ألقى المساكين

وأما خالد بن صفوان: فكان إذا أخذ جائزته، قال للدرهم: طالما سرت في البلاد، أما
والله لأطيلن حبسك، ولأديمن لبثك. وقيل له: مالك لا تنفق، فإن مالك عريض؟ فقال:
الدهر أعرض منه، قيل: كأنك تؤمل أن تعيش الدهر كله، قال: ولا أخاف أن أموت في
أوله.

وأما أبو الأسود الدؤلي: فعمل دكانا عاليا يجلس عليه، فكان ربما أكل عليه فلا يناله
المجتاز، فمر به أعرابي على جمل، فعرض عليه أن يأكل معه، وظن أنه لا يناله، فأناخ
الأعرابي بعيره، حتى وازى الدكان، وأكل معه، فما جلس بعد ذلك على الدكان، وكان
يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا، كنا أسوأ حالا منهم، وقال لبنيه: لا تطمعوا المساكين في
أموالكم، فإنهم لا يقنعون منكم، حتى يروكم في مثل حالهم.

ووقف عليه أعرابي وهو
يتغدى، فسلم عليه، فرد عليه، ثم أقبل على الأكل، ولم يعرض عليه، فقال الأعرابي: أما إني
قد مررت بأهلك، قال: كان ذلك طريقك، قال: وهم صالحون، قال: كذلك فارقتهم، قال:
وامرأتك حبلى، قال: كذلك كان عهدي بها، قال: ولدت، قال: ما كان بدٌ لها أن تلد، قال:
ولدت غلامين، قال: كذلك كانت أمها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تقوى على رضاع

اثنين، قال: ثم مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد أخيه، قال: وماتت الأم، قال: جزعاً
على ولديها، قال: ما أطيب طعامك! قال: ذلك جزائي على أهله، اف لك ما ألأمك!
قال: من شاء سب صاحبه.
ونظير هذه الحكاية: ما حكي أن أعرابياً مر بآخر، فقال: من أين أقبلت يا بن عم؟ قال:
من الثنية، قال: فهل أتيتنا منها بخبر؟ قال: سل عما بدا لك، قال: كيف علمك بيحيى؟
قال: أحسن العلم، قال: هل لك علم بكلبي نفاع؟ قال: حارس الحي، قال: فبأم عثمان؟
قال بخٍ بخٍ، ومن مثل أم عثمان! لا تدخل من الباب إلا منحرفة بالثياب المعصفرات، قال:
فبعثمان؟ قال: وأبيك فإنه جرو الأسد ويلعب مع الصبيان، وبيده الكسرة، قال: فبجملنا
السقاء؟ قال: إن سنامه ليخرج من الغبيط، قال فبالدار؟ قال: وأبيك، إنها لخصيبة
الجناب، عامرة الفناء، ثم قال عنه، وقعد ناحيةً يأكل فلا يدعوه، فمر كلب، فصاح به،
وقال: يا بن عم، أين هذا الكلب من نفاع؟ قال: يا أسفا على نفاع! مات، قال: وما
أماته؟ قال: أكل من لحم الجمل السقاء، فاغتص بعظمٍ منه فمات، قال: إنا لله، أو قد مات
الجمل! فما أماته؟ قال: عثر بقبر أم عثمان، فانكسرت رجله.
قال: ويلمك! أماتت أم
عثمان؟ قال: إي والله، أماتها الأسف على عثمان. قال: ويلك! أمات عثمان؟ قال: إي
وعهد الله! سقطت الدار عليه، فرمي الأعرابي بطعامه ونثره وأقبل ينتف لحيته ويقول: إلى
أين أذهب؟ فيقول الآخر إلى النار، وأقبل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك، ويقول: لا
أرغم الله إلا أنف اللئام.
وكان أحيحة بن الجلاح من البخلاء، وكان إذا هبت الصبا، طلع أطمة، ينظر إلى ناحية
هبوبها ثم يقول: هبي هبوبك، فقد أعددت لك ثلثمائةٍ وستين صاعا من عجوة، أدفع إلى
الوليد منها، خمس نمرات، فيرد علي منها ثلاثا، أي لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها.
والعرب تضرب المثل في اللؤم بمادر، تقول: هو ألأم من ماردٍ، ويزعمون أنه بني حوضا
وسقى إبله، فلما أصدرها سلح في الحوض، لئلا يسقي غيره فيه.

وكان عمر بن يزيد الأسدي مبخلا جدا، فأصابه القولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير،
فانحل ما في بطنه، فلما أبرزه، قال للغلام: ما تصنع به؟ قال أصبه، قال: لا ولكن ميز
الدهن منه واستصبح به.
وقال سلم بن أبي المعافي: كان أبي متنحياً عن المدينة، وكان إلى جنبه مزرعة فيها قثاء،
وكنت صبيا فجاءني صبيان أقران لي، فكلمت أبي ليهب لي درهما أشتري لهم به قثاء،
فقال لي: أتعرف حال الدرهم؟ كان في حجر في جبل، فضرب بالمعاول، حتى استخرج، ثم
طحن، ثم أدخل القدر وصب عليه الماء، وجمع بالزئبق، ثم صفى من رق، ثم أدخل النار
فسبك، ثم أخرج فضرب، وكتب في أحد شقيه: لا إله إلا الله، وفي الآخر: محمد رسول
الله، ثم حمل إلى أمير المؤمنين، فأمر بإدخاله بيت ماله، ووكل به عوج القلانس صهب
السبال، ثم وهبه لجارية حسناء جميلة، وأنت والله أقبح من قردٍ، أو زرقه رجلا شجاعا
وأنت والله أجبن من صرد، فهل ينبغي لك أن تمس الدرهم إلا بثوب؟ ومثله قول سهل بن
هارون، وقد قال له رجل: هبني ما لا مرزئة عليك فيه، قال: وما ذاك؟ قال: درهما
واحدا، قال: يا بن أخي لقد هونت الدرهم، وهو طابع الله في أرضه، والدرهم ويحك
عشر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشر دية المسلم، ألا ترى
يا بن أخي كيف انتهى الدرهم الذي هونته؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟
وقال سليمان بن مزاحم، وقد وقع بيده درهم ، فجعل يقلبه، ويقول: في شق، لا إله إلا الله
محمد رسول الله، وفي شق، قل هو الله أحد، ما ينبغي لهذا إلا أن يكون تعويذاً أو رقية،
ويرمي به في الصندوق.
كان بعضهم إذا صار الدرهم في يده يخاطبه ويقول: بأبي وأمي أنت، كم من أرض قطعت،
وكيس خرقت، وكم من خامل رفعت، ومن رفيعٍ أخملت، لك عندي أن لا تعري ولا
تضحي، ثم يلقيه في كيسه، فيقول: اسكن على اسم الله، في مكان لا تزول عنه، ولا تزعج
منه.

ومن البخلاء مزبد وله حكايةٌ نذكرها، قيل: كان بالمدينة جارية جميلة مغنيةٌ، يقال لها:
بصبص وكانت الأشراف تجتمع عند مولاها، فاجتمع يوما عنده محمد بن عيسى الجعفري
وعبد الله بن مصعب الزبيري في جماعةٍ من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت
الجارية: أنا آخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاها: أنت حرة إن فعلت إن لم أشتر لك مخنقة
بمائة دينار وثوب وشي بمائة دينار، وأجعل لك مجلسا بالعقيق أنحر فيه بدنةً، فقالت: جيء
به، وارفع الغيرة، حتى أفعل، فقال: أنت حرة إن منعتك منه، ولأعاوننه عليك إن حصلت
منه الدرهم، فقال عبد الله بن مصعب: أنا آتيكم به، قال عبد الله: فصليت الغداة في
المسجد، فإذا أنا به قد أقبل، فقلت: يا أبا إسحاق، إنا نحب أن نرى بصبص؟ قال: بلى
والله، وامرأته طالقٌ إن لم تكن له سنة يشتهي أن يلقاها، فقلت له: إذا صليت العصر،
فاتني ها هنا، فقال: امرأته طالق إن برح من ها هنا إلى العصر قال فانصرفت في حوائجي،
فلما كان العصر جئت فوجدته، فأخذت بيده، وأتيتهم به، فأكل القوم وشربوا حتى صليت
العتمة، ثم تساكروا وتناوموا، فأقبلت بصبص على مزبد، فقالت له: يا أبا إسحاق، كأني
والله في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة:
لقد حثوا الجمال ليهربوا منا فلم يئلوا
فقال لها: امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللوح المحفوظ، فغنته إياه، ثم قالت له: كأني
بك تشتهي أن أقوم من مجلسي فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك في جلبابي، فقال: امرأته
طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام، وما تكسب الأنفس غداً قالت: فقم، فقام وجلس
إلى جانبها وغنت له، ثم قالت: أعلم أنك تشتهي أن أغنيك:
أنا أبصرت بالليل غلاماً حسن الدل
كغصن البان قد أصبح مسقياً من الطل
فقال لها: امرأته طالق أن لم تكوني نبيةً مرسلةً، فغنته وقبلها، ثم قالت: يا أبا إسحاق، هل
رأيت قط أنذل من هؤلاء؟ يدعونني ويدعونك؟ ويخرجونني إليك ولا يشترون نقلا ولا
ريحانا، كأني بك وفي جيبك درهم وأنت تقول: الساعة أخرجه، وأعطيها إياه، وتشتري به

ما تريد، فقام من جنبها وقال: أخطأت استك الحفرة، وانقطع عنك الوحي، ووثب وجلس
ناحية، فانتبه القوم وعطعطوا عليها وعلموا أن حيلتها لم تتم، وخرج من عندهم ولم يعد
إليهم.
وقال بعضهم: بت عند رجل من أهل الكوفة من الموسرين، وله صبيان نيام، فرأيته في الليل
يقوم فيقلبهم من جنب إلى جنب، فلما أصبحنا سألته عن ذلك، فقال: هؤلاء الصبيان
يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام، ويصبحون جياعا، فأنا أقلبهم من اليسار إلى
اليمين لئلا ينهضم ما أكلوه سريعا.
وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة، وكان فيه بخلٌ وجفاء، فأهدي إليه
كاتب له سلالاً فيها أطعمةٌ، وقد تنوق فيها فوافته وقد تغدى، فقال: ما هذه؟ قالوا: غداء
بعثه فلان الكاتب، فغضب، وقال: يبعث أحدهم الشيء في غير وقته، يا خيثم بن مالك!
يريد صاحب شرطته، ادع لي أهل الصفة يأكلون هذا، فبعث خيثم الحرس يدعونهم، فقال
الرسول الذي جاء بالسلال: أصلح الله الأمير، لو أمرت بهذه السلال تفتح وينظر ما فيها،
قال: اكشفوها فإذا طعام حسن من دجاجٍ وفراخ وجداءٍ وسمك وأخبصة وحلواء فقال:
ارفعوا هذه السلال، وجاء أهل الصفة، فأخبر بهم، فأمر بإحضارهم، وقال: يا خيثم!
اضربهم عشرة أسواط، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم.
ومن الخلفاء من ينسب إلى البخل، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برتح الحجر ولبن
الطير لبخله.
ومنهم هشام ابنه وكان ينظر في بيع الهدايا التي تهدي إليه.
حكي عنه أن أعرابياً أكل
عنده فرفع اللقمة إلى فيه، فقال له هشام: في لقمتك شعرة يا أعرابي، فقال: وإنك تلاحظني
ملاحظة من يرى الشعرة، والله لا أكلت عندك أبدا، ثم قام وانصرف.
ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق، لقب بذلك لأنه لما بني مدينة بغداد كان
يباشرها بنفسه ويحاسب الصناع، فيقول لهذا: أنت نمت القائلة، ولهذا: لم تبكر، ولهذا:

انصرفت قبل أن تكمل اليوم، فيسقط لهذا دانقا، ولهذا دانقين، فلا يكاد يعطي لأحد أجرةً
كاملة، وكان يقول: يزعمون أني بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد المال،
فمنعتهم عنه، ليكونوا عبيدا لي. ويحكي عنه أنه قال لطباخه: لكم ثلاثة وعليكم اثنتان،
لكم الرءوس والأكارع والجلود، وعليكم الحبوب والتوابل. ومن حكاياته الدالة على بخله:
أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما: يا أمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك وهم كثير، وقد
طالت أيامهم ونفدت نقفاتهم، فقال: اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل لهم من مدحنا منكم
فلا يصف الأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا الحية، فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب،
ولا الجبل فإنه حجر أصم، ولا البحر، فإنه عطن بض لجبٌ، فمن ليس في شعره شيء من
هذا فليدخل، ومن كان في شعره شيءٌ منه فلينصرف، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم
بن هرمة فقال: أنا له يا ربيع فأدخلني عليه: فأدخله، فلما مثل بين يديه، قال له: يا ربيع قد
علمت أنه لا يجيبك غيره فأنشده قصيدته التي منها:

له لحظات في حفافي سريره إذا كرها فيها عقاب ونائل
فأم الذي أمنت آمنة الردى وأم الذي خوفت بالثكل ثاكل

فرفع له الستر وأقبل عليه وأصغى إليه، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم
وقال له: يا إبراهيم، لا تتلفها طمعا في نيل مثلها منا، فما كل وقت تصل إلينا، فقال
إبراهيم: ألقاك يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجهبذ.
ودخل المؤمل بن أميل على المهدي وكان بالري، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه المنصور،
فامتدحه بأبيات يقول فيها:

هو المهدي إلا أن فيه مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما أنارا يشكلان على البصير
فهذا في الضياء سراج عدلٍ وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا على ذا بالمنابر والسرير
وبعض الشهر يخفي ذا وهذا منير عند نقصان الشهور

وجاء منها:

فإن سبق الكبير فأهل سبقٍ له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبيرٍ فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو ببغداد، فكتب

إلى المهدي يلومه ويقول له: إنما كان ينبغي أن تعطي الشاعر إذا أقام ببابك سنة، أربعة
آلاف درهم، وأمره أن يوجهه إليه، فطلب فلم يوجد، وتوجه إلى بغداد، فكتب إلى
المنصور بذلك، فأمر بإرصاده فمسك، وقيل له أنت بغية أمير المؤمنين وطلبته، قال المؤمل:
فكاد قلبي ينخلع خوفا وفرقا، ثم أخذ بيدي وانطلق بي إلى الربيع، فأدخلني على المنصور،
وقال: يا أمير المؤمنين، هذا المؤمل ابن أميل قد ظفر به، فسلمت عليه، فرد علي السلام،
فسكن جأشي واطمأن قلبي وزال روعي، ثم قال لي: أتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع،
فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما أتيت ملكا جوادا كريما، فمدحته فحملته أريحيته على أن
وصلني وبرني، فأعجبه ذلك، ثم قال: أنشدني ما قلت فيه، فأنشدته، فقال: والله لقد
أحسنت، لكن ما يساوي عشرين ألفا، يا ربيع، خذ المال منه، وأعطه منه أربعة آلاف
درهم، فلما ولي المهدي الخلافة، قدم عليه المؤمل، فأخبره بما كان بينه وبين أبيه، فضحك
ورد عليه ما أخذ منه.
وحكي ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة: أن المنصور حج في بعض السنين فحدا به
سالم الحادي يوما بقول الشاعر:

أبلج بين حاجبيه نوره إذا تغدى رفعت ستوره
يزينه حياؤه وخيره ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل، ثم قال: يا ربيع، أعطه نصف درهم، فقال
سالم: لا غير، يا أمير المؤمنين، والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فأمر لي بثلاثين ألف
درهم، فقال المنصور: ما كان له أن يعطيك من بيت المال ما ذكرت، يا ربيع! وكل به من
يستخرج منه هذا المال، قال الربيع: فما زلت أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدو به في
خروجه ورجوعه بغير مؤنةٍ، وكان سالم هذا يورد الإبل لثمان ولتسع ولعشر، فيحدو لها
فيلهيها حدوه عن ورود الماء. ومن طريف ما حكى عنه: أن عبيد الله بن زياد الحارثي،
كتب إليه رقعة بليغة يستميحه فيها، فوقع عليها: إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا لرجل
أبطراه، وإن أمير المؤمنين مشفق عليك، فاكتف بالبلاغة.

وقد ذم الشعراء البخل وهجوا من اتصف به، فمن ذلك، وهو أبلغ ما قاله محدث، قول ابن الرومي

الحابس الروث في أعفاج بغلته خوفا على الحب من لقط العصافير

وقال العسكري: أبلغ ما قيل في البخل، قول ابن الرومي

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منخرٍ واحد
رضيت لتشتيت أمواله يدى وارث ليس بالحامد

وقال أبو تمام

صدق أليته إن قال مجتهداً لا والرغيف فذاك البر من قسمه
وإن هممت به فافتك بخبزته فإن موقعها من لحمه ودمه
قد كان يعجبني لو كان غيرته على جرادقه كانت على حرمه

وقال دعبل

استبق ود أبى المقا تل حين تأكل من طعامه
سيان كسر رغيفه أو كسر عظم من عظامه
وتراه من خوف النزي ل به يروع في منامه

وقال أبو هلال العسكري

خبز الأمير عشيقه يغدو عليه يلاعبه
وإذا بدا لجليسه أفضى إليه يعاتبه
وتحوطه حراسة وتذب عنه كتائبه
فالزور يصفع عنده والضيف ينتف شاربه

وقال آخر

فتى لرغيفه قرط وشنف وإكليلان من در وشذر
إذا كسر الرغيف بكى عليه بكاالخنساء إذ فجعت بصخر
ودون رغيفه قلع الثنايا وحرب مثل وقعة يوم بدر

وقال آخر

إن هذا الفتى يصون رغيفا ما إليه لآكلٍ من سبيل
هو في سفرتين من أدم الطا ئف في سلتين من زنبيل
ختمت كل سلةٍ برصاص وسيور قددن من جلد فيل
في جراب في جوف تابوت موسى والمفاتيح عند ميكائيل

وقال العسكري

قل خير ابن قاسم فغناه كعدمه
كاد من خشية القرى يختبى في حرامه
جاز في اللؤم حده كأبيه وعمه
كاد يعديك لؤمه لو تسميت باسمه

وقال أيضاً:

لله برمه نزهتها من أن تدنس بالدسم
بيضاء يشرق نورها كالبدر في غسق الظلم
لو كان عرضك مثلها كنت الممدوح في الأمم
أو كان فعلك مثل قو لك كنت تاريخ الكرم

وقال أيضاً:

ضفت عمرا فجاءني برغيف زادني أكله على الجوع جوعا
ثم ولى يقول وهو كئيب: لهف نفسي على رغيف أضيعا
كان خداعه الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوع خديعا
كنت أنزلته محلاً رفيعاً فغدا ذلك الرفيع وضيعا
عجباً منه إذ أبيح حماه كيف لم يمتنع وكان منيعا
وقال آخر
أرى ضيفك في الدار وكرب الموت يغشاه
على خبرك مكتوب فسيكفيكم الله"
وقال بشار
وضيف عمرو وعمرو يسهران معا عمرو لبطنته والضيف للجوع
وقال آخر
نوالك دونه خرط القتاد وخبزك كالثريا في البعاد
ولو أبصرت ضيفا في منام لحرمت المنام إلى التنادى
أرى عمر الرغيف يطول جدا لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كفء شعري ولكني هجوتك للكساد
وقال العسكري
قد كان للمال ربا فصار بالبخل عبده
وصحف الصيف ضيفا فراح يلطم خده
وقال أبو نواس في إسماعيل بن نوبخت، بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمه،
وآصطبح فيها أربعين يوما ومعه جماعة. منهم أبو نواس، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم،
ثم قال بعد ذلك
خبز إسماعيل كالوش ى إذا ما شق يرفا
عجبا من أثر الصن عة فيه كيف تخفى؟
إن رفاءك هذا ألطف الأمة كفا
فإذا ألصق بالنص ف من الجردق نصفا
الطف الصنعة حتى ما ترى مطعن إشفى
مثل ما جاء من التن ور ما غادر حرفا
وله في الماء أيضا عمل أبدع ظرفا
مزجه العذب بماء ال بئركي يزداد ضعفا
فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب صرفا
وقال فيه
على خبز إسماعيل واقية البخل فقد حل في دار الأمان من الأكل
وما خبزه إلا كعنقاء مغرب يصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى
وما خبزه إلا كاوي يرى ابنه ولم ير آوى في الحزون وفي السهل

وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالي يحمي عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستب خصمان عنده ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل
فإن خبز إسماعيل حل به الذي أصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذل
ولكن قضاء ليس يسطاع رده بحيلة ذي مكرٍ ولا دهى ذي عقل
وقال ابن الرومي
بخيل يصوم أضيافه ويبخل عنهم بأجر الصيام
يدس الغلام فيوليهم هوانا فيشتم مولى الغلام
فهم مفطرون وهم صائمون وما يطعمون وهم في أثام
فيحتال بخلا لأن يفطرون على رفث القول دون الطعام
وقال أحمد بن كشاجم
صديق لنا من أبرع الناس في البخل وأفضلهم فيه وليس بذي فضل
دعاني كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيته يرى أنه من بعض أعضائه أكلي
ويغتاظ أحيانا ويشتم عبده وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلي
فأقبلت أستل الغداء مخافةً وألحاظ عينيه رقيبٌ على فعلي
أمد يدي سرا لأسرق لقمةً فليحظني شزراً فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفي لحتفي جنايةً وذلك أن الجوع أعدمني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجةٍ فجرت كما جرت يدي رجلها رجلي
وقدم من بعد الطعام حلاوةً فلم أستطع فيها أمرُ ولا أحلي
وقمت لو أني كنت بيت نيةً ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل
وقال آخر:
تراهم خشية الأضياف خرساً يقيمون الصلاة بلا أذان
احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل
قالت الحكماء: لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته، كعنايتك باكتسابه.
وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه: لا تجاودوا الله، فإنه أكرم وأجود، ولو شاء أن يغني الناس
كلهم لفعل، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر، وقوما لا يصلحهم ولا
يصلح لهم إلا الغنى.
وقال رجل من تغلب: أتيت رجلا من كندة أسأله، فقال: يا أخا بني تغلب، إني لن أصلك

حتى أحرم من هو أقرب إلى منك، وإنه لم يبق من مالي وعرضي وأهلي إلا ما منعته من الناس.

وقيل: إن لقمان الحكيم، قال لابنه: يا بني، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

وقال أبو الأسود: إمساكك ما تبذل، خير من طلبك ما يبذل غيرك، وأنشد:

يلومونني في البخل جهلاً وضلةً  وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل

ونظيره قول المتلمس:

وحبس المال أيسر من بغاه  وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه  ولا يبقى الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ: قلت للحزامي: يا بخيل! قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال لي: بخيل إلا وأنا ذو مال فسلم لي المال، وسمني بأي اسم شئت، قلت: ولا يقال لك: سخي، إلا وأنت ذو مال، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد، وجمع لذاك المال والذم، فقال: بينهما فرق عجيب، وبون بعيد، إن في قولهم: بخيل، سببا لمكث المال في ملكي، وفي قولهم: سخي، سببا لخروجه عن ملكي، واسم البخل فيه حزم وذم واسم السخاء فيه تضييع وحمد، وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه وعري ظهره وضاع عياله وشمت به عدوه.

وقال محمد بن الجهم: من شأن من استغنى عنك، أن لا يقيم عليك، ومن احتاج إليك أن لا يزول من عندك، ومن حبك لصديقك وضنك بمودته أن لا تبذل له ما يغنيه عنك، وأن تتلطف له فيما يحوجه إليك.

وقد قيل في مثل هذا: "أجع كلبك يتبعك، وسمنه يأكلك"، فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر، وقطع أسباب الشكر، والمعين على الغدر شريك للغادر، كما أن المزين للفجور شريكٌ للفاجر.

وقال أبو حنيفة: لا خير فيمن لا يصون ماله ليصون به عرضه، ويصل به رحمه ويستغني به عن لئام الناس، قال عبد الله بن المعتز:

أعاذل ليس البخل مني سجيةً  ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خيرُ من البخل للفتى  وللبخل خيرٌ من سؤال بخيل

وكان داود بن علي يقول: لأن يترك الرجل ماله لأعدائه، خيرٌ من الحاجة في حياته لأوليائه،
قال الشاعر:
مالٌ يخلفه الفتى للشامتين من العدا
خير له من قصده إخوانه مسترفدا
وقال سفيان الثوري: لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها، أحب إلي من أن
أحتاج إلى الناس، وقال: كان المال فيما مضى يكره، وأما اليوم فهو يزين المؤمن، وجاءه رجل
فقال له: يا أبا عبد الله، تمسك هذه الدنانير! فقال: اسكت، فلولاها لتمندلتنا هؤلاء
الملوك، ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحه، فإنه زمانٌ من احتاج فيه كان أول ما
يبذل دينه.
وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمي: إنك لسيد لولا جمودٌ فيك،فقال: يا أمير المؤمنين،
إني لأجمد في الحق، ولا أذوب في الباطل.
وكان محمد بن الجهم يقول: من وهب من عمله، فهو أحمق، ومن وهب بعد العزل، فهو
مجنون، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه، فهو مخذول، ومن وهب من كسبه وما
استفاده بحيلة، فهو المطبوع على قلبه، المأخوذ ببصره وسمعه.
وسأل رجل زياد بن أبيه، فأعطاه درهما، فقال: صاحب العراقين أسأله فيعطيني درهما؟
فقال له زياد: من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص عباده عنده وأكرمهم لديه
التمرة واللقمة، وما يكبر عندي أن أصل رجلا بمائة ألف درهم، ولا يصغر أن أعطي سائلا
رغيفا، إن كان رب العالمين فعل ذلك. قال الشاعر:
يا رب جود جر فقر امريءٍ فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه فالبخل خير من سؤال البخيل
وقال الشريف بن الهبارية:
لأصونن درهمي فهو لا شكٌ صائني
لم يعني ابن والدي وصحيحي أعانني
وقال أيضا:
لله در دراهمي فهي التي أعلت مكاني
لولا الغنى عن صاحبي لأحلني دار الهوان
وقال آخر:
كن بما أوتيته مغتبطا تستدم عيش القنوع المكتفي
إن في نيل المنى وشك الردى واجتناب القصد عين السرف
كسراجٍ دهنه قوتٌ له فإذا غرقته فيه طفى

ومن ذلك رسالة كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فاعتذر عنها
واحتج فقال: أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلمكم الخير، وجعلكم من أهله، قال
الأحنف بن قيس: يا بني تميم، لا تسرعوا إلى الفتنة، فإن أسرع الناس إلى القتال، أقلهم
حياء من الفرار، وكانوا يقولون: إذا أردت أن ترى العيوب جمةً، فتأمل عياباً فإنه يعيب
الناس بفضل ما فيه من العيب، ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب، وقبيح أن
تنهي مرشداً أو تغري مشفقا، وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم وصلاح فسادكم،
وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما
بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا به في
الآفاق دونكم، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما
أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أنيب. فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك إليكم، على ما
رعيناه من واجب حقكم، فلا العذر المبسوط بلغتم، ولا بواجب الحرمة قمتم، ولو كان
ذكر العيوب براً وفخرا، لرأينا في أنفسنا عن ذلك شغلا،
عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي
العجين فيكون أطيب لطعمه، وأزيد في ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أملكوا
العجين فإنه أحد الريعين، وعبتموني حين ختمت على سل عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة
نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدٍ نهمٍ، وصبي جشع، وأمه لكعاء، وزوجة مضيعة،
وليس بين أهل الأدب، ولا في ترتيب الحكم، ولا في عادات القادة، ولا في تدبير السادة، أن
يستوي في نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب التابع والمتبوع،
والسيد والمسود، كما لا تستوي مواضعهم في المجالس، ومواقع أسمائهم في العنوانات، ومن
شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة، وعلف حماره السمسم المقشر، وعبتموني بالختم، وقد
ختم بعض الأئمة على مد سويق، وختم على كيس فارغ، وقال طينة خير من ظنه،

فأمسكتم عمن ختم علي لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء، وعبتموني أيضا، أن
قلت للغلام: إذا زدت في المرق، فزد في الإنضاج، ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق، وقال
النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا طبخ أحدكم لحما، فليزد من الماء، فمن لم يصب لحما
أصاب مرقا". وعبتموني بخصف النعل، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة من
النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنسك، وأن الترفيع من الحزم، والتفريق من التضييع، والاجتماع
مع الحفظ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويلطع أصابعه،
ويقول: "لو أهدي إلى كراع لقبلت، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت". وقال صلى الله عليه
وسلم: "من لم يستحي من الخلال، خفت مؤنته، وقل كبره".
وقالت الحكماء: لا جديد لمن
لم يلبس الخلق، وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا، واشترط عليه أن يكون عاقلا، فأتاه به
موافقا، فقال له: أكنت به ذا معرفة؟ قال: لا، ولكني رأيته في يوم قائظ، يلبس خلقا، ويلبس
الناس جديدا، فتفرست فيه العقل والأدب، وقد علمت أن الخلق في موضعه، مثل الجديد
في موضعه، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، وسمي له موضعا، كما جعل لكل زمان حالا،
ولكل مقام مقالا، وقد أحيا الله بالسم، وأمات بالغذاء، وأغص بالماء، وقتل بالدواء، وقد
زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين، وقد جبر
الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك البعر، وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه: من أكل بيضة فقد أكل دجاجة، ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية، وقال رجل
لبعض الحكماء: أريد أن أهدي لك دجاجة، قال: إن كان لا بد، فاجعلها بيوضا،
وعبتموني حين قلت: من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع
الاقتصاد في الممتنع الغالي، وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية، وأشف من الكفاية،
فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء، وإلى التوفير عليها من وظيفة الماء، وجدت في
الأعضاء فضلا عن الماء، فعلمت أن لو كنت مكنت الاقتصاد في أوائله لخرج أوله على

كفاية آخره، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر، فعبتموني بذلك وشنعتموه علي، وقد قال
الحسن وذكر السرف: أما إنه ليكون في الماء والكلا، فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه
بالكلا، وعبتموني إلى قلت: لا يغترن أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن
قوته، وأن برى دخله أكثر من رزقه فيدعوه ذلك إلى إخراج ماله من يده، وتحويله إلى ملك
غيره، أو تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه، فلعله أن يكون معمرا وهو لا يدري
وممدودا له في السن وهو لا يشعر، ولعله أن يرزق الولد على اليأس، وتحدث عليه آفات
الكبر ما لا يخطر على باله، ولا يدركه عقله، فيسترده ممن لا يرده، ويظهر الشكوى إلى من
لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتموني بذلك، وقال
عمرو بن العاص: اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا، واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا،
وعبتموني بأن قلت: إن التلف والتبذير إلى مال المواريث، وأموال الملوك، وإن الحفظ إلى
المال المكتسب، والغنى المجتلب، وإلى ما يعرض فيه بذهاب الدين، واهتضام العرض،
ونصب البدن، واهتمام القلب أسرع، ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب
الدخل فقد أضاع المال، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر، وطاب نفسا بالذل،
وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال، مضمنٌ بالإنفاق في الحلال، وأن الخبيث ينزع إلى
الخبيث، وأن الطيب يدعو إلى الطيب، وأن الإنفاق في الهوى، حجاب دون الحقوق، وأن
الإنفاق في الحقوق حجاب دون الهوى، فعبتم علي هذا القول، وقد قال معاوية بن أبي
سفيان: لم أر تبذيرا قط، إلا وإلى جنبه حقٌ مضيع، وقال
الحسن: إذا أردتم أن تعرفوا من
أين أصاب الرجل ماله، فانظروا في أي شيء ينفقه، فإن الخبيث إنما ينفق في السرف، وقلت
لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر مني إليكم، أنتم في دار الآفات، والجوائح غير مأمونات،
فإن أحاطت بمال أحدكم آفةٌ، لم يرجع إلى ثقة، فاحذروا النقم، باختلاف الأمكنة، فإن
البلية لا تجري في الجميع، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العبد، والأمة،

والشاة، والبعير: فرقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين، وقال ابن سيرين لبعض البحريين:
كيف تصنعون في أموالكم؟ قالوا: نفرقها في السفن، فإن عطب بعض، سلم بعض، ولولا أن
السلامة أكثر، ما حملنا أموالنا في البحر، فقال ابن سيرين: تحسبها خرقاء وهي صناعٌ،
وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقي عليكم: إن للغنى سكرا، والمال نزوةً، فمن لم يحفظ
الغنى من سكره، فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله، فعبتموني بذلك،
وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحدٌ أقصر عقلا، من غنى أمن الفقر، وسكر الغنى أشد من
سكر الخمر، وقد قال الشاعر في يحيى ابن خالد:

وهوبٌ تلاد المال فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزما

وعبتموني حين زعمتم، أني أقدم المال على العلم، لأن المال به يفاد العلم، وبه تقوم النفس،
قبل أن يعرف فضل العلم، فهو أصل، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع، فقلتم. كيف
هذا؟ وقد قيل لبعض الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ فقال: العلماء، قيل له: فما بال
العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة
العلماء بحق المال، وجهل الأغنياء بحق العلم، فقلت: حالهما هي القاضية بينهما، وكيف
يستوي شيء حاجة العلماء إليه، وشيء يغني فيه بعضهم عن بعض، وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم، والفقراء باتخاذ الدجاج، وقال أبو بكر الصديق
رضي الله عنه: إني لأبغض أهل البيت ينفقون نفقة الأيام في اليوم الواحد، وكان أبو الأسود
الدؤلي يقول لولده: إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض، وعبتموني حين
قلت: إن فضل الغنى عن القوت، إنما هو كفضل الآلة تكون في البيت، إن احتيج إليها
استعملت، وإن استغنى عنها كانت عدةً، وقد قال الحصين بن المنذر: وددت أن لي مثل
أحد ذهبا لا أنتفع منه بشيء، قيل له: فما كنت تصنع به؟ قال: لكثرة من كان يخدمني
عليه، لأن المال مخدوم، وقال بعض الحكماء: عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن فيه إلا أنه عزٌ
في قلبك، وذلٌ في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيما، والنفع عظيما، ولسنا ندع سيرة

الأنبياء، وتأدب الخلفاء، وتعليم الحكماء، لأصحاب الهوى، فلستم علي تردون، ولا رأيي
تفندون، فقدموا النظر قبل العزم، وأدركوا ما عليكم من قبل أن تدركوا مالكم، والسلام.
ومن نوادر البخلاء، قال رجل لبعض البخلاء: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيد
المضغ سريع البلع، إذا أكلت لقمةً هيأت أخرى، قال: يا أخي أتريد إذا أكلت عندك أن
أصلي ركعتين بين كل لقمتين؟
وقال آخر لبخيل: لم لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك تعلق، وتشدق، وتحدق، أي تحمل
واحدة في يدك، وأخرى في شدقك، وتنظر إلى الأخرى بعينك.
وقال بعض البخلاء: أنا لا آكل إلا نصف الليل، قيل له: ولم؟ قال يبرد الماء، وينقمع الذباب،
وآمن فجأة الداخل، وصرخة السائل.
وطبخ بعض البخلاء قدراً، وجلس يأكل مع زوجته فقال: ما أطيب هذا الطعام! لولا كثرة
الزحام، فقالت: وأي زحام وما ثم إلا أنا وأنت؟ قال: كنت أحب أن أكون أنا والقدر.
وقال بعض البخلاء لغلامه: هات الطعام، وأغلق الباب، فقال: يا مولاي، ليس هذا بحزم،
وإنما أغلق الباب، وأقدم الطعام، فقال له: أنت حرُ لوجه الله.
وعزم بعض إخوان أشعب عليه ليأكل عنده، فقال: إني أخاف من ثقيل يأكل معنا فينغص
لذتنا، فقال: ليس عندي إلا ما تحب فمضى معه فبينما هما يأكلان، إذا بالباب قد طرق،
فقال أشعب: ما أرانا إلا صرنا لما نكره، فقال صاحب المنزل: إنه صديق لي، وفيه عشر
خصال، إن كرهت منها واحدة لم آذن له، فقال أشعب: هات، قال: أولها، أنه لا يأكل ولا
يشرب، فقال: التسع لك ودعه يدخل، فقد أمنا منه ما نخافه.
التطفيل وأخبار الأكلة والمؤاكلة
والتطفيل من اللؤم، وهو التعرض إلى الطعام، من غير أن يدعى إليه، وسنذكر تلو هذا
الفصل آداب الأكل، والمؤاكلة، والاقتصاد في المطاعم، والعفة عنها، وما يجري هذا المجرى،
وإن كان خارجا عنه، وإنما الشيء يذكر بالشيء، والعرب تقول للطفيلي: الوارش،
والراشن، قيل: هو مشتق من الطفل، وهو الظلمة لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام
الذي لم يدع إليه مستترا بالظلمة، لئلا يعرف. وقيل: سمي بذلك، لإظلام أمره على الناس،

لا يدري من دعاه، وقيل: بل من الطفل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار، فيكون
من الظلمة، ولذلك قيل: "أطفل من ليل على نهار"، وأول من سمي بهذا الاسم: طفيل
العرائس، وإليه ينسب الطفيليون، وكان يقول لأصحابه: إذا دخل أحدكم عرسا، فلا يلتفت
تلفت المريب، ويتخير المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليمض ولا ينظر في عيون
الناس، ليظن أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وإن كان
البواب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يعنف عليه، ولكن بين النصيحة
والإدلال.
وأشهر من نسب إليه هذا الاسم، وكثرت عنه الحكايات، بنان الطفيلي، وهو عبد الله بن
عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بنان، وأصله مروزي وأقام ببغداد، وكان نقش خاتمه،
مالكم لا تأكلون. حكي أن رجلا سأله أن يدعو له، فقال: اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة
الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المعدة، وأمتعه بضرس طحون، ومعدة هضوم، مع السعة
والدعة، والأمن والعافية، وقال يوصي بعض أصحابه: إذا قعدت على مائدة وكان موضعك
ضيقا فقل للذي يليك: لعلى ضيقت عليك فإنه يتأخر إلى خلف، ويقول: موضعي واسع،
فيتسع عليك موضع رجل، وقال له طفيليٌّ: أوصني، فقال: لا تصادفن من الطعام شيئا،
فترفع يدك عنه وتقول: لعلي أصادف ما هو أطيب منه، فإن هذا عجز ووهنٌ، قال: زدني،
قال: إذا وجدت خبزا فيه قلة، فكل الحروف، فإن كان كثيرا فكل الأوساط، قال: زدني
قال: لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفي، قال:
زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فكل منه أكل من لم يره قط، وتزود منه زاد من لا يراه أبدا،
قال: زدني، قال: إذا وجدت الطعام، فاجعله زادك إلى الله تعالى، وقال: إذا دعاك صديق
لك، فاقعد يمنة البيت فإنك ترى ما تحب، وتسودهم في كل شيء، وتسبقهم إلى كل خير،
وأنت أول من يغسل يده والمنديل جاف، والماء واسع، والخوان بين يديك يوضع، والنبيذ أول

القنينة، ورأسها تشربه، والنقل منتخب، يوضع بين يديك، وتكون أول من يتبخر، فإذا أردت
أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تتخطاهم، وأنت في كل سرور إلى أن تنصرف. قال البديع
الهمذاني في طفيليين يشبههم ببنان:

خلفتم بنانا فكم من أديبٍ  من الغيظ عض عليكم بنانا
إذا ما النهار بدا ضوءه  غدوتم خماصا ورحتم بطانا

ومنهم: عثمان بن دراج، قيل له: كيف تصنع إذا لم يدخلك أهل العرس؟ قال: أنوح على
الباب، فيتطيرون فيدخلونني. وحكي أبو الفرج الأصفهاني: أن عثمان هذا، كان يلزم
سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له: ويحك! إني أبخل بأدبك
وعلمك، وأضن بك عما أنت فيه من التطفيل ولي وظيفة راتبة في كل يوم، فالزمني وكن
مدعوا، أصلح لك مما تفعل، فقال: يرحمك الله فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم إلى
مكان؟ وأين هويناك ووظيفتك من احتفال العرس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة؟ قال:
فأما إذا ثبت ذاك: فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتني قال: أما هذا فنعم، قال: وقال له
رجل: ما هذه الصفرة التي في لونك؟ قال: من الفترة التي بين القصعتين، ومن خوفي في كل يوم
من نفاد الطعام قبل أن أشبع، وقيل له مرة: هل تعرف بستان فلان؟ فقال: إي والله، وإنه
للجنة الحاضرة في الدنيا، قيل له: فلم لا تدخل إليه فتأكل من ثماره، وتقيل تحت أشجاره،
وتسبح في أنهاره؟ قال: لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال، وعثمان هذا
الذي يقول:

لذةً التطفيل دومي  وأقيمي لا تريمي
أنت تشفين غليلي  وتسلين همومي

ولهم أخبار وحكايات، منها: ما نقل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال: كان لي جار
طفيلي، إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان
نظيفا عطرا، حسن اللباس والمركب، وكنت لا أعرف من أمره إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن
القاسم الهاشمي حقٌّ دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئذ أمير البصرة، فقلت في
نفسي: إن تبعني هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته، فلما كان يوم الحضور، جاءني الرسول،

فركبت، وإذا به قد تبعني حتى دخل بدخولي، وارتفع حيث أجلست، فلما حضرنا
الطعام، قلت: حدثنا درست ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من دخل إلى دار قوم بغير إذنهم، دخل سارقا، وخرج
مغيرا، ومن دعي ولم يجب فقد عصى الله ورسوله". فظننت أني قد أشرفت على الرجل
وقصرت من لسانه، فأقبل علي وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام في دار الأمير، فإن
الأشراف لا يحتملون التعريض باللؤم، وقد حظر الدين التعريض، وعزر عليه عمر رضي الله
عنه، ووليمة الأمير دعاء لأهل مصره فإنه سليل أهل السقاية، والرفادة، والمطعمين الأفضلين
الذين هشموا الثريد، وأبرزوا الجفان لمن غدا إليها، ثم لا توزع وأنت في بيت من العلم
معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن أبان ابن طارق وهو متروك
الحديث بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون على خلافه، لأن
حكم السارق القطع، والمغير يعزر على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على
داخل دارا في مجمع فيتناول لقما من فضل الله الذي آتي أهلها ثم لاً يحدث حدثا حتى
يخرج عنها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام
الاثنين يكفي الأربعة". حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريح عن أبي الزبير عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد
والمتن؟ قال نصر: فأصابتني خجلة شديدة، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبلي،
فلما خرجت وجدته واقفا على دابته بالباب، فلما رآني تبعني، ولم يكلمني ولم أكلمه، إلا
أنني سمعته يتمثل:

ومن ظن ممن يلاقي الحروب  بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وقيل: مر طفيليٌ بسكة النخع بالبصرة على قوم، وعندهم وليمة، فاقتحم عليهم، وأخذ
مجلسه مع من دعي، فأنكره صاحب المنزل، فقال له: لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك، أو
يبعث إليك، فقال: إنما اتخذت البيوت ليدخل إليها، ووضعت الموائد ليؤكل ما عليها، وما

وجهت بهدية فأتوقع الدعوة، والحشمة قطيعةٌ، واطراحها صلةٌ، وقد جاء في الأثر: "صل
من قطعك، وأعط من حرمك"، ثم أنشد:
كل يوم أدور في عرصة الدا ر أشم القتار شم الذباب
فإذا ما رأيت آثار عرس أو دخانا أو دعوة الأصحاب
لم أعرج دون التقحم لا أر هب شتما ولكزة البواب
مستهينا بمن دخلت عليه غير مستأذن ولا هياب
فتراني ألف بالرغم منه كل ما قدموه لف العقاب
ووصف طفيلي نفسه فقال:
نحن قومٌ إذا دعينا أجبنا ومتى ننس يدعنا التطفيل
قولنا علنا دعينا فغبنا أو أتانا فلم يجدنا الرسول
وقال آخر:
نحن قومٌ نحب هدى رسول ال له هدياً به الصواب أصبنا
فادعنا كلما بسطت فإنا لو دعينا إلى كراعٍ أجبنا
وقال آخر:
نحن قومٌ إن جفا النا س وصلنا من جفانا
لا نبالي صاحب الدا ر نسينا أم دعانا
وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعي إليه فقال له صاحب الصنيع: من
دعاك؟ فأنشد:
دعوت نفسي حين لم تدعني فالحمد لي لا لك في الدعوة
وكان ذا أحسن من موعدٍ إخلافه يدعو إلى جفوة
وقد مدح أبو روح ظفر بن عبد الله الهروي طفيلياً ولم يسبق إليه، فقال:
إن الطفيلي لي حرمة زادت على حرمة ندماني
لأنه جاء ولم أدعه مبتدئاً منه بإحسان
ودخل طفيلي إلى قوم فقالوا له: ما دعوناك! فما الذي جاء بك؟ فقال: إذا لم تدعوني ولم
آت، وقعت وحشة، فضحكوا منه وقربوه.
وقيل: مر طفيلي على قوم يتغدون، فقال: سلام عليكم معشر اللئام، فقالوا: لا والله! بل
كرام، فثنى ركبته ونزل، وقال: اللهم اجعلهم من الصادقين، واجعلني من الكاذبين.
قال هشام أخوذي الرمة لرجل أراد سفرا: إن لكل رفقة كلبا يشركهم في فضلة الزاد، فإن
استطعت أن لا تكون كلب الرفاق فافعل.
ونظر طفيلي إلى قوم من الزنادقة يسار بهم إلى القتل، فظنهم يدعون إلى صنيع، فتلطف
حتى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم، فلما بلغوا صاحب الشرطة، أمر بضرب
أعناقهم، فقدموا واحدا بعد واحد حتى انتهوا إلى الطفيلي فلما قدم للقتل التفت إلى

صاحب الشرطة، فقال له: إني والله ما أنا منهم، ولا أعلم بما يدينون، وإنما أنا طفيلي
ظننتهم يذهب بهم إلى صنيع، فتلطفت حتى دخلت في جملتهم، فقال ليس هذا مما
ينجيك، اضربوا عنقه، فقال: أصلحك الله، إن كنت عزمت على قتلي، فأمر السياف أن
يضرب بطني بالسيف، فإنه هو الذي أوقعني في هذه الورطة، فضحك، وكشف عنه، فأخبر
أنه طفيلي معروف، فخلي سبيله.
وحكي أن المأمون أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سموا له من أهل البصرة، فجمعوا،
فأبصرهم طفيلي، فقال: ما اجتمعوا إلا لصنيع، فدخل في وسطهم ومضى بهم الموكلون،
حتى انتهوا إلى زورق قد أعد لهم، قال الطفيلي: هي نزهة، فدخل معهم الزورق، فلم يكن
بأسرع من أن قيدوا، وقيد معهم الطفيلي، ثم سير بهم إلى بغداد، فأدخلوا على المأمون،
فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا، ويأمر بضرب أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيلي، وقد
استوفى العدة، فقال للموكلين: ما هذا؟ قالوا: والله ما ندري، غير أنا وجدناه مع القوم،
فجئنا به، فقال له المأمون: ما قصتك؟ ويلك! فقال يا أمير المؤمنين: امرأتي طالق إن كنت
أعرف من أقاويلهم شيئا ولا مما يدينون به، وإنما أنا رجل طفيلي، رأيتهم مجتمعين فظننت
صنيعا يدعون إليه، فضحك المأمون وقال: يؤدب، وكان إبراهيم بن المهدي قائما على رأس
المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه وأحدثك بحديث عجيب عن نفسي، قال: قل يا
إبراهيم، قال: يا أمير المؤمنين، خرجت من عندك يوما، فطفت في سكك بغداد متطرفا،
حتى انتهيت إلى موضع كذا، فشممت من قتار أبا زير قدور قد فاح، فتاقت نفسي إليها،
وإلى طيب ريحها، فوقفت إلى خياط، فقلت له: لمن هذه الدار؟ فقال: لرجل من التجار،
قلت: ما اسمه؟ قال: فلان بن فلان، فرميت بطرفي إلى الدار، فإذا شباك فيها مطلٌ، وإذا
كفٌ قد خرج من الشباك ومعصم، فشغلني حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور،
فبهت ساعة، ثم أدركني ذهني، فقلت للخياط: أهو ممن يشرب النبيذ؟ قال: نعم،

وأحسب أن عنده اليوم دعوة، وهو لا ينادم إلا تجارا مثله مستورين، فإني لكذلك، إذا أقبل
رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب، فقال لي الخياط: هؤلاء منادماه، فقلت: ما اسماهما
وما كناهما؟ فقال: فلان وفلان، فحركت دابتي وداخلتهما، وقلت: جعلت فداكما، قد
استبطأكما أبو فلان، وسايرتهما حتى بلغنا الباب فأجلاني وقدماني، فدخلت ودخلا، فلما
رآني صاحب المنزل معهما، لم يشك أني منهما، فرحب بي وأجلسني في أفضل المواضع،
فجيء يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوان، فكان طعمها أطيب من
ريحها، فقلت في نفسي: هذه الألوان قد أكلتها، بقيت الكف، كيف إلى صاحبتها؟ ثم رفع
الطعام، وجيء بالوضوء، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا أشكل منزل، وجعل صاحب
المنزل يلطف بي، ويميل علي بالحديث، حتى إذا شربنا أقداحا، خرجت علينا جارية،
كأنها بدر، تتثنى يا أمير المؤمنين كالخيزران، فأقبلت وسلمت غير خجلة وثنيت لها
وسادة، فجلست عليها، وأتي بالعود فوضع في حجرها، فجسته فاستبينت حذقها في
جسها، ثم اندفعت تغني:

توهمها طرفي فأصبح خدها وفيه مكان الوهم من نظري أثر
تصافحها كفى فتؤلم كفها فمن مس كفى في أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلي، وطربت لحسن شعرها، ثم اندفعت تغني:

أشرت إليها هل عرفت مودتي فردت بطرف العين إني على العهد
فحدت عن الإظهار عمدا لسرها وحادت عن الإظهار أيضا على عمد

فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي معه، ثم اندفعت فغنت
الصوت الثالث:

أليس عجيبا أن بيتا يضمني وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وتقطيع أكباد على النار تضرم
إشارة أفواهٍ وغمز حواجبٍ وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حدقها ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر،

فقلت: بقي عليك يا جارية، فضربت بالعود على الأرض، وقالت: متى كنتم تحضرون
مجالسكم البغضاء؟ فندمت على ما كان مني، ورأيت القوم قد تغيروا لي، فقلت: أما
عندكم عود غير هذا؟ قالوا: بلى، فأتيت بعود، فأصلحت من شأنه ثم غنيت:

ما للمنازل لا يجبن حزينا أصممن أم قدم البلى فبلينا
راحوا العشية روحةً مذكورةً إن متن متنا أو حيين حيينا

فما استتممته يا أمير المؤمنين، حتى قامت الجارية، فأكبت على رجلي تقبلهما، وقالت:
معذرة يا سيدي، فوالله ما سمعت أحدا يغني هذا الصوت غناءك، وقام مولاها وأهل
المجلس، ففعلوا كفعلها، وطرب القوم واستحثوا الشرب فشربوا، ثم اندفعت أغني:

أفي الحق أن تمشي ولا تذكرنني وقد همعت عيناي من ذكرها الدما
إلى الله أشكو بخلها وسماحتي لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب أنت قتلته ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

فطرب القوم حتى خرجوا من عقولهم، فأمسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا، ثم غنيت
الثالث:

هذا محبك مطوياً على كمده عبري مدامعه تجري على جسده
له يدٌ تسأل الرحمن راحته مما به ويدٌ أخرى على كبده

فجعلت الجارية تصيح: هذا الغناء والله يا سيدي، لا ما كنا فيه منذ اليوم، وسكر القوم،
وكان صاحب المنزل حسن الشرب، صحيح العقل، فأمر غلمانه أن يخرجوهم ويحفظوهم
إلى منازلهم، وخلوت معه، فلما شربنا أقداحا، قال: يا سيدي، ذهب ما مضى من أيامي
ضياعا، إذ كنت لا أعرفك، فمن أنت؟ ولم يزل يلح علي، حتى أخبرته الخبر، فقام وقبل
رأسي، وقال: وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لملك؟ وإني لجالس مع الخلافة ولا
أشعر، ثم سألني عن قصتي، فأخبرته حتى بلغت إلى صاحبة الكف والمعصم، فقال
للجارية: قومي فقولي لفلانة تنزل، فلم تزل تنزل جواريه واحدةً واحدةً، فأنظر إلى كفها
ومعصمها، وأقول: ليس هي هذه! حتى قال: والله ما بقي غير أختي وأمي، والله لأنزلهما
إليك، فعجبت من كرمه وسعة صدره، فقلت: جعلت فداك، ابدأ بالأخت قبل الأم فعسى

أن تكون هي، فبرزت، فلما رأيت كفها ومعصمها، قلت: هي هذه فأمر! غلمانه، فساروا
إلى عشرة مشايخ من جلة جيرانه، فأقبلوا بهم، وأمر ببدرتين فيهما عشرون ألف درهم، ثم
قال للمشايخ: هذه أختي فلانة، أشهدكم أني قد زوجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي،
وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضيت وقبلت النكاح، فدفع إليها بدرة، وفرق الأخرى
على المشايخ وصرفهم، ثم قال: يا سيدي، أمهد بعض البيوت فتنام فيه مع أهلك،
فأحشمني ما رأيت من كرمه، فقلت: أحضر عماريةً وأحملها إلى منزلي، ففعل، فوالله يا أمير
المؤمنين، لقد أتبعها من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا، فأولدتها هذا القائم على رأس أمير
المؤمنين، يشير إلى ولده، فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله، وأطلق
الطفيلي وأجازه.

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني وهو الذي حاز
قصبات السبق في فن الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بقدحها المعلى في عنفوان
شبابه، رسالة وضعها في هذا الفن، وصار له بها على أهله غاية المن، مع نزاهة نفسه
الأبية، وارتفاعه عن المطاعم الدنية، وإنما وضعها تجربة لخاطره، وضمها إلى فوائد دفاتره،
وهي:

هذا عهد عهده زارد بن لاقم، لبالع بن هاجم، استفتحه بأن قال: الحمد لله مسهل أوقات
اللذات وميسرها، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على
ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق، أحمده على أن أحلنا في منازل
السادات، أرفع الدرجات، وأحل لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصنا بالمحل الجسيم المنيع، وأشهد أن
محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتي
الطعان والطعام، صلى الله عليه وعلى آله أهل السماحة والكرم والإكرام، صلاة تحل قائلها
في غرفات الجنان في دار السلام، وبعد، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مهوبة، وحرفة هي

عند الظرفاء محبوبة، لا يلبس شعارها إلا كل مقدام، ولا يرفع خافق علمها إلا من عد في
حرفته من الأعلام، ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من ارتضع أفاويق الصفاقة، ولا يهتدي لمنار
علائها إلا من نزع عن منكبيه رداء الرقاعة والحماقة، وكنت والفود غدافي الإهاب،
والغصن ريان من ماء الشباب، والقد يميس في حلة النشاط، والقدم تذرع الأرض ذرع
الاختباط، لا يقام سوق وليمة إلا وأنا الساعي إليها، ولا ترفع أعلام نار مأدبة إلا وكنت
الواقف لديها، أتخذ الدروب شباكا للاصطياد، وحبائل أبلغ بها لذيد الازدراد، قد جعلت
المعطس حليف الهواء، والقلب نزيل الأهواء، فحيث عبقت روائح الأبازير من أعالي تلك
القصور، وتمندلت تلك الشوارع بزعفران البرم والقدور، ألقيت عصا المسير على الباب،
وخلبت بحسن أدبي قلب البواب، وأوسعت في وصولي ألف حيله، وجعلتها على ما
عندي من حسن فنونها مخيله، فلا دعوة، إلا وكنت عليهم دعوة، ولا وليمة ختان، إلا وقد
طلعت على أرجائها مثل الجان، ولا سماط تأنيب، إلا وكنت إليه الساعي المنيب، ولا
مجمع ضيافة، إلا وكنت عليه أشد آفة، ولا ملاك عرس مشهود، إلا وانتظمت في سلك
الشهود، يحسن في قول القائل:

لو طبخت قدر بمطمورة  موقدها الشام وأعلى الثغور
وأنت في الصين لوافيتها  يا عالم الغيب بما في القدور

واليوم قد مال القويم إلى الاعوجاج، وعز بازي الشيب غراب الشعر الداج، وقيد الزمن
أقداما، ومنعت الشيخوخة إقداما، وصرت لحما على وضم، بعد أن كنت نارا على علم،
وقد أفادتني التجربة من هذه الصناعة فنونا، وتلت علي من محاسنها متونا، وقد أبقيت
لكل مجمع بابا، وفذلكت لكل مشهد حسابا، وقد اقتضى حسن الرأي أن أفوض إليك
أمرها، وأودع تأمور قلبك وحسك سرها، علمي بأنك الكيس الفطن، بل الألمعي الذرب
المرن، لو عقدت أكلة الولائم بغابٍ ولجه، وأحسن بتأنيه الجميل مدخلة ومخرجه، وقد
شاهدت من أعمالك الصالحة، ما يقال عند ذهابي: ما أشبه الليلة بالبارحة، وقد عهدت

إليك، واستخرت الله في التعويل عليك، فمثلك من يخطب للمناصب، ويتسنم ذروة
المراتب، ودونك ما أنطق به من الوصايا، واحفظ ما يسرده لسان القلم من جميل المزايا،
إياك وموائد اللئام، وانزل بساحات الكرام، واتخذ الشروع في الشوارع حرفة، وأظهر على
مشيك صلافة وعفة، وميز بعينك حسن المساطب ونقش الستور، وجمال الخدم وقعود
الصدور، واقصد الأبواب العالية، والأكلة المنقوشة الجالية، فإن دللت على مأدبة نصبها
بعض الأعيان، وجمع إليها أصحابه الإخوان، فالبس من ثيابك الجميلة قشيبها، وضوع
بالمندل الرطب طيبها، وأتقن خبر صاحب الدار وأخباره، وقف على صدر الشارع من
الحاره، فإذا رأيت الجمع وقد تهادوا بالهوادي والأقدام، وتهادوا فيما بينهم لذيذ الكلام،
تقدم إليهم بقلب قلب الأمور، وعلم بحسن تطلعه وتضلعه داء الجمهور، وقل لهم: رب الدار
قد استبطالكم، فما الذي أبطأكم؟ حتى إذا قاربوا صعود العتبة، ولم تبق هنالك معتبة،
تقدم رافعالهم الستور، ومعرفا بمقدار أولئك الصدور،
فالأضياف، يعتقدون أنك غلام
المضياف، ورب الحلة، يعتقد أنك رفيق السادة الجلة، وإن ولجت مجتمع ختان، وقد نصبت
فيه موائد الألوان، وذرفنت الأبواب، واكفهرت وجوه الحجاب، فاجعل تحت ضبنك المجمع،
واخدع قلوبهم فمثلك من يخدع، وقل: رفيق الأستاذ ومعينه، ورجله التي يسعى بها بل
يمينه، فحينئذ ترفع الستور، وتقدم لك أطايب القدور، وإن رماك القدر على باب غفل عنه
صاحبه، وسها في غلقة حاجبه، وقد مدوا في أوانيه سماطا، وجعلوا لأوائل من يقدمه
فراطا، وقد تقاربت الزبادي، وامتدت الأيادي، ورأيت السماط روضةً تخالفت ألوانها،
وامتدت أفنانها، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها، بل بروج ثابتة تشعر بسكونها،
فلج على غفلة من الرقيب، وابسط بنان الأكل وكف لسان المجيب، فإن قيل لك: أما غلق
دونك باب؟ فقل: ما على الكرماء من حجاب، وإياك والإطالة على الموائد، فإنها مصايد
الشوارد، وإياك والقذارة عليها، فإنها إمارة الحرمان لديها، وإن وقعت على وليمة كثيرة

الطعام، قليلة الازدحام، كبر اللقمة ولا تطل علكها، ومر الفك في سرعة أن يفكها، فإنك ما
تدري ما تحدث الليالي والأيام، خيفة أن يعثر عليك بعض الأقوام، فتكتسي حلة الخجل،
وتظهر على وجهك صفرة الوجل، واجعل من آدابك، تطلعك إلى أثوابها، ولا ترفع لمستجل
وجها وجيها، وقل لمن يحادثك: إيه ولا تقل: إيها، وجاوب بنعم، فإنها معينة على اللقم،
واجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة، ومل على أهل الولائم والمآدب ميلةً وأي ميلة،
واسأل عمن ورث من آبائه مالا، وقد جمعه بوعثاء السفر وعنائه حراما وحلالا، أهل يعقد
مقاما؟ أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما؟ فإن قيل: فلان الفلاني رب هذه المثابة، وصاحب
الدعوة المجابة، فكن ثالثة الأثافي لبابه، وانتظم في سلك عشرائه وأترابه، وتفقد الأسواق
خصوصا اللحامين، ومواطن الطبخ ومساطب المطر بين، ومجمع القراء ومعاهد محال
الوعاظ، وكل بقعة هي مظنة فرح يعود عليك نفعه وكن أول داخل وآخر خارج، ومل إلى
الزوايا، فهي أجمل ما لهذه الحرفة من المزايا، ونقل ركابك في كل يوم، فتارة في سوق اللحم
وتارة في سوق الثوم، وغير الحلية، وقصر اللحية، وابرز كل يوم في لباس، فهو أكثر للالتباس،
وجدد البهت حتى تتخذه عصاك، وتجعله ذريعةً لمن عصاك، وأتقن الفنون المحتاج إليها من
غنى ونجامة، وطب وشهامة، وتاريخ وأدب وكرم أصل وحسب، وحالتي التوقيت والتنزيل،
فاجعلهما دأبك، فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك، فطرز كل محفل بمحاسن أقوالك،
وكلل جيد كل مأدبة بجواهر أفعالك، واعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقل عالمها، ولو لم أر
على وجهك مخائل بشرها، وعلى أعطاف أردافك روائح نشرها، لما ألقيت إليك كتاب
عهدها، ولا حملت لبابك راية مجدها، فتلق راية هذا العهد بساعدٍ مساعد، وعضد في
الولوج على الأسمطة معاضد، فوضت إليك أمر من تحلى بجواهرها المنظومة، ولبس حللها
القشيبة المرقومة، وبسطت لسان قلمك في رقم عهودها، وأذنت لك أن تجريهم على سنن
معهودها، وإياك أن تعهد إلا لمن ملك خصالها، وجاس خلالها، واستجلى هلالها، وأتقن

أحوالها، ولايةً عامة، وكلمةً مبرهةً تامة، حرس الله بك معقل الأدب واللطافة، ومحا بك
معالم الثقالة والكثافة.
آداب الأكل والمؤاكلة
قال الله تعالى: "يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه
تعبدون". وروي أن داود عليه السلام أمر مناديه فنادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلمكم
التقوى، فاجتمعوا فقام في محرابه، فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يأيها الناس، لا
تدخلوا ها هنا إلا طيبا، ولا تخرجوا منه إلا طيبا، وأشار إلى فيه.
قيل: أول آداب
الأكل، معرفة الحلال من الحرام، والخبيث من الطيب.
وأما الآداب في هيئة المؤاكلة وأفعالها، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
عاب طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا
تشموا الطعام كما تشمه البهائم، من اشتهى شيئا فليأكل، ومن كره فليدع". وقال أنس: قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وأنا ابن عشر، ودخل دارنا، فحلبنا له شاةً، فشرب،
وأبو بكر عن يساره، وأعرابي عن يمينه، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أعط أبا
بكر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الأيمن فالأيمن". وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وروي عن أنس: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم شرب جرعة، ثم قطع، ثم سمى، ثم
شرب جرعة، ثم قطع، ثم سمى، ثم قطع الثالثة، ثم جرع مصا، حتى فرغ ثم حمد الله،
وقد ندب إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفي الفقر، وينقي اللمم، ومن السنة: البداءة باسم
الله، وحمده عند الانتهاء.
روي عن عمر بن أبي سلمة أنه قال: مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل، فقال:
"اجلس يا بني وسم الله، وكل بيمينك مما يليك".
وقال بعض السلف: إذا جمع الطعام أربعا، فقد كمل كل شيء، إذا كان حلالا، وذكر اسم
الله عليه، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله حين يفرغ منه.
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله

خير الأسماء رب الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب".
وفي حديث عائشة رضي
الله عنها، عنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أكل أحدكم
فليذكر اسم الله فإن نسي في
أوله، فليقل بسم الله في أوله وآخره". وقال صلى الله عليه
وسلم: "إذا أكل أحدكم فليأكل
بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله".
وروي: أن المسيح عليه السلام كان إذا دعا أصحابه قام عليهم،
ثم قال: هكذا فاصنعوا
بالفقراء.
ووصف شاعر قوما فقال:
جلوسٌ في مجالسهم رزانٌ وإن ضيفٌ ألم بهم وقوف
قال سهل بن حصين: شهدت الحسن في وليمة، فطعم ثم قال،
فقال: مد الله لكم في
العافية، وأوسع عليكم في الرزق، واستعملكم بالشكر.
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" تخللوا فإنه
نظافة والنظافة من الإيمان،
والإيمان مع صاحبه في الجنة".
وفي حديث عمر رضي الله عنه: عليكم بالخشبتين: يعني
السواك والحلال.
وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام: يا بني،
عود نفسك الأثرة، ومجاهدة
الشهوة، ولا تنهس نهس السباع، ولا تخضم خضم البراذين، فإن
الله جعلك إنسانا، فلا
تجعل نفسك بهيمةً.
وحكي عن بعض الكتاب قال: تغديت مع المأمون فالتفت إلي
وقال: خلال قبيحة عند
الجلوس على الطعام: كثرة مسح اليد، والانكباب على الطعام،
وكثرة أكل البقل، ومعنى ذمة
هذه الخلال الثلاث: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمسها
في الطعام، والانكباب يدل
على شدة الحرص وزيادة الشره والنهم. قال الشاعر:
لقد سترت منك الخوان عمامةٌ دجوجية ظلماؤها ليس تقلع
وأما البقل، فإن الحاجة إلى البلغة منه، وفي الإكثار منه تشبهٌ
بالبهائم، لأنه مرعاها.
وقيل: الأكل ثلاثة: مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط،
ومع أبناء الدنيا بالأدب.
وقيل لبعض الحكماء: أي الأوقات أحمد للأكل؟ فقال: أما من
قدر فإذا اشتهى، وأما من
لم يقدر فإذا وجد.
الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها

قال الله عز وجل: "يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه
لا يحب المسرفين". وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من زاره أخوه المسلم
فقرب إليه ما تيسر غفر له وجعل في طعامه البركة، ومن قرب إليه ما تيسر فاستحقر ذلك
كان في مقت من الله حتى يخرج". وقالت عائشة رضي الله عنها: أولم النبي صلى الله
عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير.
وقيل: كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول: اعملوا ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم
وفضول الدنيا، فإن فضولها رجزٌ، هذه طير السماء تغدو وتروح، ليس معها من أرزاقها
شيء، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتم: بطوننا أعظم من بطونها، فهذه الوحش
تغدو وتروح، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها.
وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لما دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند
الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث،
فقيل له، فقال: إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا خميص، فقتل من ليلته.
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قل طعمه صح بدنه وصفا قلبه،
ومن كثر طعمه سقم جسمه وقسا قلبه". وعنه صلى الله عليه وسلم قال: "ما زين الله
رجلا بزينة أفضل من عفاف بطنه". قال حاتم:

أبيت خميص البطن مضطمرا الحشا  من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا
فإنك إن أعطيت بطنك سؤله  وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال بعضهم: رأيت مجنونا ببغداد، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون، وكنت
ممن دعي، فقلت: ألا تدخل فتأكل؟ فإن الطعام كثير، قال: وإن كثر فإني ممنوع منه، فقلت:
كيف والباب مفتوح، ولا مانع من الدخول؟ فقال: أآكل طعاما لم أدع إليه؟ لقد اضطرني
إلى ذلك غير الجوع، فقلت: ما هو؟ قال: دناءة النفس وسوء الغريزة، قال شاعر:

وإني لعف عن مطاعم جمةٍ  إذا زين الفحشاء للنفس جوعها

وقال آخر:

وأعرض عن مطاعم قد أراها  فأتركها وفي البطن انطواء
فلا وأبيك ما في العيش خيرٌ  وفي الدنيا إذا ذهب الحياء

قال الجنيد: مر بي الحارث بن أسد المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل
الدار وتتناول شيئا؟ قال: نعم، فدخل، وقدمت إليه طعاما حمل إلي من عرس، فأخذ لقمة
فلاكها ونهض فألقاها في الدهليز ومضى، فالتقيت به بعد أيام، فقلت له في ذلك: فقال: كنت
جائعا، وأردت أن أسرك بأكلي، ولكن بيني وبين الله تعالى علامة، أن لا يسوغني طعاما فيه
شبهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرته، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدمت
إليه كسراً كانت لنا فأكل وقال: إذا قدمت لفقير شيئا، فقدم مثل هذا.
روي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين: أكثروا لهم الطعام، فوالله ما بطن قوم
إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عزمة رجل بات بطينا، فلما وجد معاوية ما قال
صحيحا، قال: البطنة تذهب الفطنة.
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب،
فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء".
ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحما فقال: ما هذا؟ قال: قرمنا
إليه، قال: ويحك! قرمت إلى شيء فأكلنه، كفى بالمرء شرهاً أن يأكل كل ما يشتهي.
قال ابن دريد: العرب تعير بكثرة الأكل، وأنشد:
لست بأكال كأكل العبد ولا بنوام كنوم الفهد
وقال عمر رضي الله عنه: ما اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل
أحدهما وتصدق بالآخر.
وقال أبو سليمان الداراني: خير ما أكون إذا لصق بطني بظهري، أجوع الجوعة فأخرج
تزحمني المرأة فما ألتفت إليها، وأشبع الشبعة فأخرج فأرى عيني تطمحان.
أخبار الأكلة
قد نسب ذلك إلى جماعة من الأكابر وذوي الهمم، فمن ذلك ما حكاه الحمدوني في
تذكرته: أن معاوية بن أبي سفيان أتى بعجل مشوي، فأكل معه دستا من الخبز السميد،
وأربع فراني، وجدياً حاراً، وجدياً باردا، سوى الألوان، ووضع بين يديه مائة رطل من
الباقلاء الرطب، فأتى عليه، وقيل: إنه كان يأكل كل يوم أربع أكلات آخرهن أشدهن، ثم

يقول: يا غلام، ارفع، فوالله ما شبعت، ولكني مللت.
ومنهم عبيد الله بن زياد، كان يأكل في اليوم خمس أكلات آخرها جنبة بغل، ويوضع بين
يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق أو جدي فيأتي عليه وحده.
ومنهم الحجاج بن يوسف، قال سالم بن قتيبة: كنت في دار الحجاج مع ولده، وأنا غلام،
فقالوا جاء الأمير، فدخل الحجاج وأمر بتنور، فنصب، وأمر رجلا يخبز خبز الماء ودعا
بسمك، فأكل حتى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء.
ومنهم سليمان بن عبد الملك، روي أنه شوى له أربعة وثمانون خروفا، فمد يده إلى كل
واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه، مع أربعة وثمانين رغيفا، ثم أذن للناس، وقدم
الطعام، فأكل معهم أكل من لم يذق شيئا.
وقال الشمردل وكيل عمرو بن العاص: قدم سليمان بن عبد الملك الطائف، فدخل هو
وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره إلى غصن، ثم قال: يا شمردل، ما عندك
شيء تطعمني؟ قلت عندي جذعٌ تغدو عليه حافل وتروح أخرى، قال: عجل به، فأتيته به
كأنه عكة سمن، فجعل يأكل وهو لا يدعو عمر، حتى بقي منه فخذ، قال: يا أبا حفص،
هلم، قال: إني صائم، فأتى عليه، ثم قال: يا شمردل ويلك! ما عندك شيء؟ قلت:
دجاجات ست، كأنهن رئلان النعام، فأتيته بهن فأتى عليهن، ثم قال: ويلك يا شمردل! ما
عندك؟ قلت: سويق كأنه قراضة الذهب، فأتيته بعس يغيب فيه الرأس، فشربه، فلما فرغ
تجشأ كأنه صارخ في جب، ثم قال: يا غلام! أفرغت من غدائنا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟
قال: نيف وثمانون قدرا، قال: فأت بقدر قدر، وبقناع عليه رقاق، فأكل من كل قدر ثلاث
لقم، ثم مسح يده واستلقى على فراشه، فوضع الخوان، وقعد يأكل مع الناس.
ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسعر المازني، قال المعتمر بن سليمان: سألته عن أكله
فقال: جعت مرة ومعي بعيرٌ لي فنحرته وأكلته إلا ما حملت منه على ظهري، فلما كان الليل
راودت امة لي فلم أصل إليها، فقالت كيف تصل إلي وبيني وبينك جمل؟ فقلت له: كم

بلغتك هذه الأكلة؟ فقال: أربع أيام. وحكي أبو سعيد منصور بن الحسن الأبي في كتابه
المترجم بنثر الدر: أن هلالا هذا أكل بعيرا، وأكلت امرأته فصيلا وجامعها، فلم يتمكن
منها، فقالت له: كيف تصل إلي وبيني وبينك بعيران؟ وله حكايات ذكرها الحمدوني في
التذكرة، والأبي في نثر الدر تركناها اختصارا.
ومنهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ذكر الجاحظ: أنه أكل يوما جنبي بكر شواء
بعد طعام كثير.
ومن المشهورين بالنهم، أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون، وكان المأمون إذا وجهه في
حاجة، أمره أن يتغدى ويمضي فرفع إلى المأمون في المظالم: إن رأى أمير المؤمنين أن يجري
على ابن أبي خالد نزلا، فإن فيه كلبية، إلا أن الكلب يحرس المنزل بكسرة، وابن أبي خالد
يقتل المظلوم، ويعين الظالم بأكلة، فأجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمائدته، وكان مع
ذلك يشره إلى طعام الناس. ولما انصرف دينار بن عبد الله من الجبل، قال المأمون لأحمد
بن أبي خالد: امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه يحمل ما يحصل لنا عليه وأنفذ معه
خادما ينهي إليه ما يكون منه، وقال: إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكره، ولما
اتصل خبر أحمد بدينار، قال للطباخ: إن أحمد أشره من نفخ فيه الروح، فإذا رأيته فقل له:
ما الذي تأمر أن يتخذ لك؟ ففعل الطباخ، فقال أحمد: فراريج كسكرية بماء الرمان تقدم مع
خبز الماء بالسميد، ثم هات بعدها ما شئت، فابتدأ الطباخ بما أمر، وأخذ أحمد يكلم
دينارا، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: إن لنا قبلك مالا قد حبسته علينا، فقال: الذي لكم
ثمانية آلاف ألف، قال فاحملها، قال: نعم، وجاء الطباخ فاستأذن في نصب المائدة، فقال
أحمد: عجل بها فإني أجوع من كلب، فقدمت وعليها ما اقترح، وقدم الدجاج وعشرين
فروجا كسكرية فأكل أكل جائع نهم، ما ترك شيئا مما قدم، فلما فرغ وقدر الطباخ أنه قد
شبع، لوح بطيفورية فيها خمس سمكات شبابيط كأنها سبائك الفضة، فأنكر أحمد عليه إلا
قدمها؟ وقال: هاتها، وأعاد أحمد الخطاب، فقال دينار: أليس قد عرفتك إن الباقي لكم

عندي سبعة آلاف ألف؟ قال أحسبك اعترفت بأكثر منها، فقال: ما اعترفت إلا بها،
فقال: هات خطك بما اعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف فقال أحمد: سبحان الله! أليس
قد اعترفت بأكثر من هذا؟ قال: ما لكم قبلي إلا هذا المقدار، فأخذ خطه بها وتقدم
الخادم، فأخبر المأمون بما جرى، فلما ورد أحمد ناوله الخط، فقال: قد عرفنا ما كان من
الألف ألف بتناول الغداء، فما بال الألف ألف الأخرى، فكان المأمون بعد ذلك يقول: ما
أعلم غداء قام على أحد بألفي ألف إلا غداء دينار، واقتصر على الخط ولم يتعقبه كرما
ونبلا.
ومنهم أبو العالية، حكي أن امرأة حملت فحلفت إن ولدت غلاما لأشبعن أبا العالية
خبيصا، فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جفان، فقيل له: إنها حلفت أن تشبعك
خبيصا، فقال: والله لو علمت لما شبعت إلى الليل.
ومنهم أبو الحسن بن أبي بكر العلاف الشاعر دخل يوما على الوزير المهلبي ببغداد، فأنفذ
الوزير من أخذ حماره الذي كان يركبه من غلامه، وأدخل المطبخ وذبح وطبخ لحمه بماء
وملح، وقدم بين يديه، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج طلب الحمار، قيل له: قد
أكلته، وعوضه الوزير عنه ووصله، فهذا كافٍ في أخبار الأكلة.
الجبن والفرار
ومن أقبح ما هجى به الرجل أن يكون جبانا فرارا، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار،
فقال: "يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يؤمئذٍ دبره
إلا متحرفا لقتالٍ أو متحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير".
وقال تعالى: "إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استنزلهم الشيطان ببعض ما
كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفورٌ حليم".
وقالت عائشة رضي الله عنها: إن لله خلقا، قلوبهم كقلوب الطير، كلما خفقت الريح
خفقت معها، فأفٌّ للجبناء، أفٌّ للجبناء.
وقال خالد بن الوليد عند موته: لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي موضع إلا فيه
طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي، كما

يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء.
وقيل كتب زياد إلى ابن عباس: أن صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل فكتب إليه:
كتبت تسألني عن طبائع ركبت في الإنسان تركيب الجوارح، اعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا
يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه،
وقال شاعر:
يفر جبان القوم عن عرس نفسه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
وقالوا: الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه.
قال المتنبي:
يرى الجبناء أن الجبن حزمٌ وتلك خديعة الطبع اللئيم
وقالوا: حد الجبن الضن بالحياة، والحرص على النجاة.
وقالت الحكماء في الفراسة: من كانت فزعته في رأسه، فذاك الذي يفر من أمه وأبيه،
وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه.
ويقال: أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار. وقال هانيء الشيباني لقومه يوم ذي
قار يحرضهم على القتال: يا بني بكر! هالك معذور، خيرٌ من ناجٍ فرور، المنية، ولا الدنية،
استقبال الموت خير منه استدباره، الثغر في ثغور النحور، خير من في الأعجاز والظهور، يا
بني بكر! قاتلوا، فما من المنايا بدٌ، الجبان مبغض حتى لأمه، والشجاع محببٌ حتى
لعدوه.
ويقال: الجبن خير أخلاق النساء، وشر أخلاق الرجال.
وقال يعلى بن منبه لقومه حين فروا من علي يوم صفين: إلى أين؟ قالوا: ذهب الناس، قال:
أفٍ لكم! فرارا واعتذارا! قال: ولما قوتل أبو الطيب المتنبي ورأى الغلبة عليه فر، فقال له
غلامه: أترضى أن يحدث بهذا الفرار عنك؟ وأنت القائل:
الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم
فكر راجعا، وقاتل حتى قتل، واستقبح أن يعير بالفرار.
وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به: أخبرني عن أصحابي، أيهم كان أشد
إقداما في المبارزة، قال: لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مدبرين، فقل لهم:
يدبروا لأعرفك أيهم كان أشد فرارا.
وقال ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضربه شوقٌ إلى وجهه سيدنفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى قفاه من فرسخٍ فيعرفه
وقال حسان بن ثابت يعير الحارث ابن هشام بفراره يوم بدر:
إن كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
لأحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طمرةٍ ولجام
ملأت به الفرجين فارمدت به وثوى أحبته بشر مقام
وقال أبو الفرج الأصفهاني: وكان أبو حية النميري وهو الهيثم بن الربيع ابن زرارة جبانا
بخيلا كذابا، قال ابن قتيبة: وكان له سيف يسميه، لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة
فرق، قال: وكان أجبن الناس، قال: فحدثني جار له، قال: دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه
لصا، فأشرفت عليه، وقد انتضى سيفه وهو واقف في وسط الدار يقول: أيها المغتر بنا،
المجتريء علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خيرٌ قليل، وسيفٌ صقيل، لعاب المنية
الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة
عليك، إني والله إن أدع قيسا إليك لا تقم لها، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا،
سبحان الله! ما أكثرها وأطيبها! فبينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال: الحمد لله
الذي مسخك كلبا، وكفانا حربا.
ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم، قول الشاعر:
ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومةً تدعو عبيدا وأرنما
ومثله قول عروة بن الورد:
وأشجع قد أدركتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
وقال آخر:
ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا
وقول أبي تمام:
موكلٌ بيفاع الأرض يشرفه من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وقال ابن الرومي:
وفارسٍ أجبن من صفردٍ يحول أو يغور من صفره
لو صاحٍ في الليل به صائحٌ لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه فيرزق الجند به النصره
الفرارين الذين حسنوا الفرار على قبحه
قال صاحب كليلة ودمنة: إن الحازم يكره القتال ما وجد بداً منه، لأن النفقة فيه من
النفس، والنفقة في غيره من المال.
وقالوا: من توقى سلم، ومن تهور ندم.

وقال عبد الله بن المقفع: الشجاعة متلفة، وذلك أن المقتول مقبلا أكثر من المقتول مدبرا،
فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة.
وليم بعض الجبناء على جبنه، فقال: أول الحرب شكوى، وأوسطها نجوى، وآخرها
بلوى.
وقال آخر: الحرب مقتلة للعباد، مذهبة للطارف والتلاد.
وقيل لجبان: لم لا تقاتل؟ فقال: عند النطاح يغلب الكبش الأجم.
وقالوا: الحياة أفضل من الموت، والفرار في وقته ظفر.
وقالوا: الشجاع ملقى، والجبان موقى. قال البديع الهمداني:
ما ذاق هماً كالشجاع ولا خلا بمسرةٍ كالعاجز المتواني
وقالوا: الفرار في وقته، خير من الثبات في غير وقته.
وقالوا: السلم أزكى للمال، وأبقى لأنفس الرجال.
وقالوا: الحمام في الإقدام، والسلامة في الإحجام.
وقال المتوكل لأبي العيناء: إني لأفرق من لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، الكريم ذو فرق
وإحجام، واللئيم ذو وقاحة وإقدام.
وقيل لأعرابي: ألا تعرف القتال؟ فإن الله قد أمرك به، فقال: والله إني لأبغض الموت على
فراشي في عافية، فكيف أمضي إليه ركضا، قال شاعر:
تمشي المنايا إلى قومٍ فأبغضها فكيف أعدو إليها عاري الكفن
وقيل ليزيد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت شخصا بالليل، فكن للإقدام
عليه أولى منه عليك". فقال: أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلي، فأقع معه فيما أكره،
وإنما الهرب خير.
وسمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ: "قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل
وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً". فقال: ذلك القليل نريد.
ولما فر أمية بن عبد الله بن خالد بن أسد يوم مرداء هجر بالبحرين من أبي فديك
الخارجي إلى البصرة، ودخل عليه أهلها، فلم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه به من
القول، أيهنئونه بالسلامة أم يعزونه بالفرار، حتى دخل عبد الله ابن الأهتم، فاستشرف
الناس له، ثم قالوا: ما عسى أن يقول لمنهزم؟ فسلم ثم قال: مرحبا بالصابر المخذول، الحمد
لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهدك، ولكن الله علم

حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك، فقال أمية: ما وجدت أحدا
أخبرني عن نفسي غيرك. وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا مهري بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
فصدفت عنهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم سرمد

وقال زفر بن الحارث وقد فر يوم مرج راهطٍ عن رفيقيه:

أيذهب يوم واحد إن أسأته بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلم تر مني زلةٌ قبل هذه فراري وتركي صاحبي ورائيا

وهي أبيات نذكرها إن شاء الله في التاريخ، ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من
أبيات يخاطب بها أخته ريحانه، وقد فر من بني عبس:

أجاعلةٌ أم النوير خزايةً علي فراري إذ لقيت بني عبس
وليس يعاب المرء من جبن يومه إذا عرفت منه الحماية بالأمس

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي، وكان قد فر يوم الحرة من
جيش مسلم بن عقبة، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة جعل يقاتل أهل الشام
ويرتجز:

أنا الذي فررت يوم الحره والشيخ لا يفر إلا مرة
فاليوم أجزى كرةً بفره لا بأس بالكرة بعد الفره

ولم يزل يقاتل حتى قتل، قال الفرار السلمي:

وفوارسٍ لبستها بفوارس حتى إذا التبست أملت بهايدي
وتركتهم نقض الرماح ظهورهم من بين مقتولٍ وآخر مسند
هل ينفعني أن تقول نساؤهم وقتلت دون رجالهم لا تبعد

وقال آخر:

قامت تشجعني هندٌ فقلت لها إن الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الأبصار رؤيته ما يشتهي الموت عندي من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا

وقيل لجبان في بعض الوقائع: تقدم، فقال:

وقالوا: تقدم قلت لست بفاعل أخاف على فخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلفت واحدا ولكنه رأس إذا زال أعقما
وأوتم أولادا وأرمل نسوة فكيف على هذا ترون التقدما

الحمق والجهل
قالوا: الحمق قلة الإصابة، ووضع الكلام في غير موضعه، وقيل: هو فقدان ما يحمد من

العاقل، وقيل لعمر بن هبيرة: ما حد الحمق؟ قال: لا حد له كالعقل.
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأحمق أبغض الخلق إلى الله، لأنه حرمه
أعز الأشياء عليه وهو العقل".
وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى، أتدري لم رزقت الأحمق؟ قال: لا يا رب، قال: ليعلم
العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد.
وقال الشعبي: إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمةً، كان أول ما يعدمه عقله.
وقالوا: الحمق داءٌ دواؤه الموت. وقد بين الله تعالى لحبيبه من لم يعقل بقوله: "لينذر من كان
حياً" قيل: عاقلا، وبقوله: "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير".
وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: أثنى قومٌ على رجل عند النبي صلى الله عليه
وسلم حتى بالغوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف عقل الرجل؟" فقالوا:
نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله! فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وترتفع العباد غدا في
الدرجات على قدر عقولهم".
ومن كلام لقمان لابنه: أن تكون أخرس عاقلا خيرٌ من أن تكون نطوقا جاهلا، ولكل
شيء دليل، ودليل العقل النقل، ودليل النقل الصمت، وكفى بك جهلا أن تنهي الناس عن
شيء وتركبه.
وقال عيسى عليه السلام: عالجت الأكمة والأبرص فأبرأتهما، وعالجت الأحمق فأعياني،
قال شاعر:

لكل داءٍ دواءٌ يستطب به  إلا الحماقة أعيت من يداويها

وقال آخر:

وعلاج الأبدان أيسر خطبٍ  حين تعتل من علاج العقول

وقال آخر:

الحمق داءٌ ما له حيلةٌ  ترجى كبعد النجم من مسه

وقيل: إذا قيل لك إن فقيرا استغنى، وغنياً افتقر، وحيا مات، أو ميتا عاش، فصدق،
وإذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق.
وقالوا: الأحمق لتمنى أمة أنها به مثكلة، وتتمنى زوجه أنها منه أرملة، ويتمنى جاره منه
العزلة، ورفيقه منه الوحشة، وأخوه منه الفرقة.

وقال سهل بن هارون: وجدت مودة الجاهل، وعداوة العاقل، أسوةً في الخطر، ووجدت
الأنس بالجاهل، والوحشة من العاقل، سيين في العيب، ووجدت غش العاقل أقل ضرراً من
نصيحة الجاهل، ووجدت ظن العاقل أوقع بالصواب من يقين الجاهل، ووجدت العاقل
أحفظ لما لم يستكتم من الجاهل لما استكتم.
وقال لقمان لابنه: لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال، وانظر إلى السيف ما أحسن منظره
وأقبح أثره!.
وقال علي رضي الله عنه: قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل، وقال: صديق الجاهل في
تعب.
وقال آخر: لأنا للعاقل المدبر، أرجى شيء من الأحمق المقبل، وقال شاعر:

عدوك ذو العقل خيرٌ من ال صديق لك الوامق الأحمق

والبيت المشهور السائر:

ولأن يعادي عاقلا خيرٌ له من أن يكون له صديقٌ أحمق

وقيل: الحمق يسلب السلامة، ويورث الندامة، وقد ذموا من له أدب بلا عقل.
ووصف أعرابي رجلا فقال: هو ذو أدبٍ وافر، وعقل نافر، قال شاعر:

فهبك أخا الآداب أي فضيلةٍ تكون لذي علمٍ وليس له عقل

ومن صفات الأحمق وعلاماته قيل: ما أعدمك من الأحمق فلا يعدمك منه كثرة الالتفات
وسرعة الجواب، ومن علاماته الثقة بكل أحد.
ويقال: إن الجاهل مولعٌ بحلاوة العاجل، غير مبالٍ بالعواقب، ولا معتبر بالمواعظ، ليس
يعجبه إلا ما ضره، إن أصاب فعلى غير قصدٍ، وإن أخطأ فهو الذي لا يحسن به غيره، لا
يستوحش من الإساءة، ولا يفرح بالإحسان.
وقالوا: ست خصال تعرف في الجاهل، الغضب من غير شيء، والكلام في غير نفع،
والفطنة في غير موضع، ولا يعرف صديقه من عدوه، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد.
وقالوا: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله، والعاقل إذا تكلم بكلمةٍ أتبعها
مثلا، والأحمق إذا تكلم بكلمة أتبعها خلفا، الأحمق إذا حدث ذهل، وإذا تكلم عجل،
وإذا حمل على القبيح فعل.
وقال أبو يوسف: إثبات الحجة على الجاهل سهلٌ، ولكن إقراره بها صعب.

وقال وهب بن منبه: كان يقال للأحمق إذا تكلم: فضحه حمقه، وإذا سكت فضحه عيه،
وإذا عمل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا علمه يعينه، ولا علم غيره ينفعه، تود أمه أنها ثكلته،
وتتمنى امرأته أنها عدمته، ويتمنى جاره منه الوحدة، وتأخذ جليسه منه الوحشة.
ويستدل على الأحمق بأشياء، قالوا: من طالت قامته، وصغرت هامته، وانسدلت لحيته،
كان حقيقا على من يراه أن يقرئه عن عقله السلام.
ويقال في التوراة: اللحية مخرجها من الدماغ، فمن أفرط عليه طولها قل دماغه، ومن قل
دماغه قل عقله، ومن قل عقله فهو أحمق.
وقالت أعرابية لقاض قضى عليها: صغر رأسك، فبعد فهمك، وانسدلت لحيتك،
فتكوسج عقلك، وما رأيت ميتا يقضي بين حيين غيرك.
وقال مسلمة بن عبد الملك لجلسائه: يعرف حمق الرجل في أربع، طول لحيته، وبشاعة
كنيته، وإفراط شهوته، ونقش خاتمه، فدخل عليه رجلٌ طويل اللحية، فقال: أما هذا فقد
أتاكم بواحدةٍ، فانظروا أين هو من الثلاث؟ فقيل له: ما كنيتك؟ فقال: أبو الياقوت، فقيل
له: ما نقش خاتمك؟ فقال: "وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد" قيل: فأي الطعام أحب
إليك؟ قال: الجلنجبين، فقال مسلمة: فيه ما بعد كنيته، مع طول لحيته، مع نقش خاتمه،
شكٌ لمعتبر.
قال الشعبي: خطب الحجاج يوم جمعةٍ فأطال، فقام إليه أعرابيٌ، فقال له: إن الوقت لا
ينتظرك وإن الرب لا يعذرك، فأمر به فحبس، فأتاه أهله يشفعون فيه وقالوا: إنه مجنونٌ، فقال
الحجاج: إن أقر بالجنون خليت سبيله، فأتوه وسألوه ذلك، فقال: لا والله، لا أقول إن الله
ابتلاني وقد عافاني، فبلغ كلامه الحجاج، فعظم في نفسه وأطلقه.
وقال الأصمعي: قلت لغلامٍ من أبناء العرب: أيسرك أن يكون لك مائة ألفٍ وأنت أحمق؟
قال: لا والله، قلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجني علي حمقي جنايةً، فنذهب مني، ويبقى
حمقي.
والعرب تضرب المثل في الحمق بعجل بن لجيم، ويزعمون أنه قيل له: إن لكل فرسٍ جوادٍ

اسماً، وإن فرسك هذا سابقٌ فسمه، ففقأ عينه، وقال: سميته الأعور، وفيه يقول الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وهل أحدٌ في الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده فسارت به الأمثال في الناس بالجهل

ويضربون المثل في الحمق بهبنقة القيسي، وهو يزيد بن ثروان، ويكنى أبا نافع، حكي أنه

شرد له بعيرٌ، فقال: من جاء به فله بعيران، فقيل له: أتجعل في بعير بعيرين؟ فقال: إنكم لا

تعرفون فرحة الوجدان.

وقد رضي قومٌ بالجهل فقالوا: ضعف العقل أمانٌ من الغم، وقالوا: ما سر عاقل قط، قال

أبو الطيب المتنبي:

ذو العقل يشقي في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقال حكيمٌ: ثمرة الدنيا السرور، ولا سرور للعقلاء، وقال المغيرة بن شعبة: ما العيش إلا

في إلقاء الحشمة. وقال بكر بن المعتمر: إذا كان العقل سبعة أجزاءٍ احتاج إلى جزء من

جهلٍ ليقدم على الأمور، فإن العاقل أبدا متوانٍ مترقبٌ متوقف متخوف، قال النابغة

الجعدي:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

وقال آخر:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذه آخر فقال:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

وقالوا: الجاهل ينال أغراضه، ويظفر بأرائه، ويطيع قلبه، ويجري في عنان هواه، وهو بريءٌ

من اللوم، سليمٌ من العيب، مغفور الزلات.

وقالوا: الجاهل رخي الذرع، خالي البال، عازب الهم، حسن الظن، لا يخطر خوف الموت

بفكره، ولا يجري ألم الإشفاق على ذكره.

وقالوا: الجهل مطية المراح والمسرة، ومسرح المزاح والفكاهة، وحليف الهوى والتصابي،

وصاحبه في ذمامٍ من عهده اللوم والعتب، وأمانٍ من قوارص الذم والسب، قال بعض

الشعراء:

ورأيت الهموم في صحة الع قل فداويتها بإمراض عقلي

وقالوا: لو لم يكن من فضيلة الجهل، غير الإقدام، وورود الحمام، إذ هما من الشجاعة
والبسالة، وسبب تحصيل المهابة والجلالة، لكفاه، قال أبو هلال العسكري: سألني بعض
الأدباء أي الشعراء أشد حمقا، قلت الذي يقول:

أتيه على إنس البلاد وجنها ولو لم أجد خلقا لتهت على نفسي
أتيه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي
فإن صدقوا أني من الإنس مثلهم فما فيّ عيبٌ غير أني من الإنس

الكذب

قال الله عز وجل: "ويلٌ لكل أفاكٍ أثيم". وقال: "إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله وأولئك هم الكاذبون". وقال في الكاذبين: "لهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور،
والفجور يهدي إلى النار". وقال صلى الله عليه وسلم: "الكذب مجانب الإيمان". وقال
صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ من كن فيه فهو منافقٌ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلمٌ،
من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان". وقال صلى الله عليه وسلم:
"لا يجوز الكذب في جد ولا هزل". وقال: "لا يكون المؤمن كذابا".
وقالت الحكماء: ليس لكاذبٍ مروءةٌ.
وقالوا: من عرف بالكذب لم يحسن صدقه.
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: خلف الوعد ثلث النفاق.
وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته. قال عمرو
بن العلاء القاريء: ساد عتبة بن ربيعة وكان مملقا، وساد أبو جهل وكان حدثاً، وساد أبو
سفيان وكان بخالا، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهرا، وساد كليب بن وائل وكان ظلوما،
وساد عيينة وكان محمقاً، ولم يسد قط كذاب، فصلح السؤدد مع الفقر والحداثة والبخل
والعهر والظلم والحمق، ولم يصلح مع الكذب، لأن الكذب يعم الأخلاق كلها بالفساد.
وقال يحيى بن خالد: رأيت شريب خمر نزع ولصا أقلع، وصاحب فواحش رجع، ولم أر
كذابا رجع.

ويقال: الكذب مفتاح كل كبيرة، والخمر جماع كل شر.
وقيل: لا تأمنن من يكذب لك أن يكذب عليك.
وقيل: الكذب والنفاق والحسد أثافي الذل.
وقال ابن عباس: حقيقٌ على الله أن لا يرفع للكاذب درجةً، ولا يثبت له حجةً، وقال
سليمان بن سعدٍ: لو صحبني رجلٌ وقال: لا تشترط على إلا شرطا واحدا لقلت: لا
تكذبني.
وقال أبو حيان التوحيدي: الكذب شعارٌ خلق، ومورِدٌ رنق، وأدبٌ سيء، وعادةٌ
فاحشةٌ، وقل من استرسل فيه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أتلفه.
وقال غيره: الكذب أوضع الرذائل خطة، وأجمعها للمذمة والمحطة، وأكبرها ذلاً في الدنيا،
وأكثرها خزيا في الآخرة، وهو من أعظم علامات النفاق، وأقوى الدلائل على دناءة الأخلاق
والأعراق، لا يؤتمن حامله على حال، ولا يصدق إذا قال.
وقيل: لكل شيء آفةٌ، والكذب آفة النطق.
وقال بعض الكرماء: لو لم أدع الكذب تأثما، لتركته تكرما.
وقال أرسطاطاليس: فضل الناطق على الأخرس بالنطق، وزين النطق الصدق، فإذا كان
الناطق كاذبا، فالأخرس خيرٌ منه.
وقال بعض الحكماء لولده: يا بني إياك والكذب، فإنه يزري بقائله، وإن كان شريفا في أصله،
ويذله وإن كان عزيزا في أهله.
وقال الأحنف بن قيس: اثنان لا يجتمعان: الكذب والمروءة.
وقال بزرجمهر: الكاذب والميت سواء، لأن فضيلة النطق الصدق، فإذا لم يوثق بكلامه
بطلت حياته.
وقال معاوية يوما للأحنف: أتكذب؟ فقال: والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب شينٌ.
وقيل: لا يجوز للرجل أن يكذب لصلاح نفسه، فما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب
أولى بفساده. قال بعض الشعراء:
ما أحسن الصدق والمغبوط قائله وأقبح الكذب عند الله والناس
وقالوا: احذر مصاحبة الكذاب، فإن اضطررت إليها فلا تصدقه ولا تعلمه أنك كذبته،
فينتقل عن مودته، ولا ينتقل عن كذبه.
وقال هرمس: اجتنب مصاحبة الكذاب، فإنك لست منه على شيء يتحصل، وإنما أنت
معه على مثل السراب يلمع ولا ينفع.

وقيل: الكذاب شرٌ من النمام، فإن الكذاب يختلق عليك، والنمام ينقل عنك. قال شاعر:

إن النموم أغطى دونه خبري وليس لي حيلةٌ في مفترى الكذب

وقال آخر:

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

ووصف أعرابي كذابا فقال: كذبه مثل عطاسه، لا يمكنه رده.

وقال بعض الأعراب: عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما هو يدل الناس على عيبه،

ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقا لم يصدق،

وإن أراد خيراً لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، والدال على فضيحتها بمقالة، فما صح

من صدقه نسب إلى غيره، وما صح من كذب غيره نسب إليه.

ويقال: الكذب جماع النفاق، وعماد مساويء الأخلاق، عارٌ لازم، وذل دائم، يخيف

صاحبه نفسه وهو آمن، ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن،

وقال بعض الشعراء:

لا يكذب المرء إلا من مهانته أو عادة السوء أو من قلة الورع

وقال الأصمعي: قيل لرجل معروف بالكذب. هل صدقت؟ قال: أخاف أن أقول: لا

فأصدق. وآفة الكذب النسيان. قال شاعر:

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا دهيٍ إذا كان كاذبا

وقال علي بن اللحام شاعر اليتيمة:

تكذب الكذبة يوما ثم تنساها قريبا
كن ذكوراً يا أبا يح يى إذا كنت كذوبا

وقال أبو تمام:

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف وأكثر الناس قولاً حشوه كذب

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه:

صحيفةٌ أفنيت ليت بها فعسى عنوانها راحة الراجي إذا يئسا
وعدٌ له هاجسٌ في القلب قد برمت أحشاء صدري به من طول ما هجسا
يراعةٌ غرني منها وميض سناً حتى مددت إليها الكف مقتبسا
فصادفت حجراً لو كنت تضربه من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا

وقال آخر:

وتقول لي قولا أظنك صادقا فأحيء من طمع إليك وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت بمجلسٍ قالوا مسيلمةٌ وهذا أشعب

الغدر والخيانة

قال الله عز وجل: "وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين".
وقال تعالى: "والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أمن رجلا ثم قتله وجبت له
النار وإن كان المقتول كافرا". وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا جمع الله الأولين
والآخرين رفع لكل غادرٍ لواءٌ وقيل: هذه غدرة فلان".
وقالوا: من نقض عهده، ومنع رفده، فلا خير عنده.
وقالوا: الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول.
وقالوا: من علامات النفاق، نقض العهد والميثاق.
وقالوا: لا عذر في الغدر، والعذر يصلح في كل المواطن، ولا عذر لغادر ولا خائن.
وفي بعض الكتب المنزلة: إن مما تعجل عقوبته من الذنوب ولا يؤخر: الإحسان يكفر،
والذمة تخفر. قال شاعر:

أخلق بمن رضي الخيانة شيمةً أن لا يرى إلا صريع حوادث
ما زالت الأرزاء تلحق بؤسها أبدا بغادر ذمةٍ أو ناكث

وقالوا: الغدر ضامن العثرة، قاطع ليد النصرة.
ويقال: من تعدى على جاره، دل على لؤم نجاره.
وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مر برجل وهو يطارد حية وهي تقول له: والله لئن لم
تذهب عني، لأنفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا، فمضى عيسى عليه السلام في شأنه،
ثم عاد فرأى الحية في جونة الرجل محبوسة، فقال لها: ويحك! أين ما كنت تقولين؟ قالت:
يا روح الله، إنه حلف لي وغدر، وإن سم غدره أقتل له من سمي.

أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معد يكرب، وقد عدت لهم غدرات،
فمنها: غدر قيس بن معد يكرب بمراد، وكان بينهم عهد أن لا يغزوهم إلى انقضاء شهر
رجب، فوافاهم قبل الأمد بكندة، وجعل يحمل عليهم ويقول:

أقسمت لا أنزل حتى يهزموا أنا ابن معد يكربٍ فاستسلموا
فارس هيجا ورئيسٌ مصدم

فقتل قيس بن معد يكرب وارتد الأشعث عن الإسلام. وغدر الأشعث ببني الحارث بن
كعب، وكان قد غزاهم فأسروه، ففدى نفسه بمائتي بعير، فأعطاهم مائة وبقي عليه مائة،

فلم يؤدها، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية.
وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبي طالب، وغدر أيضا بأهل
طبرستان وكان عبيد الله بن زياد ولاه إياها، فصالح أهلها على أن لا يدخلها ورحل عنهم،
ثم عاد إليهم غادرا، فأخذوا عليه الشعاب، وقتلوا ابنه أبا بكر.
وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالحجاج لما ولاه خراسان، وخرج عليه وادعى
الخلافة، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في التاريخ في أخبار الحجاج إن شاء الله تعالى،
وكانت الدائرة على عبد الرحمن، وكلهم ورثوا الغدر عن معد يكرب، فإنه غدر مهرة، وكان
بينه وبينهم عهد إلى أجل، فغزاهم ناقضا لعهدهم، فقتلوه وبقروا بطنه وملأوه بالحصا.
وغدرت ابنة الضيزن بن معاوية بأبيها صاحب الحصن ودلت سابور على طريق فتحه،
ففتحه وقتل أباها وتزوجها، ثم قتلها. وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب في
المباني. ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخورنق.
وممن اشتهر بالغدر عمرو بن جرموز: غدر الزبير بن العوام، وقتله بوادي السباع، ونذكر
ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل.
ومن الغدر الشنيع ما فعله عضل والقارة، روي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا
فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرءان، ويعلموننا شرائع الإسلام،
فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه، وهم مرثد بن أبي
مرثد الغنوي، وخالد بن البكير حليف بني عدي ابن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي
الأقلح أخو بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن
عوف، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر، وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد
أخو عبد الله لأمه، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد، وقيل أمر عليهم عاصما، فخرجوا مع
القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع: ماء لهذيل غدروا بهم واستصرخوا عليهم هديلا، فلم

يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم،
فقالوا: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة، فأما مرثد
وخالد وعاصم ومعتب فقالوا: والله ما نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا، فقاتلوا حتى قتلوا،
وأما زيد وخبيب وعبد الله فلانوا ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا
بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمر الظهران، انتزع عبد الله بن طارق يده من
القران، ثم أخذ سيفه واستأخر عن القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، وقدموا بخبيب وزيد
إلى مكة فباعوهما فابتاع خبيبا حجر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن
الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بالحارث، وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله
بأمية بن خلف، وروي أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث استعار من إحداهن
موسى يستحد بها فما راع المرأة إلا صبي لها يدرج، وخبيب قد أجلس الصبي على
فخذه، والموسى في يده، فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتحسبين أني أقتله؟ إن الغدر ليس
من شأننا، فقالت المرأة: ما رأيت بعد أسيرا قط خيرا من خبيب، لقد رأيته وما بمكة من
ثمرة، وإن في يده قطفا من عنب يأكله، إن كان إلا رزقا رزقه الله خبيبا، ولما خرج لزدت،
وما أبالي على أي شقي كان مصرعي، وهذه القصة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو
أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرثد إلى الرجيع.
قيل: أغار خيثمة بن مالك الجعفي على حي من بني القين فاستاق منهم إبلا فلحقوه
ليستنقذوها منه، فلم يطمعوا فيه، ثم ذكر يدا كانت لبعضهم عنده، فخلى عما كان في يده،
وولي منصرفا، فنادوه وقالوا: إن المفازة أمامك، ولا ماء معك، وقد فعلت جميلا، فأنزل
ولك الذمام والحباء، فنزل فلما اطمأن وسكن، واستمكنوا منه غدروا به فقتلوه، ففي ذلك
تقول عمرة ابنته:

غدرتم بمن لو كان ساعة غدركم  بكفيه مفتوق الغرارين قاضب
أذادكم عنه بضربٍ كأنه  سهام المنايا كلهن صوائب

وتلاحي بنو مقرون بن عمرو بن محارب، وبنو جهم بن مرة بن محارب، على ماءٍ لهم
فغلبتهم بنو مقرون فظهرت عليهم، وكان في بني جهم شيخٌ له تجربة وسن، فلما رأى
ظهورهم، قال: يا بني مقرون، نحن بنو أب واحد، فلم نتفاني؟ هلموا إلى الصلح، ولكم
عهد الله تعالى وميثاقه آبائنا، أن لا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم في هذا الماء، فأجابتهم بنو
مقرون إلى ذلك، فلما اطمأنوا ووضعوا السلاح عدا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالا
عظيما، وقتلوا جماعة من أشرافهم، ففي ذلك يقول أبو ظفر الحارثي:

هلا غدرتم بمقرونٍ وأسرته  والبيض مصلتةٌ والحرب تستعر
لما اطمأنوا وشاموا في سيوفهم  ثرتم إليهم وعر الغدر مشتهر
غدرتموهم بأيمان مؤكدةٍ  والورد من بعده للغادر الصدر

هذا ما قيل في الغدر.
وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال: "يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون".
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا
عهد له".
وقيل: من ضيع الأمانة، ورضي الخيانة، فقد بريء من الديانة.
وقال حكيم: لو علم مضيع الأمانة، ما في النكث والخيانة، لقصر عنهما عنانه.
وقالوا: من خان مان، ومن مان هان، وتبرأ من الإحسان.
قيل دخل شهر بن حوشب وهو جلة القراء وأصحاب الحديث على معاوية، وبين يديه
خرائط فيها مال، قد جمعت لتوضع في بيت المال، فقعد على خريطة منها، وأخذها،
ومعاوية ينظر إليه، فلما رفعت الخرائط، فقد من عددها خريطة، فأعلم الخازن بذلك
معاوية، فقال: هي محسوبة لك فلا تسأل عن آخذها، ففيه يقول بعض الشعراء:

لقد باع شهرٌ دينه بخريطةٍ  فمن يأمن القراء بعدك يا شهر؟

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانته: يا عدو الله، وعدو أمير المؤمنين، وعدو المسلمين،
أكلت مال الله، وخنت خليفة الله، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن عيال الله، وأنت خليفة الله،
والمال مال الله، فمن أين نأكل إذا، فضحك وأطلقه، وأمر أن لا يولي عملا بعدها.

وسرق رجل في مجلس أنوشروان جاماً من ذهب وهو يراه، فتفقده الشرابي، فقال: والله لا
يخرج أحد حتى يفتش، فقال له أنوشروان: لا تتعرض لأحد، فقد أخذه من لا يرده، ورآه
من لا ينم عليه.
وحكي أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بمعرة النعمان وديعةً، وغاب مدةً، فلما رجع،
طالب بها، فأنكرها القاضي، فتشفع إليه برؤساء بلده في ردها، فما زالوا به حتى أقر بها،
وادعى أنها سرقت من حرزه، فاستحلفه المودع فخلف، فقال ابن الدويدة في ذلك:

لا يصدق القاضي الخؤن إذا ادعى عدم الوديعة من حصين المودع
إن قال قد ضاعت فيصدق أنها ضاعت ولكن منك يعني لو تعي
أو قال قد وقعت فيصدق أنها وقعت ولكن منه أحسن موقع

وقال ابن الحجاج:

وأدعوهم إلى القاضي عساهم إذا وقع اليمين يحلفوني
وأضيع ما يكون الحق عندي إذ عزم الغريم على اليمين

الكبر والعجب
قال الله عز وجل: "إنه لا يحب المستكبرين". وقال تعالى: "فادخلوا أبواب جهنم خالدين
فيها فبئس مثوى المتكبرين". وقال: "أليس في جهنم مثوًى للمتكبرين". وقال: "كذلك نطبع
على كل قلبٍ متكبرٍ جبارٍ". وقال: "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير
الحق".
وناهيك بهذا زجراً.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة، من في قلبه حبةٌ من خردلٍ من
كبرٍ". وقال صلى الله عليه وسلم: "من تعظم في نفسه، واختال في مشيته لقي الله عز
وجل وهو عليه غضبان". وقال صلى الله علية وسلم: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله
إليه".
وروي: أن عبد الله بن سلام، مر بالسوق يحمل حزمة حطب، فقيل له: أليس قد أغناك
الله عن هذا؟ قال: بلى! ولكني أردت أن أقمع به الكبر، سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجد أحدٌ في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في
نفسه.
وقالوا: من قل لبه، كثر عجبه.
وقالوا: عجب المرء بنفسه، أحد حساد عقله.
وقال أزدشير بن بابك: ما الكبر إلا فضل حمقٍ لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى
الكبر.
ومن كلامٍ لابن المعتز: لما عرف أهل التقصير حالهم، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر
ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل.
وقال أكثم بن صيفي: من أصاب حظا من دنياه، فأصاره ذلك إلى كبرٍ وترفعٍ، فقد علم أنه
نال فوق ما يستحق، ومن أقام على حاله فقد علم أنه نال ما يستحق، ومن تواضع وغادر
الكبر، فقد علم أنه نال دون ما يستحق.
وقال علي رضي الله عنه: عجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة، وهو غداً جيفة.
وقيل: مر بعض أولاد المهلب بمالك بن دينار وهو يخطر، فقال له: يا بني، لو خفضت بعض
هذه الخيلاء! ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك؟ فقال له
الفتى: أو ما تعرف من أنا؟ قال: بلى! والله أعرفك معرفة جيدة، أولك نطفة مذره،
وآخرك جيفة قذره، وأنت بين ذلك حامل عذره، فأرخى الفتى ردينه وكف مما كان يفعله،
وطأطأ رأسه، ومضى مسترسلا.
وقال الواقدي: دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه وهو يتبختر في مشيته، فقال له
يحيى: يا أبا عبد الله، إن البخل والجهل مع التواضع، أزين بالرجل من الكبر مع السخاء
والعلم، فيا لها من حسنة غطت على عيبين عظيمين، ويا لها من سيئة غطت على
حسنتين كبيرتين، ثم أومأ إليه بالجلوس وقال: احفظه يا عبد الله، فإنه أدب كبير أخذناه
عن العلماء.
ومن الكبر المستهجن ما روي: أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأقطعه
أرضا، وقال لمعاوية: اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له، فخرج مع وائل في هاجره شاوية،
ومشى خلف ناقته، وقال له: أردفني على عجز راحلتك، فقال: لست من أرداف الملوك،

قال: فأعطني نعليك، فقال: ما بخلٌ يمنعني يا بن أبي سفيان، ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن
أنك لبست نعلي، ولكن امش في ظل ناقتي، فحسبك بها شرفا، وقيل: إن وائلا أدرك زمن
معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه.
والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر، وروي: أنه كان لا ينادم أحدا ترفعا وكبرا،
ويقول: إنما ينادمني الفرقدان. ومنه قول متمم:
وكنا كندماني جذيمة حقبةً
قيل: إنما أراد الفرقدين، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعقيل.
وقيل: كان أبو ثوابة أقبح الناس كبرا، روي: أنه قال لغلامه اسقني ماء، فقال: نعم، قال: إنما
يقول: نعم من يقدر على أن يقول: لا وأمر بضربه، ودعا أكاراً فكلمه، فلما فرغ دعا بماء،
وتمضمض استقذارا لمخاطبته.
قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:
ولا تعجبا أن تؤتيا فتكلما فما حشى الأقوام شراً من الكبر
قال الجاحظ: المذكورون بالكبر من قريش، بنو مخزوم، وبنو أمية، ومن العرب، بنو جعفر
بن كلاب، وبنو زرارة بن عدس، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيدا، وأنفسهم
إلا أربابا، والكبر في الأجناس الذليلة أرسخ، ولكن القلة والذلة مانعتان من ظهور كبرهم،
ومن قدر من الوضعاء أدبي قدرة، ظهر من كبره ما لا خفاء به، ولم أر ذا كبر قط علا من
دونه، إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه.
قال: أما بنو مخزوم، وبنو أمية، وبنو جعفر بن كلاب، واختصاصهم بالتيه، فإنهم أبطرهم
ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة، ولو كان في قوى عقولهم فضلٌ عن قوى دواعي الحمية
فيهم، لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وإنصافهم من دونهم.
وقال أبو الوليد الأعرابي:
ولست بتياهٍ إذا كنت مثريا ولكنه خلقي إذا كنت معدما
وأن الذي يعطي من المال ثروةً إذا كان نذل الوالدين تعظما
ومن المتكبرين، عمارة بن حمزة، حكي عنه: أنه دخل على المهدي، فلما استقر به
الجلوس، قام رجل كان المهدي قد أعده له ليتهكم به، فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين، قال: من
ظلمك؟ قال: عمارة غصبني ضيعتي، وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة وأكثرها
خراجا، فقال المهدي لعمارة: قم فاجلس مع خصمك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هو لي

بخصم، إن كانت الضيعة له، فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من
مجلس شرفني به أمير المؤمنين، فلما انصرف المجلس، سأل عمارة عن صفة الرجل، وما كان
لباسه، وأين كان موضع جلوسه، وكان من تيهه أنه إذا أخطأ يمر على خطئه تكبرا عن
الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.
ومنهم من أهلكه الكبر وأذله. كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أميرا على
العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا، فأفسد أمره العجب والكبر، وأدناه إلى
الهلكة، وعذب حتى مات، وذلك أنه كان إذا ذكر هشام عنده، قال: ابن الحمقاء! فسمعها
رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك
وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذكر، قال: لعله يقول: الأحول، قال: لا، ولكنه يقول: ما لا تلتقي به
الشفتان، قال: لعله يقول: ابن الحمقاء، فأمسك الشامي، فقال هشام قد بلغني كل ذلك عنه،
وكان خالد يقول: والله ما إمارة العراق مما تشرفني، فبلغ ذلك هشاما، فكتب إليه: بلغني
أنك يا بن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تشرفك وأنت دعي بجيلة القليلة الذليلة، والله
إني لأظن أن أول من يأتيك صيفي بن قيس فيشد يدك إلى عنقك، قال خالد بن صفوان
بن الأهتم: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه، وقتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في
رجله شريطا قد شده به الصبيان يجرونه، فدخلت إلى هشام يوما، فحدثته فأطلت،
فتنفس، وقال: يا خالد! كان أحب إلي قربا وألذ عندي حديثا منك، يعني خالد القسري،
قال: فانتهزتها ورجوت أن أشفع فتكون لي عند خالد يدا، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما
يمنعك من استئناف الصنيعة، فقد أدبته بما فرط منه، فقال: هيهات! إن خالدا أوجف
فأعجف، وأدل فأمل، وأفرط في الإساءة، فأفرطنا في المكافأة، فحلم الأديم، ونغل الجرح،
وبلغ السيل الزبى، والحزام الطبيين، ولم يبق فيه مستصلح، ولا للصنيعة عنده موضع، عد
إلى حديثك.

ومنهم: من أفرط به الكبر إلى الكفر، حكي: أن سعيد بن زرارة مرت به امرأة فقالت له:
يا عبد الله، كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها: أمثلي يكون من عبيد الله.
ومنهم: عبيد الله بن زياد بن ظبيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منه ما أعجبه: كثر
الله فينا مثلك، فقال: لقد كلفتم الله شططا.
ومن أشعار المتكبرين التياهين قول بعضهم:
أتيه على جن البلاد وإنسها
الأبيات، وقد تقدمت في الحمقى.
وقال آخر:
ألقني في لظًى فإن أحرقتني فتيقن أن لست بالياقوت
صنع النسج كل من حاك لكن ليس داود فيه كالعنكبوت
قال ابن حبارة الحراني المنجنيقي يرد عليه:
أيها المدعي الفخار دع الفخ ر لذي الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا ر مزيلٌ فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجم ر وما الجمر للنعام بقوت
ومما هجى به أهل التكبر، قول جعيفران يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة:
أم سعيدٍ لم ولدتيه ملوثا بالكبر والتيه
ليتك إذ جئت به هكذا حين خريتيه أكلتيه
الحرص والطمع
قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: "ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً
منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرٌ وأبقى".
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربعٌ من الشقاء الخ.....عد منها الحرص
والأمل". وقال: "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم فأفسداها أشد من حرص المرء على
المال". وقال: "يشيب ابن آدم وتشب منه اثنتان: "الحرص على المال، والحرص على العمر"
وقال: "إياكم الطمع فإنه الفقر الحاضر".
ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الطمع مورد غير مصدر، وضامن غير وفي،
وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه، عظمت الرزية لفقده، والأماني تعمى البصائر. أزرى
بنفسه من استشعر الطمع، واستولت عليه الأماني.
وقال بعضهم: الحرص ينقص من قدر الإنسان، ولا يزيد في رزقه.
وقال قتيبة: إن الحريص استعجل الذلة، قبل إدراك البغية.
وقيل: لا راحة لحريص، ولا غنًى لذي طمع.

وقيل: إن كعبا لقي عبد الله بن سلام، فقال: يا بن سلام، من أرباب العلم؟
قال: الذين يعملون به، قال: فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ علموه ووعوه؟ قال:
الطمع، وشره النفس، وطلب الحوائج إلى الناس. قال الأصمعي: سمعت أعرابيا يقول:
عجبت للحريص المستكبر، المستقل لكثير ما في يده، المستكثر لقليل ما في يد غيره، حتى
طلب الفضل، بذهاب الأصل، فركب مفاوز البراري، ولجج البحار، معرضا نفسه للممات،
وماله للآفات، ناظرا إلى من سلم، غير معتبر بمن عدم.
قال يزيد بن الحكم الثقفي:
رأيت السخي النفس يأتيه رزقه هنيئا ولا يعطي على الحرص جامع
وكل حريص لن يجاوز رزقه وكم من موفى رزقه وهو وادع
وقالوا: مصارع الألباب تحت ظلال الطمع. ويقال:
الحر عبد ما طمع والعبد حرٌ ما قنع
وقالوا: أخرج الطمع من قلبك، تحل القيد من رجلك، وقال عمرو بن مالك الحارثي:
الحرص للنفس فقرٌ والقنوع غنًى والقوت إن قنعت بالقوت يجزيها
والنفس لو أن ما في الأرض حيز لها ما كان إن هي لم تقنع بكافيها
وقال ابن هرمة:
وفي اليأس عن بعض المطامع راحةٌ ويا رب خسرٍ أدركته المطامع
وقال هرمة بن خشرم:
وبعض رجاء المرء ما ليس نائلاً عناءً وبعض اليأس أعفى وأروح
وقال مكنف بن معاوية التيمي:
ترى المرء يأمل ما لا يرى ومن دون ذلك ريب الأجل
وكم آيسٍ قد أتاه الرجاء وذي طمع قد لواه الأمل
وقال آخرً:
طمعت فيما وعدتك المنى وليس فيما وعدت مطمع
وثقت بالباطل من قولها وليس حقاً كل ما تسمع
وإنما موعدها بارقٌ في كل حين خلبٌ يلمع
ويضرب المثل في الطمع بأشعب. قيل له: ما بلغ من طمعك؟ فقال للقائل له: لم تقل هذا إلا
وفي نفسك خيرٌ تصنعه بي، وقيل: إنه لم يمت شريف قط من أهل المدينة إلا استعدى
أشعب على وصيه أو وارثه وقال له: احلف أنه لم يوص لي بشيء قبل موته، ووقف على

رجل يعمل طبقا من الخيزران، فقال له: وسعه قليلا، قال الخيزراني: كأنك تريد أن تشتريه؟
قال: لا، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيهدي إلي فيه شيئا، وسأله سالم بن عبد الله
بن عمر رضي الله عنه عن طمعه، قال: قلت لصبيان مرةً: اذهبوا، هذا سالم قد فتح بيت
صدقة عمر حتى يطعمكم تمرا، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم، فعدوت في إثرهم،
وقيل له: ماذا بلغ من طمعك؟ قال: أرى دخان جاري فأثرد عليه، وقيل له أيضا: ما بلغ
من طمعك؟ قال: ما رأيت عروسا بالمدينة تزف إلا كنست بيتي ورششته طمعا أن تزف
إلي، وقيل له: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، كلب أم حومل، تبعني فرسخين، وأنا أمضغ
كندراً، ولقد حسدته على ذلك.
الوعد والمطل
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" العدة دين".
وقال بعض القرشيين: من خاف الكذب، أقل من المواعيد.
وقيل: أمران لا يسلمان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.
وقالوا: خلف الوعد، خلق الوغد.
وقال المهلب لبنيه: يا بني، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مسلماً، فكفى بذلك تقاضيا.
قال الشاعر:
اروح لتسليمٍ عليك وأغتدي فحسبك بالتسليم مني تقاضيا
كفى بطلاب المرء ما لا يناله عناءً وباليأس المصرح ناهيا
وقيل: الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه، كان كلفظٍ لا معنى له، وجسم لا روح فيه.
وقالوا: الخلف ألأم من البخل، لأنه من لم يعرف المعروف، لزمه ذم اللؤم، وذم الخلف، وذم
العجز. قال بعض الشعراء:
وعدت فأكذبت المواعيد جاهدا وأقلعت إقلاع الجهام بلا وبل
وأجررت لي حبلا طويلا تبعته ولم أدر أن اليأس في طرف الحبل
وقال أبو تمام:
وما نفع من قد مات بالأمس صادياً إذا ما سماء اليوم طال انهمارها
وما العرف بالتسويف الأكخلة تسليت عنها حين شط مزارها
والعرب تضرب المثل بمواعيد عرقوب، وكان رجلا من العماليق وله في ذلك حكايات،
فمنها: أنه أتاه أخ له، يسأله شيئا، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها،

فلما أطلعت، أتاه الرجل للعدة، فقال: دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت، أتاه، فقال:
دعها حتى تصير زهواً، فلما أزهت، قال: دعها حتى تصير رطبا، فلما أرطبت، قال:
دعها حتى تصير تمرا، فلما أتمرت، عمد إليها عرقوب، فجذها ولم يعط أخاه منها شيئا.
وفيه يقول الأشجعي:
وعدت وكان الخلف منك سجيةً مواعيد عرقوب أخاه بيثرب
وقال السكيت للمهدي: يا أمير المؤمنين، لو كان الوعد يستنزل بالإهمال والسكون،
لشكرتك القلوب بالضمير، ولنظرت إلى فضلك العيون بالأوهام، فقال المهدي: هذا جزاء
التفريط فيما يكسب الأجر، ويدخر الشكر، وأمر بقضاء حاجته.
وقال أعرابي: العذر الجميل، أحسن من المطل الطويل، فإن أردت الإنعام فأنجح، وإن
تعذرت الحاجة فأفصح.
وقال بعض كرماء العرب: لأن أموت عطشا، أحب إلي من أن أخلف موعدا.
وقالوا: من وعد فأخلف، لزمته ثلاث مذمات، ذم اللؤم، وذم الخلف، وذم الكذب، وقال
بعض الشعراء:
ولا خير في وعدٍ إذا كان كاذبا ولا خير في قول إذا لم يكن فعل
فإن تجمع الآفات فالبخل شرها وشرٌ من البخل المواعيد والمطل
قال بعض الأعراب: فلان له مواعيد المطل، وثمارها الخلف، ومحصولها اليأس.
وقال آخر: فلان له وعد مطمع، ومطلٌ مؤيس، وأنت منه أبدا بين يأس وطمع، فلا بذلٌ
مريح، ولا منعٌ صريح.
وقال الثعالبي: أول من أخلف المواعيد ولم يف بشيء منها: إسماعيل بن صبيح كاتب
الرشيد، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة.
العي والحصر
قال الله عز وجل: "أو من ينشأ في الحيلة وهو في الخصام غير مبينٍ". وقال تعالى إخبارا
عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان: "أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكاد
يبين". قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال: "رب اشرح لي
صدري ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي". الآية، فقال الله تعالى: "قد

أوتيت سؤلك يا موسى".
وقيل: حد العي معنًى قصير، يحويه لفظٌ طويل. وقال أكثم بن صيفي: هو أن تتكلم فوق
ما تقتضيه حاجتك. وقالوا: الفقير الناطق، أغنى من الغني الساكت.
وقال كسرى: الصمت خيرٌ من عي الكلام.
وقالوا: فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان، فإذا نطق ولم يفصح عاد بهيما.
وقالوا: العي داءٌ دواؤه الخرس. ومن علامات العي الاستعانة، وهي أن ترى المخاطب إذا
كل لسانه عند مقاطع كلامه، يقول للمخاطب: اسمع مني، أو سمعت لي، وافهم عني، وأشباه
ذلك.
ومنهم من يقول: قولي كذا، أعني به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة
أخرى تكون غير مراده الأول ليفهم عنه.
ومن عيوب اللسان: التمتمة، والفأفأة، والعقلة، والحبسة، واللفف، والرتة، والغمغمة،
والطمطمة، واللكنة، والغنة، واللثغة. فالتمتمة، قال الأصمعي: إذا تعتع في التاء فهو تمتام،
وإذا ردد في الفاء فهو فأفاء، قال الراجز:
ليس بفأفاءٍ ولا تمتام ولا كثير الهجر في الكلام.
والعقلة: التواء اللسان عند الكلام، والحبسة: تعذر النطق، ولم تبلغ حد الفأفاة ولا التمتام،
ويقال: إنها تعرض أول الكلام، فإذا مر فيه انقطعت. واللفف: إدخال بعض الكلام في
بعض، قال الراجز:
كان فيه لففاً إذا نطق من طول تحبيسٍ وهم وأرق
والرتة: اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادةٍ، والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يتبين تقطيع
الحروف، ولا تفهم معناه، والطمطمة: أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم، وهي حميرية،
وقالوا: هي إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد، فيقول: السلتان والشيتان، وأشباه
ذلك، قيل: وكانت في لسان زياد بن سلمى، وكان خطيباً شاعرا كاتبا، واللكنة: إدخال
بعض حروف العرب في حروف العجم، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية، وهي إبدال
الهاء حاءً، وانقلاب العين همزة، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد، وصهيب الرومي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: إن مولًى لزياد، قال له: أيها الأمير،

أحدوا لنا همار وهش: يريد: أهدوا لنا حمار وحشٍ، فلم يفهم زياد عنه، وقال: ويلك!
ماذا تقول؟ قال: أحدوا لنا أيراً: يريد عيراً، فقال زياد: أرجعنا إلى الأول هو خير، والغنة:
أن يشرب الصوت الخيشوم، والخنة: ضرب منها، والترخيم: حذف بعض الكلمة لتعذر
النطق بها، واللثغة: إبدال ستة حروف بغيرها، وهي الهمزة والراء والسين والقاف والكاف
واللام، فالتي تعرض للهمزة، فهي إبدالها عينا، فإذا أراد أن يقول: أنت، قال: عنت وهي
مستعملة في لسان التكرور، وأما التي تعرض في الراء فهي ستة أحرف، فمنهم من يجعلها
غينا معجمة فيقول غمغ: يريد عمر، وهي غالبة على لسان أهل دمشق، وإذا اجتمعت
الراء والغين في كلمة كقولهم: رغيف، قال: غريف، وفغرت بمكان فرغت: فيبدلون كل
حرف بالآخر، قيل: وكانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي، وواصل بن عطاء
المعتزلي، وكان لاقتداره على الكلام، وغزارة مادته، يتجنب النطق بها، وفيه يقول الشاعر
من أبيات:

ويجعل البرقمجا في تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يجعله فعاد بالغيث إشفاقا من المطر

ومنهم من يجعلها عينا مهملة، فيقول في أزرق: أزعق، وهي في لسان عوام أهل دمشق،
ومنهم من يجعلها ياءً، فيقول في عمر: غمى، ومنهم من يبدلها بالظاء أخت الطاء، ومنهم
من يبدلها همزة، فإذا أراد أن يقول: رأيت، قال: أأيت، وأما التي تعرض للسين، فإنهم
يبدلونها ثاء، فيقولون: بثم الله، ويثرة الله: إذا أرادوا بسم الله، ويسرة الله، أو أشباه ذلك،
وهي مستحسنة في الجواري والغلمان. قال الشاعر:

وأهيف كالهلال شكوت وحدي إليه لحسنه وأطلت بثي
وقلت له فدتك النفس صلني تحز في الثواب فقال بثي

وأما التي تعرض للقاف، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول: قال، وقلت،
نطق: بطال، وطلت، وهي نبطية، وكانت في لسان أبي مسلم صاحب الدعوة، وعبيد الله
بن زياد، ومنهم من يجعلها كافا فيقول: كال وكلت، وأما التي تعرض للكاف، فمنهم من

يجعلها همزة، فيقول: أأف، ومنهم من يبدلها تاء، فيقول: تان، إذا أراد: كان، وأما التي
تعرض في اللام، فمنهم من يبدلها ياءً، فيقول: اعتييت، بمعنى: اعتللت، ويقول في جمل:
جمى، وإذا أقسم بالله، يقول: وياه، ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة، فيقول في
خوخ: حوح، وتستحسن في الغلمان والجواري، ومنهم من يبدل الجيم ضاداً، فإذا اجتمع
لأحد في كلمة جيم وضاد، مثل ضجر، ونضج، قال: جضر، ونجض، والحمد لله وحده!

الباب الثالث

المجون والنوادر والفكاهات والملح

وهذا الباب مما تنجذب النفوس إليه، وتشتمل الخواطر عليه؛ فإن فيه راحة للنفوس إذا
تعبت وكلت، ونشاطاً للخواطر إذا سئمت وملت؛ لأن النفوس لا تستطيع ملازمة الأعمال،
بل ترتاح إلى تنقل الأحوال. فإذا عاهدتها بالنوادر في بعض الأحيان، ولاطفتها بالفكاهات
في أحد الأزمان، عادت إلى العمل الجد بنشطة جديدة، وراحة في طلب العلوم مديدة.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " روحوا القلوب ساعة بعد
ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت ".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: " أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرق الحكمة،
فإنها تمل كما تمل الأبدان، والنفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهويني، جانحة إلى اللهو، أمارة
بالسوء، مستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل؛ فإن أكرهتها أنضيتها، وإن
أهملتها أرديتها".

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو نواجذه.

وكان محمد بن سيرين
يضحك حتى يسيل لعابه.

وقال هشام بن عبد الملك: قد أكلت الحلو والحامض حتى ما أجد لواحد منهما طعماً،
وشممت الطيب حتى ما أجد له رائحة، وأتيت النساء حتى ما أبالي أمرأة أتيت أم
حائطاً؛ فما وجدت شيئاً ألذ إلي من جليس تسقط بيني وبينه مئونة التحفظ.

وقال أحمد بن عبد ربه: الملح نزهة النفس، وربيع القلب، ومرتع السمع، ومجلب الراحة،

ومعدن السرور. وقال أيضاً: إن في بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من
الحواريين، فكان يوحنا لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا
يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله. فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك! كأنك
قد فرغت من عملك! فقال له يوحنا: ما أكثر بكاك! كأنك قد يئست من ربك. فأوحى
الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: أن أحب السيرتين إلي سيرة يوحنا.
والعرب إذا مدحوا الرجل قالوا: هو ضحوك السن، بسام العشيات، هش إلى الضيف.
وإذا ذمته قال: هو عبوس الوجه، جهم المحيا، كريه المنظر، حامض الوجه كأنما وجهه بالخل
منضوح. وكأنما أسعط خيشومه بالخردل.
وقيل لسفيان: المزاح هجنة؛ فقال: بل سنة، لقوله عليه الصلاة والسلام: " إني لأمزح ولا
أقول إلا الحق "، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.
مزاحات رسول الله
وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمن ذلك: أنه قال صلى الله عليه وسلم لرجل
استحمله: " نحن حاملوك على ولد الناقة " يريد: البعير. وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة
من الأنصار: " الحق زوجك ففي عينه بياض ". فسعت المرأة نحو زوجها مرعوبة؛ فقال
لها: ما دهاك؟ فقالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في عينك بياضاً؛
فقال: إن في عيني بياضاً لا لسوء. وأتته عجوز أنصارية قالت: يا رسول الله، ادع لي
بالمغفرة. فقال لها: " أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجز "! فصرخت؛ فتبسم صلى الله
عليه وسلم وقال لها: "أما قرأت " إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً" ".
ونظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أعرابي قد صلى صلاة خفيفة، فلما قضاها
قال: اللهم زوجني بالحور العين؛ فقال عمر: يا هذا! أسأت النقد، وأعظمت الخطبة.
من اشتهر بالمزاح من الصحابة
رضوان الله عليهم
كان أشهرهم بالمزاح رضي الله عنهم نعيمان، وهو أحد أصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم البدريين، وله رضي الله عنه مزاحات مشهورة، منها ما روى: أنه خرج مع أبي
بكر الصديق إلى بصرى، وكان في الحملة سويبط، هو بدري أيضاً، وكان سويبط على
الزاد؛ فجاءه نعيمان فقال له: أطعمني؛ قال: لا، حتى يأتي أبو بكر. فقال نعيمان: والله
لأغيظنك. وجاء إلى أناس جلبوا ظهراً، فقال ابتاعوا مني غلاما عربياً فارهاً إلا أنه دعاء،
له لسان، لعله يقول: أنا حر؛ فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه، لا تفسدوا على غلامي، قالوا:
بل نبتاعه منك بعشر قلائص. فأقبل بها يسوقها، وأقبل بالقوم حتى عقلها، ثم قال: دونكم!
هذا هو. فقالوا: قد اشتريناك. فقال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حر؛ فقالوا: قد أخبرنا
خبرك، ووضعوا في عنقه حبلا وذهبوا به. فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبر بذلك،
فذهب هو وأصحابه، فردوا القلائص على أربابها وأخذوه. وأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم بالقصة فضحك منها حولاً.
ومن مزاحاته: أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة عسل اشتراها من
أعرابي، وأتى بالأعرابي إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: خذ الثمن من هاهنا.
فلما قسمها النبي صلى الله عليه وسلم نادى الأعرابي: ألا أعطى ثمن عسلي؟! فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: " إحدى هنات نعيمان ". وسأله: لم فعلت هذا؟ فقال:
أردت برك يا رسول الله، ولم يكن معي شيء. فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى
الأعرابي حقه.
ومن مزاحاته أيضاً: أنه مر يوماً بمخرمة بن نوفل الزهري، وهو ضرير، فقال له: قدني حتى
أبول، فأخذ بيده حتى إذا كان في مؤخر المسجد قال له: اجلس؛ فجلس مخرمة ليبول،
فصاح الناس: يا أبا المسور، أنت في المسجد. فقال: من قادني؟ فقيل له: نعيمان. قال: لله
علي أن أضربه بعصاي إن وجدته. فبلغ ذلك نعيمان، فجاء يوماً فقال لمخرمة: يا أبا
المسور، هل لك في نعيمان؟ قال نعم. قال: هو ذا يصلي. وأخذ بيده وجاء به إلى عثمان
بن عفان رضي الله عنه وهو يصلي، فقال: هذا نعيمان؛ فعلاه مخرمة بعصاه؛ فصا به

الناس: ضربت أمير المؤمنين. فقال: من قادني؟ قالوا: نعيمان؛ فقال: لا جرم لا عرضت له
بسوء أبداً.
ومنهم ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي
الله عنهم. وكان ذا ورع وعفاف وشرف، وكان كثير المجون، وله نوادر مستظرفة، منها: أنه
لقي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما تقول في إنسان هجان بشعر،
وهو:

أذهبت مالك غير متروك في كل مؤنسة وفي الخمر
ذهب الإله بما تعيش به وبقيت وحدك غير ذي وفر

فقال عبد الله بن عمر: أرى أن تأخذ بالفضل وتصفح. فقال له عبد الله بن محمد بن عبد
الرحمن: والله أرى غير ذلك. فقال: وما هو؟ قال: أرى أن أنيكه. فقال ابن عمر: سبحان
الله! ما تترك الهزل! وافترقا. ثم لقيه بعد ذلك فقال له: أتدري ما فعلت بذلك الإنسان؟
فقال: أي إنسان؟ قال: الذي أعلمتك أنه هجاني. قال: ما فعلت به؟ قال: كل مملوك لي
حر إن لم أكن نكته. فأعظم ذلك عبد الله بن عمر واضطرب له. فقال له: امرأتي والله
التي قالت الشعر وهجتني به. وكانت امرأته أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.
وقد مدح الشعراء اللعب في موضعه، كما مدح الجد في موضعه؛ فقال أبو تمام:

الجد شيمته وفيه فكاهة طوراً ولا جد لمن لم يلعب

وقال الأبيرد رحمة الله عليه:

إذا جد عند الجد أرضاك جده وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

ومن مجون عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ما حكي أن جاريته قالت له: إن فلاناً
القارئ، وكان يظهر النسك، قد قطع علي الطريق وآذاني ويقول لي: أنا أحبك. فقال لها:
قولي له: وأنا أحبك أيضاً، وواعديه المنزل؛ ففعلت وأدخلته المنزل؛ وكان عبد الله قد
واعد جماعة من أصحابه ليضحكوا على الرجل. ودخلت الجارية إلى البيت الذي فيه
الرجل، فدعاها فاعتلت عليه، فوثب إليها فاحتملها وضرب بها الأرض، فدخل عليه ابن
أبي عتيق وأصحابه وقد تولكها، فحجل وقام وقال: يا فساق، ما تجمعتم ها هنا إلا لريبة،

فقال له ابن أبي عتيق: استر علينا ستر الله عليك. ثم لم يرتدع عن العبث بها، فشكت
ذلك إلى سيدها؛ فقال لها: هيئي من الطعام طحن ليلة إلى الغداة ففعلت، ثم قال لها: عديه
الليلة، فإذا جاء فقولي له: إن وظيفتي الليلة طحن هذا كله، ثم اخرجي إلى البيت
واتركيه، ففعلت. فلما دخل طحنت الجارية قليلاً، ثم قالت له: أدر الرحى حتى أفتقد
سيدي، فإذا نام وأمنا أن يأتينا أحد، صرت إلى ما تحب، ففعل، ومضت الجارية إلى
مولاها، وأمر ابن أبي عتيق عدة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهن ويتفقدن أمر
الطحن ويحثثن عليه، ففعلن وجعلن ينادين الفتى كلما كف عن الطحن: يا فلانة إن مولاك
مستيقظ والساعة يعلم أنك قد كففت عن الطحن، فيقوم إليك بالعصا كعادته مع من كانت
نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفت عن الطحن. فلم يزل كلما سمع ذلك الكلام منهن اجتهد
في العمل والجارية تتفقده وتقول له: استيقظ مولاي والساعة ينام فأصير إلى ما تحب وهو
يطحن، حتى أصبح وفرغ القمح. فأتته الجارية بعد فراغه فقالت له: قد أصبح فانج
بنفسك. فقال: أو قد فعلتها يا عدوة الله! وخرج تعباً نصباً، وأعقبه ذلك مرضاً شديداً
أشرف منه على الموت، وعاهد الله ألا يعود إلى كلام الجارية، فلم تر منه بعد ذلك شيئاً
تكرهه. قال: وتعشى عبد الله ليلة ومعه رجل من الأنصار، فوقع حجر في الدار ووقع آخر
وثالث؛ فقال للجارية: اخرجي فانظري: أذنوا المغرب أم لا، فخرجت وجاءت بعد ساعة،
وقالت: قد أذنوا وصلوا. فقال الرجل الذي كان عنده: أليس قد صلينا قبل أن تدخل
الجارية؟ قال: بلى، ولكن لو لم أرسلها تسأل عن ذلك لرجمنا إلى الغداة، أفهمت؟! قال:
نعم، قد فهمت. قال وسمع بعد الله بن أبي عتيق قول عمر بن أبي ربيعة:

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فركب بغلته من المدينة، وسار يريد مكة، فلما بلغ ذا الحليفة قيل له: أحرم؛ قال: ذو
الحاجة لا يحرم، وجاء حتى دخل على الثريا. فقال لها: ابن عمك يقول:

ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

ثم ركب بغلته وعاد.
مجون الأعراب
سئل أعرابي عن جارية له يقال لها زهرة، فقيل له: أيسرك أنك الخليفة وأن زهرة ماتت؟
فقال: لا والله! تذهب الأمة وتضيع الأمة. وجد أعرابي مرآة وكان قبيح الصورة، فنظر
فيها فرأى وجهه فاستقبحه، فرمى بها وقال: لشر ما طرحك أهلك. وقيل لأعرابي: لم
يقال: باعك الله في الأعراب؟ فقال: لأنا نجيع كبده، ونعرى جلده، ونطيل كده. وتزوج
أعرابي على كبر سنه، فقيل له في ذلك، فقال: أبادره باليتم، قبل أن يبادرني بالعقوق. ومر
أعرابي وفي يده رغيف برجل في يده سيف، فقال: بعني هذا السيف بهذا الرغيف، فقال:
أمجنون أنت؟ فقال الأعرابي: ما أنكرت مني؟ انظر أيهما أحسن أثراً في البطن.
وحكي أن المهدي خرج للصيد فغلبه فرسه حتى انتهى به إلى خباء لأعرابي، فقال: يا
أعرابي، هل من قرى؟ قال: نعم، وأخرج له فضلة من خبز ملة فأكلها وفضلة من لبن
فسقاه، ثم أتى بنبيذ في زكرة فسقاه قعباً. فلما شرب قال: أتدري من أنا؟ قال: لا والله.
قال: أنا من خدم الخاصة، قال: بارك لك الله في موضعك. ثم سقاه آخر، فلما شربه قال:
أتدري من أنا؟ قال: نعم، زعمت أنك من خدم الخاصة، قال: بل أنا م قواد أمير المؤمنين،
فقال له الأعرابي: رحبت بلادك، وطاب مادك ومرادك. ثم سقاه قدحاً ثالثاً، فلما فرغ منه
قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟ قال: زعمت أخيراً أنك أنك من قواد أمير المؤمنين، قال: لا
ولكني أمير المؤمنين. فأخذ الأعرابي الزكرة فأوكاها وقال: والله لئن شربت الرابع لتقولن:
إنك لرسول الله، فضحك المهدي. ثم أحاطت بهم الخيل، فنزل أبناء الملوك والأشراف،
فطار قلب الأعرابي، فقال له المهدي: لا بأس عليك! وأمر له بصلة. فقال: أشهد أنك
صادق، ولو ادعيت الرابعة لخرجت منها.
ودخل أعرابي على يزيد بن المهلب وهو على فرشه والناس سماطان، فقال: كيف أصبح
الأمير؟ قال يزيد: كما تحب. فقال الأعرابي: لو كنت كما أحب كنت أنت مكاني وأنا
مكانك، فضحك يزيد.

**من نوادر القضاة**

**قيل: أتى عدي بن أرطاة شريحاً القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها إليه،**
**فلما جلس عدي بين يدي شريح، قال عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني**
**امرؤ من أهل الشام، قال: بعيد الدار. قال: وإني قدمت العراق، قال: خير مقدم. قال:**
**وتزوجت هذه المرأة، قال: بالرفاء والبنين. قال: وإنها ولدت غلاماً، قال: ليهنك الفارس.**
**قال: وقد أردت أن أنقلها إلى داري، قال: المرء أحق بأهله.**
**قال: كنت شرطت لها دارها،**
**قال: الشرط أملك. قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من قضيت؟ قال: على**
**ابن أمك.**
**ودخل على الشعبي في مجلس قضائه رجل وامرأته، وكانت المرأة من أجمل النساء،**
**فاختصما إليه، فأدلت المرأة بحجتها، وقويت بينتها. فقال للزوج: هل عندك من دافع؟**
**فأنشأ يقول:**

**فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها**
**فتنته بدلال وبخطى حاجبيها**
**قال للجلواز قرب ها وقدم شاهديها**
**فقضى جوراً على الخص م ولم يقض عليها**

**قال الشعبي: فدخلت على عبد الملك بن مروان، فلما نظر إلي تبسم وقال:**

**فتن الشعبي لما رفع الطرف إليها**

**ثم قال: ما فعلت بقائل هذه الأبيات؟ قال: أوجعته ضرباً يا أمير المؤمنين بما انتهك من**
**حرمتي في مجلس الحكومة وما افترى به علي. قال: أحسنت!. وأحضر رجل امرأته إلى**
**بعض قضاة البصرة، وكانت حسنة المنتقب، قبيحة المسفر، فمال القاضي لها على زوجها**
**وقال: بعمد أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ثم يسيء إليها. فطن الرجل لميله إليها**
**فقال: أصلح الله القاضي، قد شككت في أنها امرأتي، فمرها تسفر عن وجهها، فوقع ذلك**
**بوفاق من القاضي، فقال لها: اسفري رحمك الله؟ فسفرت عن وجهه قبيح. فقال القاضي**
**لما نظر إلى قبح وجهها: قومي عليك لعنة الله! كلام مظلوم، وجهه ظالم.**
**قيل: بينا رقة بن مصقلة القاضي في حلقته، إذ مر به رجل غليظ العنق، فقال له بعض**

جلسائه: يا أبا عبد الله، هذا أعبد الناس. فقال رقبة: إني لأرى لهذا عنقاً ما دققتها
العبادة. قال: فمضى الرجل وعاد قاصداً إليهم. فقال رجل لرقبة: يا أبا عبد الله، أخبره
بما قلت حتى لا تكون غيبة، قال: نعم، أخبره أنت حتى تكون نميمة. ودخل رقبة
المسجد الأعظم فألقى نفسه إلى حلقة قوم، ثم قال: قتيل فالوذج رحمكم الله! قالوا: عند
من؟ قال: عند من حكم في الفرقة وقضى في الجماعة، يعني: بلال بن أبي بردة.
واختصم رجلان إلى إياس بن معاوية وهو قاضي البصرة لعمر بن عبد العزيز في مطرف
خزوأنبجاني، وادعى كل واحد منهما أن المطرف له وأن الأنبجاني لصاحبه. فدعا إياس
بمشط وماء، فبل رأس كل واحد منهما، ثم قال لأحدهما: سرح رأسك فسرحه، فخرج في
المشط عفر المطرف، وفي مشط الآخر عفر الأنبجاني، فقال: يا خبيث! الأنبجاني لك،
فأقر، فدفع المطرف لصاحبه. وقال رجل لإياس: هل ترى على من بأس إن أكلت تمراً؟
قال: لا. قال: فهل ترى علي من بأس إن أكلت معه كيسوماً؟ قال: لا. قال: فإن شربت
عليهما ماء؟ قال: جائز. قال: فلم تحرم السكر، وغنما هو ما ذكرت لك؟ قال له إياس لو
صببت عليك ماء هل كان يضرك؟ قال: لا. قال: فلو نثرت عليك تراباً هل كان يضرك؟
قال: لا. قال: فإن أخذت ذلك فخلطته وعجنته وجعلت منه لبنة عظيمة فضربت بها
رأسك هل كان يضرك؟ قال: كنت تقتلني. قال: فهذا مثل ذاك.
دعا الرشيد أبو يوسف القاضي فسأله عن مسألة فأفتاه، فأمر له بمائة ألف درهم. فقال:
إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح! فقال: عجلوها له. فقيل: إن الخازن في
بيته والأبواب مغلقة. فقال أبو يوسف: وقد كنت في بيتي والدروب مغلقة، فلما دعيت
فتحت. فقال له الرشيد: بلغني أنك لا ترى لبس السواد. فقال: يا أمير المؤمنين، ولم وليس
في بدني شيء أعز منه؟ قال: وما هو؟ قال: السواد الذي في عيني.
وسأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد، فقال: لا أحرمه، ولكني أكرهه. قال: ولم؟ قال:

لأنه لا تجلى فيه عروس، ولا يلبي فيه محرم، ولا يكفن فيه ميت. فالتفت الرشيد إلى أبي
يوسف وقال: ما تقول أنت في السواد؟ قال: يا أمير المؤمنين، النور في السواد. فاستحسن
الرشيد ذلك. ثم قال: وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين. قال: وما هي؟ قال: لم يكتب كتاب
الله إلا به، فاهتز الرشيد لذلك.
تقدم رجل إلى أبي حازم عبد الحميد بن عبد العزيز السكوني قاضي المعتمد، وقدم أباه
يطالبه بدين له عليه، فأقر الأب بالدين، وأراد الابن حبس والده. فقال القاضي: هل لأبيك
مال؟ قال: لا أعلمه. قال: فمذ كم داينته بهذا المال؟ قال: منذ كذا وكذا. قال: قد
فرضت عليك نفقة أبيك من وقت المداينة، فحبس الابن وخلى الأب.
كان عبد الملك بن عمر قاضي الكوفة، فهجاه هذيل الأشجعي بأبيات منها:

إذا ذات دل كلمته بحاجة  فهم بأن يقضى تنحنح أو سعل

فكان عبد الملك يقول: قاتله الله! والله لربما جائتني النحنحة وأنا في المتوضأ فأذكر ما قال
فأردها.
وقيل: شهد سلمى الموسوس عند جعفر بن سليمان على رجل، فقال: هو أصلحك الله
ناصبي، رافضي، قدري، مجبري، يشتم المحجاج بن الزبير الذي يهدم الكعبة على علي بن
أبي سفيان. فقال له جعفر: ما أدرى على أي شيء أحسدك: على علمك بالمقالات، أم
على معرفتك بالأنساب! فقال: أصلح الله الأمير، ما خرجت من الكتاب، حتى حذفت
هذا كله ورائي.
واستفتي بعض القضاة، وقد نسبت إلى القاضي أبي بكر بن قريعة، فقيل له: ما يقول سيدنا
القاضي أيده الله في رجل باع حجراً من رجل، فحين رفع ذنبها ليقلبه خرجت منها ريح
مصوتة اتصلت بحصاة ففقأت عين المشتري؟ أفتينا في الدية والرد يرحمك الله. فأجاب: لم
تجر العادة بمثل هذه البدائع، بين مشتر وبائع؛ فلذلك لم يثبت في كتب الفقهاء، ولم يستعمل في
فتوى العلماء، لكن هذا وما شاكله يجري مجرى الفضول المستخرج من أحكام العقول،
والقول فيه وبالله العصمة من الزلل والخطل : أن دية ما جنته الحجر ملغي في الهدر، عملاً

بقول النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، " جرح العجماء جبار "، لاسيما
والمشتري عند كشفه لعورتها، استثار كامن سورتها. وعلى البائع لها ارتجاعها، ورد ما
قبض من ثمنها، لأنه دلس حجراً مضيقها منجنيقها. وإذا كانت السهام طائشة، فهي من
العيوب الفاحشة. وكيف يمتنع ردها وأغراضها نواظر الحدق، وقلما يستظهر المقلبون
الخيل بالدرق.
من نوادر النحاة
قدم رجل من النحاة خصماً إلى القاضي، وقال: لي عليه مائتان وخمسون درهماً. فقال
لخصمه: ما تقول؟ فقال: أصلح الله القاضي، الطلاق لازم له، إن كان له إلا ثلثمائة، وإنما
ترك منها خمسين ليعلم القاضي أنه نحوي.
ومر أبو علقمة بأعدال قد كتب عليها: رب سلم لأبو فلان، فقال لأصحابه: لا إله إلا الله!
يلحنون ويربحون.
وجاء رجل إلى الحسن البصري فقال: ما تقول في رجل مات فترك أبيه وأخيه؟ فقال
الحسن: ترك أباه وأخاه. فقال: ما لأباه وأخاه، فقال الحسن: ما لأبيه وأخيه. فقال الرجل:
إني أراك كلما طاوعتك تخالفني!. وقيل سكر هارون بن محمد بن عبد الملك ليلة بين يدي
الموفق، فقام لينصرف فغلبه السكر فنام في المضرب. فلما انصرف الناس جاء راشد
الحاجب فأنبهه وقال: يا هارون انصرف. فقال: هارون لا ينصرف. فأعاد راشد القول
على هارون، فقال هارون: سل مولاك فهو يعلم أن هارون لا ينصرف. فسمع الموفق فقال:
هارون لا ينصرف، فتركه راشد. فلما أصبح الموفق وقف على أن هارون بات في مضربه،
فأنكر على راشد، وقال: يا راشد، يبيت في مضربي رجل لا أعلم به! فقال: أنت أمرتني
بهذا، قلت: هارون لا ينصرف. فضحك وقال: ما أردت إلا الإعراب وظننت أنت غيره.
وقيل: قدم العريان بن الهيثم على عبد الملك، فقيل له: تحفظ من مسلمة فإنه يقول: لأن
يلقمني رجل بحجر أحب غلي من أن يسمعني رجل لحناً، فأتاه العريان ذات يوم فسلم
عليه. فقال له مسلمة: كم عطاءك؟ قال: ألفين. فنظر إلى رجل عنده وقال له: لحن

العراقي، فلم يفهم الرجل عن مسلمة، فأعاد مسلمة القول على العريان وقال: كم عطاؤك؟
فقال: ألفان. فقال: ما الذي دعاك إلى اللحن أولاً والإعراب ثانياً؟ قال: لحن الأمير
فكرهت أن أعرب، وأعرب فأعربت. فاستحسن قوله وزاد في عطائه.
ووقف نحوي على بقال يبيع الباذنجان فقال له: كيف تبيع؟
قال: عشرين بدانق، فقال: وما
عليك أن تقول: عشرون بدانق؟ فقدر البقال أنه يستزيده، فقال ثلاثين بدانق. فقال: وما
عليك أن تقول: ثلاثون؟ فما زال على ذلك إلى أن بلغ سبعين، فقال: وما عليك أن تقول:
سبعون؟ فقال: أراك تدور على الثمانون وذلك لا يكون أبداً.

من نوادر المتنبئين

قيل: ادعى رجل النبوة في أيام المهدي، فأدخل عليه، فقال له: إلى من بعثت؟ فقال: ما
تركتموني أذهب إلى من بعثت إليهم، فإني بعثت بالغداة وحبستموني بالعشي. فضحك
المهدي منه وأمر له بجائزة وخلى سبيله.
وتنبأ رجل وادعى أنه موسى بن عمران. فبلغ خبره الخليفة، فأحضره وقال له: من أنت؟
قال: أنا موسى بن عمران الكليم. قال: وهذه عصاك التي صارت ثعباناً! قال نعم. قال:
فألقها من يدك ومرها أن تصير ثعباناً كما فعل موسى. قال: قل أنت " أنا ربكم الأعلى "
كما قال فرعون حتى أصير عصاي ثعباناً كما فعل موسى. فضحك الخليفة منه
واستظرفه. وأحضرت المائدة، فقيل له: أكلت شيئاً؟ قال: ما أحسن العقل! لو كان لي
شيء آكله، ما الذي كنت أعمل عندكم؟ فأعجب الخليفة وأحسن إليه.
وادعت امرأة النبوة على عهد المأمون، فأحضرت إليه فقال لها: من أنت؟ قال: أنا فاطمة
النبية. فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، كل
ما جاء به فهو حق. فقال المأمون: فقد قال محمد صلى الله عليه وسلم: " لا نبي بعدي
". قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدي؟ فقال المأمون لمن حضره:
أما أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحك حتى غطى على وجهه.

وادعى رجل النبوة، فقيل له: ما علامات نبوتك؟ قال: أنبئكم بما في نفوسكم. قالوا: فما
في أنفسنا؟ قال: في أنفسكم أنني كذبت ولست بنبي.
وتنبأ رجل في أيام المأمون، فأتي به إليه، فقال له: أنت نبي؟ قال نعم. قال: فما معجزتك؟
قال: ما شئت. قال: أخرج لنا من الأرض بطيخة. قال: أمهلني ثلاثة أيام. قال المأمون: بل
الساعة أريدها. قال: يا أمير المؤمنين، أنصفني، أنت تعلم أن الله ينبتها في ثلاثة أشهر، فلا
تقبلها من ي في ثلاثة أيام! فضحك منه، وعلم أنه محتال، فاستتابه ووصله.
وادعى آخر النبوة في زمانه فطالبه بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فأذيبها حتى
تصير مع الماء شيئاً واحدا. قالوا: قد رضينا. فأخرج حصاة كانت معه فطرحها في الماء
فذابت. فقالوا: هذه حيلة، ولكن أذب حصاة غيرها نأتيك بها نحن. فقال لهم: لا
تتعصبوا، فلست أضل من فرعون، ولا أنا أعظم من موسى، ولم يقل فرعون موسى: لا
أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصاً من عندي تجعلها ثعباناً. فضحك المأمون منه
وأجازه.
وادعى رجل النبوة في أيام المعتصم، فأحضر بين يديه، فقال له: أنت نبي، قال: نعم. قال:
إلى من بعثت؟ قال: إليك. قال: أشهد إنك لسفيه أحمق. قال: إنما يذهب إلى كل قوم
مثلهم. فضحك منه وأمر له بشيء.
وادعى آخر النبوة في أيام المأمون، فقال له: ما معجزتك؟ قال: سل ما شئت، وكان بين
يديه قفل، فقال: خذ هذا القفل فافتحه. فقال: أصلحك الله، لم أهل إني حداد. فضحك
منه واستتابه وأجازه.
وادعى آخر النبوة، فطلب ودعى له بالسيف والنطع، فقال: ما تصنعون؟ قالوا: نقتلك.
قال: ولم تقتلونني؟ قالوا: لأنك ادعيت النبوة. قال: فلست أدعيها. قيل له: فأي شيء
أنت؟ قال: أنا صديق. فدعي له بالسياط، فقال: لم تضربونني؟ قالوا: لادعائك أنك
صديق، قال: لا أدعي ذلك. قالوا: فمن أنت؟ قال: من التابعين لهم بإحسان. فدعي له
بالدرة. قال: ولم ذلك؟ قالوا: لادعائك ما ليس فيك، فقال: ويحكم! أدخل إليكم وأنا نبي

تريدون أن تحطوني في ساعة واحدة إلى مرتبة العوام! لا أقل من أن تصبروا علي إلى غد
حتى أصير لكم ما شئتم.
وادعى آخر النبوة، وسمى نفسه نوحاً، فنهاه صديق له عن ذلك فلم ينته، فأخذه السلطان
وصلبه، فمر به صديقه الذي كان ينهاه، فقال: يا نوح! ما حصل لك من السفينة غير
الدقل.
من نوادر المغفلين والحمقى
قال بعضهم: رأيت ابن خلف الهمداني في صحراء هو يطلب شيء، فقلت له: ما تبغي ها
هنا؟ قال: دفنت شيئاً ولست أهتدي إليه. قالت: فهلا علمت عليه بشيء! قال:
جعلت علامتي قطعة من الغيم كانت فوقه، وما أراها الساعة. ونظر مرة في الحب وهو
الزير فرأى وجهه، فعدا إلى أمه فقال: يا أمي في الحب لص. فجاءت أمه وتطلعت فيه،
فقالت: إي والله ومعه قحبة. ورئي في وسط داره وهو يعدو عدواً شديداً ويقرأ بصوت
عال. فسئل عن ذلك فقال: أردت أن أسمع صوتي من بعيد. ودخل إلى رجل يعزيه، فقال:
عظم الله مصيبتكم، وأعان أخاك على ما يرد عليه من يأجوج ومأجوج. فضحك الناس.
فقال: تضحكون مما قلت! وإنما أردت هاروت وماروت.
وقيل: كتب المنصور إلى زياد بن عبد الله الحارثي، ليقسم بين القواعد والعميان والأيتام
مالاً. فدخل عليه أبو زياد التميمي، وكان مغفلاً فقال: أصلحك الله! اكتبني في القواعد،
فقال له: عافاك الله، القواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن. فقال: فاكتبني في
العميان. قال: اكتبوه منهم، فإن الله تعالى يقول: " فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور ". قال أبو زياد: واكتب ابني في الأيتام، قال: نعم! من كنت أباه فهو
يتيم.
وسئل بعضهم عن مولده، فقال: ولدت رأس الهلال للنصف من رمضان بعد العيد بثلاثة
أيام، فاحسبوا الآن كيف شئتم.
من نوادر النبيذيين
قال رجل لبعض أصحاب النبيذ: وجهت إليك رسولاً عشية أمس فلم يجدك، فقال: ذاك
وقت لا أجد فيه نفسي.

وقيل لبعضهم: كم الصلاة؟ فذكر الغداة والظهر. قالوا: فالعصر؟ قال: تعرف وتنكر.
قالوا: فالعشاء؟ قال: يبلغها الجواد. قالوا: فالعتمة؟ قال: ما كانت لنا في حساب قط.
شرب الأقيشر في حانوت خمار حتى نفد ما معه، ثم شرب بثيابه وبقي عرياناً، فجلس في
تبن يستدفئ به. فمر رجل ينشد ضالة، فقال الأقيشر: الله اردد عليه، واحفظ علينا.
فقال له الخمار: سخنت عينك، أي شيء يحفظ عليك ربك! قال: هذا التبن، لئلا يأخذه
صاحبه فأهلك من البرد.
وباع بعضهم ضيعة له، فقال له المشتري: بالعشي أشهد عليك. فقال: لو كنت ممن يفرغ
بالعشي ما بعت ضيعتي.
من نوادر النساء والجواري
قال رجل: قلت لجارية أريد شراءها: لا يريبك شيبي، فإن عندي قوة، فقالت: أيسرك أن
عندك عجوزاً مغتلمة!
أدخل على المنصور جاريتان فأعجبتاه. فقالت التي دخلت أولاً: يا أمير المؤمنين، إن الله
فضلني على هذه بقوله: " والسابقون الأولون ". وقالت الأخرى: لا، بل الله فضلني عليها
بقوله: " وللآخرة خير لك من الأولى ".
وعرض على المعتصم جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر. فقالت الثيب: ما بيننا إلا يوم
واحد. فقالت البكر: " وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ".
قيل لامرأة ظريفة: أبكر أنت؟ قالت: أعوذ بالله من الكساد.
وقال المتوكل لجارية استعرضها: أنت بكر أم أيش؟ قالت: أنا أيش يا أمير المؤمنين.
واستعرض رجل جارية فاستقبح قدميها. فقالت: لا تبال، فإني أجعلها وراء ظهرك.
وقال الرشيد لبغيض جاريته: إنك لدقيقة الساقين. قالت: أحوج ما تكون إليهما لا
تراهما.
وروى أبو الفرج الأصفهاني عن إسحاق: أن الرشيد أحضره مجلسه ذات ليلة، وقد مضى
شطر الليل، قال: فأخرج جارية كأنها مهاة، فأجلسها في حجره، ثم قال غنيني، فغنته:

جئن من الروم وقاليقلا  يرفلن في المرط ولين الملا
مقرطقات بصنوف الحلى  يا حبذا البيض وتلك الحلى

فاستحسنته وشرب عليه.

طلبت جارية محمود الوراق للمعتصم بسبعة آلاف دينار، فامتنع من بيعها، واشتريت له
بعد ذلك من ميراثه بسبعمائة دينار. فذكر المعتصم ذلك لها، فقالت: إن كان أمير المؤمنين
ينتظر بشهواته المواريث فسبعون ديناراً في ثمني كثير، فكيف بسبعمائة.
واستعرض رجل جارية فقال لها: في يديك عمل؟ قالت: لا، ولكن في رجلي.
وحكى أن بعض المجان كان يعشق جارية أمجن منه. فضاق يوماً، فكتب إليها: قد طال
عهدي بك يا سيدتي، وأقلقني الشوق إليك. فإن رأيت أن تستدركي رمقي بضمغة علك
وتجعليه بين دينارين وتنفذيه إلي لأستفشفي به فعلت إن شاء الله. ففعلت ذلك وكتبت
إليه: رد الظرف من الظرف، وقد سارعت إلى إنفاذ ما طلبت، فأنعم برد الطبق والمكبة،
واستعمل الخبر: " استدروا الهدايا برد الظروف ".
وطلب آخر من عشيقته خاتماً كان معها، فقالت: يا سيدي، هذا ذهب وأخاف أن
تذهب، ولكن خذ هذا العود حتى تعود.
وكتب رجل إلى عشيقته: مري خيالك أن يلم بي. فكتبت إليه: ابعث إلي بدينارين حتى
آتيك بنفسي.
قدم بعضهم عجوزاً دلالة إلى القاضي وقال: أصلح الله القاضي، زوجتي هذه امرأة، فلما
دخلت بها وجدتها عرجاء. فقالت: أصل الله القاضي! زوجته امرأة يجامعها، ولم أعلم
أنه يريد أن يحج عليها أو يسابق بها في الحلبة أو يلعب عليها بالكرة والصولجان!.
كتب رجل إلى عشيقته رقعة، قال في أولها: عصمنا الله وإياك بالتقوى. فكتبت إليه في
الجواب: يا غليظ الطبع، إن استجاب الله دعاءك لم نلتق أبداً.
قال عقيل بن بلال: سمعتني أعرابية أنشد:
وكم ليلة قد بتها غير آثم بمهضومة الكشحين ريانة القلب
فقالت: هلا أثمت! أخزاك الله!.
كان أبو نواس يوماً عند بعض إخوانه، فخرجت عليه جارية بيضاء عليها ثياب خضر.
فلما رآها مسح عينيه وقال: خيراً رأيت إن شاء الله تعالى.
فقالت: وما رأيت؟ قال: ألك
معرفة بعلم التعبير؟ قالت: ولا أعرف غيره. قال: رأيت كأني راكب دابة شهباء، وعليها

جل أخضر وهي تمرح تحتي. فقالت: إن صدقت رؤياك فستدخل فجلة. وقد روي أن
هذه الحكاية اتفقت له مع عنان جارية الناطفي.
وكان بعضهم جالساً مع امرأته في منظرة، فمر غلام حسن الوجه، فقالت: أعيذ هذا بالله،
ما أحسنه وأحسن وجهه وقده! فقال الزوج: نعم، لو لا أنه خصي. فقالت: لعنه الله ولعن
من خصاه.
قال أبو العيناء: خطبت امرأة فاستقبحتني. فكتبت إليها:
فإن تنفري من قبح وجهي فإني أريب أديب لا غبي ولا فدم
فأجابتني: ليس لديوان الرسائل أريدك.
وخطب ثمامة العوفي امرأة. فسألت عن حرفته، فكتب إليها يقول:
وسائلة عن حرفتي قلت حرفتي مقارعة الأبطال في كل مازق
وضربي طلى الأبطال بالسيف معلماً إذا زحف الصفان تحت الخوافق
فلما قرأت الشعر، قالت للرسول: قل له : فديتك! أنت أسد، فاطلب لك لبؤة، فإني ظبية
أحتاج إلى غزال.
خرجت حبى المدنية في جوف الليل، فلقيها إنسان فقال لها: تخرجين في هذا الوقت!
قالت: ما أبالي، إن لقيني شيطان فأنا في طاعته، وإن لقيني رجل فأنا في طلبه. وجاءت إلى
شيخ يبيع اللبن، ففتحت ظرفاً فذاقته ودفعته إليه وقالت: لا تعجل بشده، ثم فتحت آخر
فذاقته ودفعته إليه. فلما أشغلت يديه جميعاً، كشفت ثوبه من خلفه، وجعلت تصفق
بظاهر قدميها آسته وخصييه، وتقول: يا ثارات ذات النحيين، والشيخ يستغيث، فلم
يخلص منها إلا بعد جهد.
غاب رجل عن امرأته فبلغها أنه اشترى جارية، فاشترت غلامين، فبلغه ذلك فجاء
مبادراً، وقال لها: ما هذا؟ فقالت: أما علمت أن الرحى إلى بغلين أحوج من البغل إلى
رحيين! ولكن بع الجارية حتى نبيع الغلامين، ففعل ذلك ففعلت.
ومثل ذلك ما حكي عن الأحنف: أنه اعتم ونظر في المرآة، فقالت له امرأته: كأنك قد
هممت بخطبة امرأة! قال: قد كان ذلك. قالت: فإذا فعلت فاعلم أن المرأة إلى رجلين
أحوج من الرجل إلى امرأتين. فنقض عمته وترك ما كان قد هم به.

**من نوادر العميان**

**قال إبراهيم بن سيابة لبشار الأعمى: ما سلب الله من مؤمن كريمتيه إلا عوضه عنهما:**
**إما الحفظ والذكاء، وإما حسن الصوت. فما الذي عوضك الله عن عينيك؟ قال: فقد**
**النظر لبغيض ثقيل مثلك!**

**ونظير هذه الحكاية ما حكي عن بعضهم، قال: خرجت ليلة من قرية لبعض شأني، فإذا**
**أنا بأعمى على عاتقه جرة وبيده سراج، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر، وملأ جرته وعاد.**
**قال: فقلت له: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواه، فما تصنع بالسراج؟ قال:**
**يا كثير الفضول، حملته لأعمى القلب مثلك، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة، فيقع علي**
**ويكسر جرتي.**

**قالوا: بلغ أبا العيناء أن المتوكل يقول: لولا عمى أبي العيناء لاستكثرت منه، فقال: قولوا**
**لأمير المؤمنين: إن كان يريدني لرؤية الأهلة ونظم اللآلئ واليواقيت وقراءة نقوش الخواتيم، فأنا**
**لا أصلح لذلك، وإن كان يريدني للمحاضرة والمنادمة والمذاكرة والمسامرة، فناهيك بي.**
**فانتهى ذلك إلى المتوكل فضحك منه، وأمر بإحضاره، فحضر ونادمه.**

**تزوج بعض العمين بسوداء، فقالت له: لو نظرت إلى حسني وجمالي وبياضي لازددت في**
**حباً. فقال لها: لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء.**

**من نوادر السؤال**

**سأل أبو عون رجلاً فمنعه، فألح عليه فأعطاه، فقال: الله آجرنا وإياهم، نسألهم إلحافاً**
**ويعطوننا كرهاً، فلا يبارك الله لنا فيها ولا يؤجرهم عليها.**

**وقف أعرابي سائل على باب وسأل، فأجابه رجل وقال: ليس هاهنا أحد. فقال: إنك**
**أحد لو جعل الله فيك بركة.**

**ووقف سائل على باب، وكانت صاحبة الدار تبول في البالوعة، فسمع السائل صوت بولتها**
**فظنه نشنش المقلى، فقال: أطعمونا من هذا الذي تقلونه، فضرطت المرأة وقالت: حطبنا**
**رطب ليس يشعل.**

**ووقف سائل على باب وقال: تصدقوا علي فإني جائع. قالوا: إلى الآن لم نخبز. قال:**
**فكف سويق. قالوا: ليس عندنا سويق. قال: فشربة من ماء فإني عطشان. قالوا: ما أتانا**

السقاء. قال: فيسير دهن أجعله في رأسي. قالوا: من أين لنا دهن. فقال: يا أولاد الزنا،
فما قعودكم هنا! قوموا واسحتوا معي!
من اشتهر بالمجون
كان مزبد ممن اشتر بالمجون والنوادر، وله نوادر. فمنها ما قيل: إنه أخذه بعض الولاة وقد
اتهم بالشرب، فاستنكهه، فلم يد منه رائحة، فقال: قيئوه.
فقال مزبد: ومن يضمن عشائي
أصلحك الله؟ فضحك منه وأطلقه. وهبت ريح شديد فصاح الناس: القيامة، القيامة!
فقال مزبد: هذه قيامة على الريق بلا دابة، ولا دجال، ولا القائم، ولا عيسى بن مريم، ولا
يأجوج ومأجوج. وقيل له: لم لا تكون كفلان؟ يعنون رجلاً موسراً
فقال: بأبي أنتم! كيف
أشبه بمن يضرط فيشمت وأعطس فألطم!. وقيل له: ما بال حمارك يتبلد إذا توجه نحو
المنزل وحمير الناس إلى منازلها أسرع؟ قال: لأنه يعرف سوء المنقلب. ونظرت امرأته وهي
حبلى إلى قبح وجهه، فقالت: الويل لي إن كان الذي في بطني يشبهك. فقال لها: الويل لك
إن لم يكن يشبهني. وسمع رجلاً يقول عن ابن عباس: من نوى حجة وعاقه عائق، كتبت
له. فقال مزبد: ما خرج العام كراء أرخص من هذا.
وممن اشتهر بالمجون أشعب.
من نوادر أشعب وأخباره
هو أشعب بن جبير. واسمه شعيب، وكنيته أبو العلاء. وأمه أم الجلندح، وقيل أم حميد
حميدة. وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها. وكان أبوه قد خرج مع
المختار ابن أبي عبيد، فأسره مصعب بن الزبير، فقال له: ويلك! تخرج علي وأنت مولاي!
وقتله صبراً. وقد قيل في ولائه: إن أباه مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإن أمه
كانت مولاة أبي سفيان بن حرب، وإن ميمونة أم المؤمنين أخذتها لما تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وكانت تدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم،
فيستظرفنها، ثم صارت تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض، وتغري بينهن. فدعا عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فماتت. وقد حكي عن أشعب: أنه جلس يوماً في مجلس

فيه جماعة، فتفاخروا وذكر كل واحد منهم مناقبه وشرفه أو شجاعته أو شعره وغير ذلك
مما يتمدح به الناس ويتفاخرون، فوثب أشعب وقال: أنا ابن أم الجلندح، أنا ابن المحرشة بين
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. فقيل له: ويلك! أو بهذا يفتخر الناس! قال: وأي
افتخار أعظم من هذا! لو لم تكن أمي عندهن ثقة لما قبلن روايتها في بعضهن بعضاً. وقد
حكي: أنها زنت، فحلقت، وطيف بها على جمل، فكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا
يزنين. فقالت لها امرأة: نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه، ونطيعك وأنت مجلودة محلوقة،
راكبة على جمل!. ونشأ أشعب بالمدينة في دور آل أبي طالب، وكفلته وتولت تربيته
عائشة بنت عثمان. وعمر أشعب عمراً طويلاً. وحكي عنه أنه قال: كنت مع عثمان
رضي الله عنه يوم الدار لما حصر، فلما جرد مماليكه السيوف ليقاتلوا كنت فيهم، فقال
عثمان: من أغمد سيفه فهو حر. فلما وقعت في أذني كنت والله أول من أغمد سيفه
فعتقت. وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة. وهذا القول يدل على أنه كان مولى
عثمان بن عفان رضي الله عنه.
وقد روى أبو الفرج الأصفهاني بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن المهدي عن عبيد ابن أشعب
عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمان بن عفان.
وعمر أشعب حتى هلك في أيام المهدي. قال: وكانت في أشعب خلال، منها: أنه كان
أطيب أهل زمانه عشرة، وأكثرهم نادرة، وكان أقوم أهل دهره لحجج المعتزلة، وكان امرأ
منهم. وقال مصعب بن عبد الله: كان أشعب من القراء حسن الصوت بالقراءة، وكان قد
نسك وغزا، وقد روى الحديث عن عبد الله بن جعفر. وقال الأصمعي: قال أشعب:
نشأت أنا وأبي الزناد في حجر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلوا وأسفل حتى بلغنا هذه
المنزلة. وقال إسحاق ابن إبراهيم: كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها.
وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزبيري عفا الله عنه:

إذا تمرزت صراحية  كمثل ريح المسك أو أطيب
ثم تغنى لي بأهزاجه  زيد أخو الأنصار أو أشعب

حسبت أني ملك جالس حفت به الأملاك والموكب
وما أبالي وإله العلا أشرق العالم أم غربوا
ولأشعب نوادر مستظرفة وحكايات مستحسنة، وقد آن أن نذكرها. فمنها ما حكي أنه
كان يقول: كلبي كلب سوء، يبصبص للأضياف، وينبح على أصحاب الهدايا. وقيل له: قد
لقيت رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلو حفظت أحاديث تتحدث بها!
فقال: أنا أعلم الناس بالحديث. قيل فحدثنا: قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس رضي
الله عنهم قال: خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة، ثم سكت. فقيل له: هات، ما
الخلتان؟ قال: نسي عكرمة إحداهما ونسيت أنا الأخرى. وكان أشعب يحدث عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول: حدثني عبد الله، وكان يبغضني في الله. وكان أشعب
يلازم طعام سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم. فاشتهى سالم أن يأكل مع بناته
فخرج إلى البستان، فجاء أشعب إلى منزل سالم على عادته، فأخبر بالقصة، فاكترى جملاً
بدرهم وجاء إلى البستان. فلما حاذى الحائط وثب فصار عليه، فغطى سالم بناته بثوبه
وقال: بناتي بناتي! فقال أشعب: " لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد
".
قال أشعب: جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثني الفراش.
فجاءت بعد أيام وقالت: بأبي أنت! الدينار، فقلت ارفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد
ولد، وكنت قد تركت إلى جنبه درهماً، فأخذت الدرهم وتركت الدينار. وعادت بعد أيام
فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك. وجاءت في الرابعة، فلما رأيتها
بكيت، فقالت: ما يبكيك؟ قلت: مات دينارك في النفاس.
فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ قلت: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصدقين النفاس!.
ومن أخباره المستظرفة ما حكاه المدائني، قال: قال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت:
اللهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحد

شيئاً. فجئت إلى أمي، فقالت: مالك قد جئت خائباً؟ فأخبرتها بذلك، فقالت: والله لا
تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك فرجعت فجعلت أقول: يا رب أقلني، ثم رجعت، فما
مررت بمجلس لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني، ووهب لي غلام، فجئت إلى أمي بجمال
موقورة من كل شيء. فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً إن قلت:
وهبوه لي. فقالت: أي شيء هذا؟ فقلت: غين. قالت: أي شيء غين؟ قلت: لام.
قالت: أي شيء لام؟ قلت: ألف. قالت: وأي شيء ألف؟ قلت: ميم. قالت: وأي
ميم؟ قلت: غلام، فغشي عليها. ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً. قال: وجلس
أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، فانفلتت من مروان ريح لها صوت،
فانصرف أشعب يوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح. فلما انصرف مروان إلى
منزله جاءه أشعب فقال له: الدية، قال: دية ماذا؟ دية الضرطة التي تحملتها عنك، وإلا
شهرتك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحه عليه.
قوال محمد بنأبي قبيلة: غذى أشعب جدياً بلبن أمه وغيرها حتى بلغ غاية، ثم قال
لزوجته أم ابنه وردان: إني أحب أن ترضعيه بلبنك ففعلت. ثم جاء به إلى إسماعيل بن
جعفر بن محمد، فقال: تالله إنه لابني، رضع بلن زوجتي، قد حبوتك به، ولم أر أحداً
يستأهله سواك. فنظر إسماعيل إليه وأمر به فذبح وسمط. فأقبل عليه أشعب وقال:
المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك. فلما
يئس أشعب منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر، ثم اندفع فشهق حتى التقت
أضلاعه، ثم قال: أخلني. قال: ما معنا أحد يسمع، ولا عليك عين. قال: وثب ابنك
إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه. فارتاع جعفر وصاح: ويلك! وفيم؟ وتريد
ماذا؟ قال: أما ما أريد فوالله مالي في إسماعيل حيلة ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك.
فجزاه خيراً وأدخله منزله وأخرج إليه مائتي دينار فقال: خذ هذه، ولك عندنا ما تحب.

قال: وخرج إلى إسماعيل وهو لا يبصر ما يطأ عليه، فإذا به مسترسل في مجلسه. فلما رأى
وجه أبيه أنكره وقام إليه، فقال: يا إسماعيل، فعلتها بأشعب! قتلت ولده؟ قال:
فاستضحك وقال: جاءني، وأخبره الخبر. فأخبره أبوه بما كان منه وما صار إليه. قال:
فكان جعفر يقول لأشعب: رعتني راعك الله! فيقول: روعة ابنك بنا في الجدي أكثر من
روعتك بالمائتي الدينار.
قال المدائني: دخل أشعب على الحسين بن علي رضي الله عنهما، وعنده أعرابي قبيح
المنظر، مختلف الخلقة، فسبح أشعب حين رآه وقال للحسين: بأبي أنت وأمي، أتأذن لي أن
أسلح عليه؟ فقال: إن شئت. ومع الأعرابي قوس وكنانة، ففوق نحوه سهماً، وقال: والله
لئن فعلت لتكونن آخر سلحة سلحتها. فقال أشعب للحسين: جعلت فداك، أخذني
القولنج. وعنه قل: توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى. فقيل له: لم تكرت
غسل اليمنى؟ فقال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أمتي غر محجلون من آثار
الوضوء " وأنا أحب أن أكون أغر محجلاً مطلق اليمين. وقال: سمع أشعب حبى المدنية
تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال لها: يا فاسقة! أنت لم تسألي الله تعالى
المغفرة، وإنما سألته عمر الأبد! يريد: أن الله لا يغفر لها أبداً.
وقال الزبير بن بكار: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو، وقد قبض وجهه فصيره كالصبرة
المجموعة. فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه وناداه: يا أشعب، إنما أنت تناجي ربك
فناجه بوجه طليق. قال: فأرخى لحييه حتى وقعا على زوره. قال: فأعرض عنه، وقال:
ولا كل ذا.
وقال مصعب: بلغ أشعب أن الغاضري قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة
استطابوه، فرقبهم حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويضحكهم، فصار
إليهم، ثم قال: قد بلغني أنك قد نحوت نحوي، وشغلت عني من كان يألفني، فإن كنت مثلي
فافعل كما أفعل. ثم غضن وجهه وعرضه وشنجه، حتى صار عرضه أكثر من طوله،

وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدره، وصار كأنه
وجه الناظر في سيف، ثم نزع ثيابه وتحادب، فصار في ظهره حدبة كسنام البعير، وصار
طوله مقدار شبر، ثم نزع سراويله، وجعل يمد جلد خصييه حتى حك بهما الأرض، ثم
خلاهما من يده، وجعل يميس، وهما يخطان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدد وتمطى، حتى
صار كأطول ما يكون من الرجال. فضحك القوم حتى أغمي عليهم، وقطع بالغاضري فما
تكلم بنادرة ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء، لا أعاود ما تكره أبداً، إنما أنا عبدك
وتخريجك، ثم انصرف أشعب وتركه.
وقال الزبير بن بكار: حدثني عمي، قال: لقي أشعب صديق لأبيه، فقال له: ويلك يا
أشعب! كان أبوك الحى وأنت أقط، فإلى من خرجت تشبه؟ قال: إلى أمي.
وقال الهيثم بن عدي: لقيت أشعب فقلت له: كيف ترى أهل زمانك هذا؟ قال: يسألونني
عن أحاديث الملوك، ويعطونني عطاء العبيد.
وقال مصعب بن عثمان: لقي أشعب سالم بن عبد الله بن عمر، فقال له: يا أشعب، هل
لك في هريس أعد لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. فمضى أشعب إلى منزله، فقالت له
امرأته: قد وجه عبد الله بن عمرو بن عثمان يدعوك، قال: ويحك! إن لسالم بن عبد الله
هريسة قد دعاني إليها، وعبد الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دعوته للناس
فلتة، وليس لي بد من المضي إليه. قالت: إذاً يغضب عبد الله. قال آكل عنده ثم أصير
إلى عبد الله. فجاء إلى منزل سالم فجعل يأكل أكل متعالل. فقال له: كل يا أشعب، وابعث
ما فضل عنك إلى منزلك. قال: ذلك أردت، بأبي أنت وأمي. قال: فقال: يا غلام، احمل
هذا إلى منزله، فحمله ومشى أشعب معه. فقالت امرأته: ثكلتك أمك، قد حلف عبد
الله لا يكلمك شهراً، قال: دعيني وإياه، هاتي شيئاً من زعفران، فأعطته، فأخذه ودخل
الحمام، فمسحه على وجهه وبدنه، وجلس في الحمام حتى صفره، وخرج متوطأ على
عصا يرعد حتى أتى دار عبد الله بن عمرو بن عثمان. فلما رآه حاجبه قال: ويحك!

بلغت بك العلة ما أرى. ودخل فأعلم صاحبه، فأذن له. فلما دخل عليه، إذا سلم بن
عبد الله عنده، فجعل يزيد في الرعدة، ويقارب الخطو، وجلس وما كاد أن يستقل. فقال
عبد الله: ظلمناك يا أشعب في غضبنا عليك. فقال له سالم: ويلك! مالك؟ ألم تكن
عندي آنفاً وأكلت هريسة! قال: لقد شبه لك، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: لعل الشيطان
يتشبه بك. قال أشعب: علي وعلي إن كنت رأيتك منذ شهر. فقال له عبد الله: اعزب
ويلك عن خالي! أتبهته لا أم لك! قال: ما قلت إلا حقاً. قال: بحياتي اصدقني وأنت آمن
من غضبي. قال: وحياتك لقد صدق، وحدثه بالقصة، فضحك حتى استلقى على قفاه.
وقال المدائني والهيثم بن عدي: بعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى أشعب
بعد ما طلق امرأته سعدة، فقال له: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ
رسالتي إلى سعدة. فقال له: أحضر المال حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بدرة، فوضعها
أشعب على عنقه، وقال: هات رسالتك. قال: قل لها يقول لك:

أسعدة هل إليك لنا سبيل وهل حتى القيامة من تلاق
بلى! ولعل دهراً أن يؤاتى بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قال: فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه، فأمرت ففرش لها فرش وجلست وأذنت له،
فدخل فأنشدها. فلما أنشد البيت الأول:

أسعدة هل إليك لنا سبيل وهل حتى اليامة من تلاق

قالت: لا والله، لا يكون ذلك أبداً. فلما أنشد البيت الثاني:

بلى! ولعل دهراً أن يؤاتي بموت من حليلك أو طلاق

قالت: كلا إن شاء الله، بل يفعل الله ذلك به. فلما أنشد البيت الثالث:

فأصبح شامتاً وتقر عيني ويجمع شملنا بعد افتراق

قالت: بل تكون الشماتة به. ثم قالت لخدمها: خذوا الفاسق. فقال: يا سيدتي، إنها
عشرة آلاف درهم. قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني. قال: وما تهبين لي؟ قاتل:
بساطي الذي تحتي. قال: قومي عنه، فقامت، فطواه، ثم قال: هاتي رسالتك، جعلت
فداك! قالت: قل له:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها فقد ذهبت لبنى فما أنت صانع؟

فأقبل أشعب، حتى دخل على الوليد، فأنشده البيت. فقال: أوه قتلتني والله! فما تراني
صانعاً بك يا ابن الزانية! اختر إما أن أدليك منكساً في بئر، أو أرميك من فوق القصر
منكساً، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة. قال له: ما كنت فاعلاً بي شيئاً من
ذلك. قال: ولم؟ قال: لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرتا إلى سعدة! قال: صدقت يا ابن
الزانية!
وروى أبو الفرج الأصفهاني بإسناده إلى إبراهيم المهدي عن ابن أشعب عن أبيه، قال:
دعي ذات يوم بالمغنين إلى الوليد بن يزيد، وكنت نازلاً معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم،
قال: لم أؤمر بك، إنما أمرت بإحضار المغنيين، وأنت بطال لا تدخل في جملتهم. فقلت له:
أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنيت. فقال: لقد سمعت حسناً، ولكن أخاف.
قلت: لا خوف عليك، ولك من ذلك شرط. قال: وما هو؟ قلت: كل ما أصبت فلك
شطره، فأشهد علي الجماعة، ومضينا حتى دخلنا على الوليد، وهو لقس النفس، فغناه
المغنون في كل فن فلم يتحرك ولم ينشط. فقام الأبجر إلى الخلاء، وكان خبيثاً داهياً، فسأل
الخادم عن خبره، فقال: بينه وبين امرأته شر، لأنه عشق أختها فغضبت عليه، وهو إلى
أختها أميل، وقد عزم على طلاقها، وحلف ألا يذكرها أبداً بمراسلة أو مخاطبة، فخرج
على هذه الحال من عندها. فعاد الأبجر إلينا، وجلس ثم اندفع يغني:

فبيني فإني لا أبالي وأيقني أصعد باق حبكم أم تصوبا
ألم تعلمي أني عزوف عن الهوى إذا صاحبي من غير شيء تغضباً

فطرب الوليد وارتاح، وقال للأبجر: أصبت والله يا عبيد ما في نفسي، وأمر له بعشرة آلاف
درهم وشرب حتى سكر، ولم يحظ أحد بشيء سوى الأبجر. فلما أيقنت بانقضاء المجلس
وثبت فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر من يضربني مائة سوط الساعة بحضرتك!
فضحك. ثم قال: قبحك الله! وما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول، وقلت
له: إنه بدأني بالمكروه في أول يومه فاتصل علي إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة سوط

ويضرب بعدي مثلها. فقال: لقد لطفت، بل أعطوه مائة دينار، وأعطوا الرسول خمسين
ديناراً من مالنا عوض الخمسين التي أراد أخذها من أشعب، فقبضتها وانصرفت.
قال ابن زبنج: كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم، فبينا نحن ذات يوم عنده
وعنده أشعب، إذ أقبل أعرابي معه جمل، والأعرابي أشقر أزرق أزعر يتلظى كأنه أفعى،
والشر بين في وجهه، ما يدنو منه أحد إلا شتمه ونهره، فقال أبان: هذا والله من البادية،
ادعوه لي، فدعوه له وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك، فأتاه فسلم عليه، فسأله أبان
بن عثمان عن نسبه، فانتسب له. فقال له أبان: حياك الله يا خال، اجلس، فجلس. فقال
له: إني أطلب جملاً مثل جملك هذا منذ زمان فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة وهذه
الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذي جعل ظفري به عند من أحبه،
أتبيعنيه؟ فقال: نعم أيها الأمير. قال: فإني قد بذلت لك به مائة دينار، فطمع الأعرابي
وسر بذلك وانتفخ، وبان الطمع في وجهه. فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويلك يا
أشعب! إن خالي هذا من أهلك وأقاربك يعني: في الطمع فأوسع له مما عندك، قال: نعم،
بأبي أنت وزيادة. فقال له أبان: يا خال، إنما زدتك في الثمن على بصيرة أن الجمل يساوي
ستين ديناراً، ولكني بذلت لك مائة دينار لقلة النقد عندنا، وإني أعطيك عروضاً تساوي
مائة دينار، فزاد طمع الأعرابي وقال: قد قبلت ذلك أيها الأمير. وأسر أبان إلى أشعب،
فأخرج شيئاً مغطى، فقال له: أخرج ما جئت به، فأخرج جرد عمامة تساوي أربعة
دراهم. فقال له: قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير تساوي أربعة دراهم. فقال له:
قومها يا أشعب. فقال: عمامة الأمير يشهد فيها الأعياد والجمع ويلقي فيها الخلفاء!
خمسون ديناراً. قال: ضعها بين يديه، وقال لابن زبنج: أثبت قيمتها، فكتب ذلك، ووضعت
العمامة بين يدي الأعرابي، فكاد يدخل بعضه في بعض غيظاً، ولم يقدر على الكلام. قال:
هات قلنسوتي، فأخرج قلنسوة طويلة خلقاً قد علاها الوسخ والدهن وتخرقت تساوي

نصف درهم. قال: قوم، فقال: قلنسوة الأمير تعلو هامته، ويصلي فيها الصلوات الخمس،
ويجلس فيها للحكم! ثلاثون ديناراً. قال: أثبت، فأثبت ذلك، ووضعت القلنسوة بيد يدي
الأعرابي فأربد وجهه وجحظت عيناه وهم بالوثوب، ثم تماسك وهو مقلقل. ثم قال
لأشعب: هات ما عندك، فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتتا، فقال: قوم، فقال:
خفا الأمير يطأ بهما الروضة، ويعلو بهما منبر النبي صلى لله عليه وسلم! أربعون ديناراً،
فقال: ضعهما بين يديه. ثم قال للأعرابي: أضمم إليك متاعك، وقال لبعض الأعوان: امض
مع الأعرابي واقبض ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع، وهو عشرون ديناراً. فوثب الأعرابي
فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم لا يألو في شدة الرمي، ثم قال له: أتدري في أي شيء
أموت؟ قال: لا، قال: لم أدرك أباك عثمان فأشترك والله في دمه إذ ولد مثلك! ثم نهض
كالمجنون حتى أخذ برأس بعيره، وضحك أبان حتى سقط، وضحك من كان معه. فكان
الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعب يقول له: هلم إلي يا ابن الخبيثة، حتى أكافئك على
تقويمك المتاع يوم قومت، فيهرب منه أشعب.
وقال المدائني: حدثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت امرأة شديدة العين، لا تنظر إلى
شيء فتستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لابنته: يا بنية،
إذا أنا مت فلا تندبيني، والناس يسمعونك، وتقولين: وا أبتاه، أندبك للصوم والصلاة، للفقه
والقرآن، فيكذب الناس ويلعنونني. ثم التفت فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا
فلانة، بالله إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ولا تهلكيني، فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك! وفي أي شيء أنت مما يستحسن؟
أنت في آخر رمق! قال: قد علمت، ولكن قلت لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت
علي وسهلة النزع، فيشتد ما أنا فيه. فخرجت من عنده وهي تسبه، وضحك من كان
حوله من كلامه ومات.
من نوادر أبي دلامة

هو أبو دلامة زند بن الجون. وزند بالنون. وهو كوفي، أسود، مولى لبني أسد، كان أبوه
عبداً لرجل منهم يقال له قصاقص، فأعتقه. وأدرك آخر زمن بني أمية ولم يكن له نباهة في
أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور
والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره.
قال أبو الفرج الأصفهاني: كان أبو دلامة رديء المذهب، مرتكباً للمحارم، مضيعاً للفروض،
متجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله. وله أخبار
وأشعار ليس هذا موضع ذكرها، وإنما نثبت في هذا الموضع ما له من نادرة أ حكاية
مستظرفة. فمن ذلك أنه دخل على أبي جعفر المنصور، وكان المنصور قد أمر أصحابه
بلبس السواد والقلانس الطوال، تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعلقوا السيوف في المناطق،
ويكتبوا على ظهورهم: " فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ". فلما دخل عليه أبو
دلامة في هذا الزي قال له المنصور: ما حالك؟ قال: شر حال يا أمير المؤمنين، وجهي في
نصفي، وسيفي في استي، وقد صبغت بالسواد ثيابي ونبذت كتاب الله وراء ظهري، ثم
أنشد:

وكنا نرجى منحة من إمامنا فجاءت بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس

فضحك منه المنصور وأعفاه وحذره من ذلك، وقال: إياك أن يسمع هذا منك أحد.
وحكي عنه: أنه كان واقفاً بين يدي السفاح أو المنصور، فقال له: سلني حاجتك، فقال أبو
دلامة: كلب صيد، قال: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلام
يقود الكلب ويتصيد به، قال: أعطوه غلاماً. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه،
قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال فلا بد لهم من دار يسكنونها، قال:
أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم يكن ضيعة فمن أين يعيشون؟ قال: قد أقطعتك مائة
جريب عامرة ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة؟ قال: ما لا نبات فيه. قال: قد

أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد. فضحك وقال:
اجعلوا المائتين كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبل يدك، قال: أما هذه فدعها، فإني لا
أفعل. قال: والله ما منعت عيالي شيئاً أقل عليهم ضرراً منها.
وروي: أنه دخل على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجدوا البين فانتجعوا وزودوك خبالاً بئس ما صنعوا
والله يعلم أن كادت، لبينهم يوم الفراق، حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوماً وأمهم أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منيهة هبت تلوم عيالي بعدما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان، أوجهنا سود قباح، وفي أسمائنا شنع
إذا تشكت إلى الجوع، قلت لها ما هاج جوعك إلا الري والشبع
أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا على الخليفة منه الري والشبع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى لك الخلافة في أسبابها الرفع
ما زلت أخلصها كسبي فتأكله دوني ودون عيالي ثم تضطجع
شوهاء مشنأة في بطنها ثجل وفي المفاصل من أوصافها ندع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله ترتجع
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة أأنت تتلو كتاب الله يا لكع!
أخرج تبغ لنا مالاً ومزرعة كما لجيراننا مال ومزدرع
واخدع خليفتنا عنا بمسألة إن الخليفة للسؤال ينخدع

قال: فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عنه بمائتي جريب عامرة ويروى ستمائة جريب
عامرة وغامرة فقال: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيما بين الحيرة
والنجف، وإن شئت زدتك. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة.
قال: ولما توفي السفاح
دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه، فقال:

أمسيت بالأنبار يا بن محمد لم تستطع عن عقرها تحويلا
ويلي عليك وويل أهلي كلهم ويلا وعولاً في الحياة طويلا
فلتبكين لك السماء بعبرة ولتبكين لك الرجال عويلا
مات الندى إذ مت يا بن محمد فجعلته لك في التراب عديلا
إني سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أسمح من سألت بخيلا
ألشقوتي أخرت بعدك للتي تدع العزيز من الرجال ذليلا؟

فلا حلفن يمين حق برة تالله ما أعطيت بعدك سولا
قال: فأبكى الناس الناس قوله. فغضب المنصور غضباً شديداً وقال: إن سمعتك تنشد
هذه القصيدة لأقطعن لسانك. قال: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي
مكرماً، وهو الذي جاء بي من البدو، كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال
يوسف: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". فسرى عن المنصور
وقال: قد أقلناك يا أبا دلامة، فسل حاجتك. قال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر
لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضها. فقال المنصور: ومن يعلم
ذلك؟ قال: هؤلاء وأشار إلى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا:
صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمان
ادفعها إليه وسيره إلى ذا الطاغية يعني عبد الله بن علين، وكان قد خرج بالشام وأظهر
الخلاف فوثب أبو دلامة وقل: يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن أخرج معهم، ووالله ما أحب
أن يجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر، فإني لا أدري أيهما يغلب: يمنك أو شؤمي، إلا
أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة. فقال: دعني وهذا، فمالك من الخروج بد. قال:
فإني أصدقك الآن، شهدت والله تسعة عشر عسكراً كلها هزمت، وكنت سببها، فإن
شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك تمام العشرين فافعل. فضحك المنصور وأمره أن
يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة.
وعن جعفر بن حسين اللهبي قال: حدثني أبو دلامة قال: أتى بي المنصور أو المهدي وأنا
سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الشراة.
فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك
اليوم أثراً ترتضيه! فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن إليك ذلك ولآخذنك بالوفاء
بشرطك، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفع ذلك إلي، وعاد بغيره فاستبدل به. فلما
حصل ذلك في يدي قلت: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت أبياتها فاسمعها. قال:

هات، فأنشدته:
إني استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة وتركتها ومضيت في الهراب
ماذا تقول لما يجيء ولا يرى من بادرات الموت بالنشاب
فقال: دع هذا عنك، وبرز رجل من الخوارج يدعو إلى المبارزة
فقال: اخرج إليه يا أبا
دلامة. فقال: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. فقال: والله لتخرجن! فقلت: أيها الأمير، فإنه
أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما تنبعث مني جارحة من الجوع،
فمر لي بشيء آكله ثم أخرج، فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن
الصف. فلما رآني الشاري أقبل نحوي وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل، وأصابته الشمس
فاقفعل وعيناه تقدان، فأسرع إلي، فقلت: على رسلك يا هذا! فوقف، فقلت: أتقتل من لا
يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أتستحل أن تقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل
ذلك قبل أن تدعو من تقابله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني إلى لعنة الله، فقلت: لا أفعل
أو تسمع مني. قال: قل. فقلت: هل كانت بيننا عداوة أو ترة أو تعرفني بحال تحفظك علي
أو تعلم بيني وبين أهلك وتراً؟ قال: لا والله، قلت: ولا أنا والله لك إلا علي جميل الرأي،
فإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أرادك. فقال: يا هذا، جزاك
الله خيراً فانصرف. قلت: إن معي زاداً أريد أن آكله وأريد مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا
ويرى أهل العسكرين هوانهم علينا، قال: فافعل. فتقدمت إليه حتى اختلفت أعناق دوابنا
وجمعنا أرجلنا على معارفها وجعلنا نأكل والناس قد غلبوا ضحكاً. فلما استوفينا
ودعني، ثم قلت له: إن هذا الجاهل، إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعب
وتتعبني، فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت، فانصرف وانصرفت. فقلت لروح:
أما أنا فقد كفيتك قرني، فقل لغيري يكفك قرنه كما كفيتك.
وخرج آخر يدعو إلى البراز،
فقال لي: اخرج إليه، فقلت:
إني أعوذ بروح أن يقدمني إلى القتال فتخزى بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه مما يفرق بين الروح والجسد

قد حالفتك المنايا إذا رصدت لها وأصبحت لجميع الخلق كالرصد
إن المهلب حب الموت أرثكم فما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها لكنها خلقت فرداً فلم أجد
قال: فضحك روح وأعفاني.
قال: وشرب أبو دلامة في بعض الحانات وسكر، فمضى وهو يميل، فلقيه العسس فأخذه،
فقيل له: من أنت؟ وما دينك؟ فقال:
ديني على دين بني العباس ما ختم الطين على القرطاس
إذا اصطحب أربعاً بالكاس فقد أدار شربها براسي
فهل بما قلت لكم من باس
فأخذوه وخرقوا ثيابه وساجه، وأتي به إلى أبي جعفر، فأمر بحبسه مع الدجاج في بيت.
فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرة وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو مع ذلك يسمع
صوت الدجاج وزقاء الديك. فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك! من
أنت؟ وأين أنا؟ قال: قال: أنت في الحبس، وأنا فلان السجان.
قال: ومن حبسني؟ قال:
أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس.
فطلب أن يأتيه بدواة وقرطاس،
ففعل فأتاه، فكتب إلى أبي جعفر المنصور يقول:
أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صهباء صافية المزاج كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها إذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جرم كأني بعض عمال الخراج!
فلو معهم حبست لكان سهلاً ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي بأني من عقابك غير ناج
على أني وإن لاقيت شراً لخيرك بعد ذاك الشر راجي
فاستدعاه المنصور وقال: أين حبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت
تصنع؟ قال: أقوقي معهم إلى الصباح، فضحك وخلى سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج
قال الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين، أما سمعت قوله: وقد طبخت بنار الله؟ يعني
الشمس قال: لا والله، ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك
المنصور وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض له.
وروى عن المدائني قال: دخل أبو دلامة على المهدي وعند إسماعيل بن علي وعيسى بن

موسى والعباس بن محمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم، فقال له المهدي: أنا
أعطي الله عهداً إن لم تهج واحداً ممن في البيت، لأقطعن لسانك أو لأضربن عنقك. فنظر
إليه القوم، وكلما نظر إلى أحد منهم غمزه بأن علي رضاك. قال أبو دلامة: فعلمت أني قد
وقعت وأنها عزمة من عزماته لا بد منها، فلم أر أحداً أحق بالهجاء مني ولا أدعي إلى
السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

إلا أبلغ لديك أبا دلامه فلست من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة كان قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمع لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فإن تك قد أصبت نعيم دنيا فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه.
قال: وخرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسنح لهما قطيع من ظباء، فأرسلت
الكلاب وأجريت الخيل، ورمى المهدي سهماً فأصاب ظبياً، ورمى علي بن سليمان
فأصاب بعض الكلاب فقتله، فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما ك ل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة
سنية، فلقب عبي بن سليمان بعد ذلك صائد الكلب، فغلب عليه.
قال: وتوفيت حمادة بنت عيسى، حضر المنصور جنازتها، فلما وقف على حفرتها قال
لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: ابنة عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى
يجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك المنصور حتى غلب وستر وجهه.
قال الهيثم بن عدي رحمة الله عليه: حجت الخيزران، فلما خرجت، صاح أبو دلامة:
جعلني الله فداك، الله الله في أمري! فقالت: من هذا؟ قالوا: أبو دلامة. فقالت: سلوه ما
أمره، قالوا له: ما أمرك؟ قال: أدنوني من محملها، قالت: أدنوه، فأدنى، فقال لها: أيها
السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم. قالت: فمه! قال: تهبيني جارية من جواريك
تؤنسني، وترفق بي وتريحني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، فقد عاف

جلدي جلدها، وتشوقت فقدها. فضحكت الخيزران وقالت:
سوف آمر لك بما سألت.
فلما رجعت تلقاها وأذكرها وخرج معها إلى بغداد، فأقام حتى غرض. ثم دخل على أم
عبيدة حاضنة موسى وهارون فدفع إليها رقعة قد كتب بها إلا الخيزران، فقها:
أبلغي سيدتي با لله يا أم عبيده
أنها أرشدها ا لله وإن كانت رشيده
وعدتني قبل أن تخ رج للحج وليده
فتأنيت وأرسل ت بعشرين قصيده
كلما أخلقن أخلف ت بعشرين قصيده
ليس في بيتي لتمهي د فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو ت طري في عصيده
ما حياة مع أنثى مثل عرسي بسعيده
فلما قرأت عليها، ضحكت ودعت بجارية من جواريها فائقة الجمال، فقالت لها: خذي كل
مالك في قصري، ففعلت، ثم دعت بعض الخدم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة. فانطلق
الخادم بها فلم يصادفه في منزله، فقال لامرأته: إذا رجع أبو دلامة فادفعيها إليه وقولي له:
تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد أمرت لك بها. فقالت له نعم. فلما خرج
الخادم دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكي، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن
تبرني يوماً من الأيام فاليوم. قال: قولي ما شئت فإني أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك
مالكها وتطؤها فتحرمها عليه وإلا ذهبت بعقله فجفاني وجفاك، ففعل ودخل إلى الجارية
فوطئها ووافقها ذلك منه، وخرج. فدخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في
ذلك البيت، فدخل إليها شيخ محطم ذاهب، فمد يده إليها ذهب ليقبلها، فقالت: مالك
ويحك! تنح وإلا لطمتك لطمة دققت منها أنفك. فقال لها: أبهذا أوصتك السيدة؟ قالت:
بعثت بي إلى فتى من هيئته وحاله كيت وكيت، وقد كان عندي آنفاً ونال مني حاجته.
فعلم أنه قد دهي من أم دلامة وابنها. فخرج أبو دلامة إلى دلامة فلطمه ولببه وحلف ألا
يفارقه إلا إلى المهدي. فمضى به ملبباً حتى وقف بباب المهدي، فعرف خبره، وأنه جاء

بابنه على تلك الحال. فأمر بإدخاله فلما دخل قال: مالك؟ قال: فعل بي هذا ابن الخبيثة
ما لم يفعله ولد بأبيه، ولا يرضيني إلا أن تقتله. قال: ويحك! وما فعل بك؟ فأخبره الخبر،
فضحك حتى استلقى ثم جلس. فقال له أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال:
علي بالسيف والنطع. فقال له دلامة: قد سمعت قوله يا أمير المؤمنين، فاسمع حجتي. قال:
هات! قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً، هو يفعل بأمي منذ أربعين سنة ما غضبت،
وفعلت أنا بجاريته مرة واحدة غضب وصنع بي ما ترى. فضحك المهدي أشد من
ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة، وأنا أعطيك خيراً منها، قال: على أن تخبأها
لي بين السماء والأرض وإلا فعل بها والله كما فعل بهذه، فتقدم إلى دلامة ألا يعاود مثل
فعله، وحلف أنه إن عاود قتله، ثم وهب له جارية.
قال عبد الله بن صالح رحمه الله جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفل من جيرانه
وعشيرته فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيخي كما تؤون قد كبر
سنه ورق جلده ودق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشيء
يمسك رمقه ويبقى قوته فيخالفني فيه، وإني أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها
بحضرتكم فيها صلاح جسمه وبقاء حياته، فأسعفوني بمسألته معي. فقالوا: نفعل حباً
وكرامة، ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم فتناولوه بالعتاب حتى رضي ابنه وهو ساكت،
قال: قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية. فقالوا له: قل، فقال: إن
أبي إنما قتله كثرة الجماع، فتعاونوني حتى أخصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء فيكون
أصح لجسمه وأطول لعمره. فعجبوا بما أتى به وضحكوا. ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت
فأجب. قال: قد سمعتم أنتم فعرفتكم أنه لم يأت بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد
جعلت أمه حكماً فيما بيني وبينه، فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم ودخلوا إليها، وقص
أبو دلامة القصة عليها وقال: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني هذا أبقاه

الله قد نصح أباه ولم يأل جهداً، وما أنا إلى بقاء أبيه أحوج مني إلى بقائه، وهذا أمر لم يقع به
تجربة منا ولا جرى بمثله عادة لنا، وما أشك في معرفته بذلك، فليبدأ بنفسه فليخصها،
فإذا عوفي ورأينا ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه.
فضحك أبوه والقوم وانصرفوا
يعجبون من خبثهم جميعاً.
ومنهم أبو صدقة.
من نوادر أبي صدقة
هو أبو صدقة مسكين بن صدقة من أهل المدينة مولى لقريش.
قال أبو الفرج: وكان مليح
الغناء طيب الصوت كثير الرواية صالح الصنعة، من أكثر الناس نادرة وأخفهم روحاً
وأشدهم طمعاً وألحهم مسألة، وهو من المغنين الذين أقدمهم الرشيد من الحجاز في أيامه.
قيل: إنه عوتب على كثرة إلحاحه في المسألة، فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين
وكنيتي أبو صدقة وابنتي فاقة وابن صدقة، فمن أحق بهذا مني؟ وكان الرشيد يعبث به
كثيراً، فقال ذات يوم لمسرور: قل لابن جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلزل
وبرصوما وابن أبي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسأل كل واحد منكم
حاجة، مقدارها مقدار صلته، وذكر لكل واحد منهم مبلغ ذلك، وأمرهم أن يكتبوا أمرهم
عن أبي صدقة، فقال لهم مسرور ما أمر به الرشيد. ثم أذن الرشيد لأبي صدقة قبل إذنه
لهم. فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، لقد أضجرتني بكثرة مسألتك وأنا في هذا اليوم
ضجر وأحببت أن أتفرج وأفرح، ولست آمن أن تنغص علي مجلسي بمسألتك، فإما أن
تعفيني أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرف. فقال له: لست من يومي هذا إلى شهر أسألك
حاجة. فقال له الرشيد: أما إذ شرطت لي هذا على نفسك فقد اشتريت منك حوائجك
بخمسمائة دينار وها هي ذه فخذها طيبة معجلة، فإن سألتني شيئا بدها من هذا اليوم فلا
لوم علي إن لم أصلك سنة بشيء. فقال: نعم وسنتين. فقال له الرشيد: زدني في الوثيقة.
فقال: قد جعلت أمر أم صدقة في يدك فطلقها متى شئت، إن شئت واحدة وإن شئت ألفاً

إن سألتك في يومي هذا حاجة، وأشهدت الله ومن حضر على ذلك. فدفع إليه المال، ثم
أذن للجلساء والمغنين فدخلوا وشرب القوم. فلما طابت نفس الرشيد، قال له ابن جامع: يا
أمير المؤمنين، قد نلت منك ما لم تبلغه أمنيتي، وكثر إحسانك إلي حتى كبت أعدائي
وقتلتهم، وليس لي بمكة دار تشبه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به دار
وأفرشها بباقيه لأفقأ عيون أعدائي وأزهق نفوسهم فعل. فقال له: وكم قدرت لذلك؟ قال:
أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. وقام إبراهيم الموصلي فقال: يا أمير المؤمنين، قد ظهرت
نعمتك علي وعلى الكبار من ولدي، وفي أصاغرهم من أحتاج إلي ختانه، وفيهم صغار
أحتاج أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يحسن معونتي على ذلك فعل. فأمر له
بمثل ما أمر به لابن جامع. وجعل كل واحد منهم يقول في الثناء ما يحضره ويسأل حاجته
على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إلى الأموال تفرق يميناً وشمالاً، فوثب قائماً ورمى
بالدنانير من كمه وقال للرشيد: أقلني أقال الله عثرتك. فقال الرشيد: لا أفعل. فجعل
يستحلفه ويضطرب ويلح والرشيد يضحك ويقول: مالي إلى ذلك سبيل، الشرط أملك. فلما
عيل صبره أخذ الدنانير ورمى بها بين يدي الرشيد وقال: هاكها قد رددتها عليك وزدتك
أم صدقة فطلقها واحدة إن شئت وإن شئت ألفاً. وإن لم تلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة
هذا البارد عمرو الغزال - وكانت جائزته ثلاثة آلاف دينار - فضحك حتى استلقى ثم رد
عليه الخمسمائة الدينار وأمر له بألف أخرى معها، وكان ذلك أكثر ما أخذه منذ خدمه إلى
أن مات، رحمة الله عليهم.
وروى أبو الفرج عن أبي إسحاق قال: مطرنا ونحن مع الرشيد بالرقة مع الفجر فاتصل إلى
غد ذلك اليوم، وعرفنا خبر الرشيد أنه مقيم عند أم ولده المسماة سحر، فتشاغلنا عنه في
منازلنا. فلما كان من غد جاءنا رسول الرشيد فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل كل واحد منا
عن يومه الماضي وما صنع فيه، فيخبره إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره

فقال له: كان عندي أبو زكار الأعمى وأبو صدقة، وكان أبو زكار كلما غنى صوتاً، لم يفرغ
منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده وحكى أبا زكار فيه وحركاته
وشمائله، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً ويشتم أبا صدقة كل الشتم حتى
يضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به وأنا أضحك من ذلك، إلى أن توسطنا الشرب
وسمنا من عبثه به، فقلت له: دع هذا عنك وغن غناءك. فغنى رملاً ذكر أنه من صنعته،
فطربت له والله يا أمير المؤمنين طرباً ما أذكر أني طربت مثله منذ حين وهو:

فتنتنى بفاحم اللون جعد وبثغر كأنه نظم در
وبوجه كأنه طلعة البد روعين في طرفها نفث سحر

فقلت له: أحسنت والله يا أبا صدقة! فلم أسكت من هذه الكلمة حتى قال: يا سيدي
إني قد بنيت داراً أنفقت عليها جميع مالي وما أعددت لها فرشاً فأفرشها لي. فتغافلت
عنه. وعاود الغناء فتعمدت أن قلت: أحسنت، فسألني فتغافلت، فقال: يا سيدي، هذا
التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله وبحق أبيك عليك إلا أجبتني عن كلامي ولو بشتم.
فأقبلت عليه وقلت له: أنت والله بغيض، اسكت يا بغيض، واكفف عن هذه المسألة
الملحة. فوثب من بين يدي، فقلت: إنه قد خرج لحاجة، فإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها
خوفاً من أن تبتل ووقف تحت السماء لا يواريه شيء والمطر يأخذه ورفع رأسه وقال: يا
رب أنت تعلم أني مله ولست نائحاً، وعبدك الذي قد رفعته وأحوجتني إلى خدمته يقول
لي: أحسنت لا يقول لي: أسأت، وأنا مذ جلست أقول له: بنيت ولا أقول له: هدمت،
فيحلف بك جرأة عليك أني بغيض، فاحكم بيني وبينه فأنت خير الحاكمين. فغلبني
الضحك وأمرت به فتنحى، وجهدت به أن يغني فامتنع، حتى حلفت له بحياتك أني أفرش
له داره يا أمير المؤمنين، وخدعته فلم أسم له بما أفرشها.
فقال له الرشيد: طيب والله!
الآن تم لنا به اللهو، أدعه فإنه إذا رآك سوف يتنجزك الفرش لأنك حلفت له بحياتي فهو
يقتضيك ذاك بحضرتي ليكون أوفق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري وحاكمه إلي. ثم

دعا به فحضر فلما استقر في المجلس قال لجعفر: الفرش الذي حلفت بحياة أمير المؤمنين أنك
تفرش به داري، تقدم به. فقال له جعفر: اختر، إن شئت فرشتها لك بالبواري وإن شئت
فبالبردي من الحصر، فصاح واضطرب. فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأخبره،
فقال له: أخطأت يا أبا صدقة إذ لم تسم النوع ولا حددت القيمة، فإذا فرشها لك بالبردي
أو بما دون ذلك فقد بر في يمينه، وإنما خدعك ولم تفطن أنت ولا توثقت وضيعت حقك.
فسكت ثم قال: نوفر أيضاً البردي والبواري عليه أعزه الله. وغنى المغنون حتى انتهى
الدور إليه، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما يجري مجراه من الغناء. فقال
له الرشيد: أي شيء هذا الغناء؟ قال: من فرش داره بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير
منه، وكثير أيضاً لمن هذه صلته. فضحك الرشيد وطرب وصفق وأمر له بألف دينار
منماله، وقال له: افرش دارك بهذه. فقال: وحياتك يا أمير المؤمنين لا آخذها أو تحكم لي
على جعفر بما وعدني وإلا مت والله أسفاً لفوات ما حصل في طمعي ووعدت به، فحكم
له على جعفر بخمسمائة دينار أخرى، فأمر له جعفر بها.

من نوادر الأقيشر

هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة بن
مدركة بن الياس بن مضر. والأقيشر لقب غلب عليه لأنه كان أحمر الوجه أقيشر. قال أبو
الفرج الأصفهاني: وعمر الأقيشر عمراً طويلاً، ولعله ولد في الجاهلية ونشأ في الإسلام، وكان
أبعد بني أسد نسباً. قال: وكان كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً للخمر. وهو الذي يقول لنفسه:

فإن أبا معرض إذ حسا  من الراح كأساً على المنبر
خطيب لبيب أبو معرض  فإن ليم في الخمر لم يصبر
أحل الحرام أبو معرض  فصار خليعاً على المكبر
يحب اللئام ويلحى الكرام  وإن أقصروا عنه لم يقصر

قال: وشرب الأقيشر في بيت خمار بالحيرة، فجاءه الشرط ليأخذوه، فتحرز منهم وأغلق
الباب وقال: لست أشرب فما سبيلكم علي؟ قالوا: قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب.
فقال: إنما شربت من لبن القحة لصاحب هذه الدار، فما برحوا حتى أخذوا منه درهمين.

فقال:
إنما لقحتنا باطية فإذا ما مزجت كانت عجب
لبن أصفر صاف لونه ينزع الباسور من عجب الذنب
إنما نشرب من أموالنا فسلوا الشرطي ما هذا الغضب؟
وروى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي عمرو الشيباني وغيره
قال: كان الأقيشر لا يسأل
أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين للشراب ودرهماً
للطعام ودرهمين في كراء بغل
إلى الحيرة. وكان له جار يكنى أبا المضاء، له بغل يكريه، فكان
يعطيه درهمين ويأخذ بغله
فيركبه إلى الحيرة حتى يأتي به بيت الخمار فينزل عنه ويربطه،
ثم يجلس للشرب حتى
يمسي ثم يركبه. وله في ذلك أشعار كثيرة.
قال وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرباب، على أربعة آلاف
درهم ويقال: على عشرة
آلاف درهم فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن
رأس البغل وهو دهقان الصين،
وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصداق كاملاً، فقال:
كفاني المجوسي هم الرباب فدى للمجوسي خال وعم
شهدت بأنك رطب اللسان وأنك بحر جواد خضم
وأنك سيد أهل الجحيم إذا ما ترديت فيمن ظلم
تجاور هامان في قعرها وفرعون والمكتنى بالحكم
فقال له المجوسي: ويحك! سألت قومك فما أعطوك شيئاً،
وجئتني فأعطيتك فجزيتني هذا
القول ولم أفلت من شرك! قال: أو ما ترضى أن جعلتك مع
الملوك وفرين أبي جهل؟. قال:
ثم جاء إلى عكرمة بن ربعي التميمي، فسأله فلم يعطه شيئاً،
فقال فيه:
سألت ربيعة من شرها أبا ثم أما فقالوا لمه
فقلت لأعلم من شركم وأجعل للسب فيه سمه
فقالوا لعكرمة المخزيات وما ذا يرى الناس في عكرمه
فإن يك عبداً زكا ماله فما غير ذا فيه من مكرمه
قال الأصمعي: قال عبد الملك بن مروان للأقيشر: أنشدني
أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:
تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الإناء
قطوب
كميت إذا شجت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين
دبيب
فقال له: أحسنت والله يا أبا معرض! لقد أجدت في وصفها،
وأظنك قد شربتها. فقال:
والله يا أمير المؤمنين، إنه ليربيني معرفتك بها. قال: وكان
الأقيشر يأتي إخواناً له فيسألهم

فيعطونه، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم فأخذها ومضى إلى الحانة فدفعها إلى
صاحبها، وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه، ففعل. فانضم إليه رفقاء له فلم يزل معهم حتى
نفدت الدراهم، فأتاهم بعد إنفاقها فاحتملوه يوماً ويوماً. فلما أتاهم في اليوم الثالث نظروا
إليه من بعيد، فقالوا لصاحب الحانة: اصعد بنا إلى الغرفة، وأعلم الأقيشر أنا لم نأت اليوم،
ففعل. فلما جاء الأقيشر أعلمه بما قالوا، فعلم أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن،
فطرح إليه بعض ثيابه وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه، ففعل. فلما أخذ منه الشراب أخذ
يقول:

يا خليلي اسقياني كأساً ثم كأساً حتى أخر نعاسا
إن في الغرفة التي فوق رأسي لأناساً يخادعون أناسا
يشربون المعتق الراح صرفاً ثم لا يرفعون للزور راسا

قال: فلما سمع أصحابه هذا الشعر، فدوه بآبائهم وأمهاتهم، ثم قالوا له: إما أن تصعد إلينا
وإما أن ننزل إليك، فصعد إليهم.
قال: وكان يختلف إلى رجل من بني تميم وكان يجري عليه في كل شهر عشرة دراهم،
فجاءه مرة فوجده قد أصيب بابنه، فردته امرأته عنه، ثم عاد بعد ذلك بيومين فردته عنه
أيضاً، فكتب إليه بيتي شعر ودفع الرقعة إليها وقال: أوصليها إليه، فقرأها، فإذا فيها:

ألا أبلغ لديك أبا هشام فإن الريح أبردها الشمال
عداتك في الهلال عدات صدق فهل سمنت كما سمن الهلال

فلما قرأ الرقعة أمر برده وقال: لقد سمنت وما بقي إلا الهزال إن تأخرت، فأمر له بها
وزادها خمسة دراهم.
وكان الأقيشر مع شرفه وشعره يرضيه اليسير ويسخطه.
وأخباره كثيرة ونوادره مشهورة،
وفيما أوردناه منها كفاية. ومات الأقيشر قتيلاً. وقيل: إنه مدح عبد الله بن إسحاق بن
طلحة بن عبيد الله فلم يعطه شيئاً فهجاه، فزعموا أن غلماناً لعبد الله بن إسحاق قتلوه،
فاجتمع بنو أسد وادعوا عليه قتل الأقيشر، فافتدي منهم بديته.
وقل ابن الكلبي: كان
الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق ومدح أخيه زكريا.
فقال لغلمانه: ألا تريحونني
منه! فانطلقوا فجمعوا بعراً وقصباً بظهر الكوفة وجعلوه في وسط إرة، وأقبل الأقيشر

سكراناً من الحيرة على بغل أبي المضاء المكاري، فأنزلوه عن البغل وشدوه رباطاً ثم
وضعوه في تلك الإرة وألهبوا النار في القصب والبعر فمات، ولم يعلم من قتله. والله أعلم.
من نوادر ابن سيابة
هو إبراهيم بن سيابة مولى بني هاشم. كان يقال: إن جده حجام أعتقه بعض الهاشميين.
قدمه إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق لأنه مدحهما فرفعا من قدره وغنيا بشعره ونوها
بذكره. وكان خليعاً ماجناً حسن النادرة. وله نوادر نذكر منها نبذاً فيما رواه أبو الفرج
الأصفهاني. منها ما رواه عن إسحاق الموصلي قال: أتى إبرهيم ابن سيابة وهو سكران
ابنا لسؤار بن عبد الله القاضي أمرد، فعانقه وقبله، وكانت معه داية يقال لها رحاص، فقيل
لها: إنه لم يقبل تقبيل التسليم، وإنما قبله شهوة، فلحقته الداية فشتمته وأسمعته ما يكره،
وهجره الغلام بعد ذلك، فقال:

لئن لثمتك سراً فأبصرتني رحاص
وقال في ذاك قوم على انتقاصي حراص
هجرتني وأتتني شتيمة وانتقاص
فهاك فاقتص مني إن الجروح قصاص

وقد قيل: إن رحاص هذه كانت مغنية كان الغلام يهواها، وإن سكر ونام، فقبله ابن
سيابة. فلما انتبه قال للمغنية: ليت شعري! ما كان خبرك مع ابن سيابة؟ فقالت له: سل
عن خبرك أنت معه، وحدثته بالقصة، فهجره الغلام، فقال هذا الشعر.
وقال إسحاق بن إبراهيم: كان ابن سيابة عندنا يوماً مع جماعة نتحدث نتناشد وهو ينشد
شيئاً من شعره، فتحرك فضرط فضرب بيده على استه غير مكترث وقال: إما أن تسكتي
حتى أتكلم، وإما أن تتكلمي حتى أسكت.
وقال جعفر الكاتب: قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر: إذا كان عند جيرانك جنازة
وليس في بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك
أولى بالمأتم من بيتهم. وقال سليمان بن يحيى بن معاذ: قدم علي إبراهيم بن سيابة
بنيسابور فأنزلته علي، فجاء ليلة من الليالي فجعل يصيح: يا أبا أيوب، فخشيت أن يكون
قد غشيه شيء، فقلت: ما تشاء؟ فقال:

أعيان الشادن الربيب
قلت بماذا؟ قال:
أكتب أشكو فلا يجيب
فقلت: داره ودواه، فقال:
من أين أبغي شفاء قلبي وإنما دائي الطبيب
فقلت: لا دواء إذاً إلا أن يفرج الله عز وجل عنك. فقال:
يا رب فرج إذاً وعجل فإنك السامع المجيب
ثم انصرف. وقد تقدمت هذه الحكاية والسلام.
مطيع بن إياس الكناني وأخباره
قال أبو الفرج الإصفهاني: هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً
خليعاً ماجناً حلو العشرة مليح النادرة قال: وكان متهماً في دينه بالزندقة. وكان مولده
ومنشؤه بالكوفة، وكان منقطعاً إلى الوليد بن عبد الملك، ثم اتصل بخدمة الوليد بن يزيد.
وكان سبب ذلك ما حكي عن حكم الوادي المغني، قال: غنيت الوليد بن يزيد وهو غلام
حديث السنم بشعر مطيع بن إياس وهو:
إكليلها ألوان ووجهها فتان
وخالها فريد ليس له جيران
إذا مشت تثنت كأنها ثعبان
قد جدلت فجاءت كأنها عنان
فطرب حتى زحف عن مجلسه إلي، واستعادني الصوت حتى صحل صوتي، ثم قال:
ويحك! من يقول هذا؟ فقلت: عبد لك يا أمير المؤمنين أرضاه لخدمتك. قال: ومن هو؟
قالت: مطيع بن إياس. قال: وأين هو؟ قلت: بالكوفة، فأمر أن يحمل إليه مع البريد، فحمل
إليه، فسأله عن الشعر فقال: من يقول هذا؟ فقال: عبدك أنا يا أمير المؤمنين. فقال له: أدن
مني، فدنا منه فضمه الوليد إليه وقبل فاه وبين عينيه، وقبل مطيع رجليه والأرض بين يديه،
ثم أدناه حتى جلس في أقرب المجلس إليه، واصطبح معه أسبوع متوالي الأيام على هذا
الصوت. وكان في خلال الدولة الأموية ينقطع إلى أوليائها وعلمائها، ثم انقطع في الدولة
العباسية إلى جعفر ابن أبي جعفر المنصور فكان معه حتى مات جعفر. ومات مطيع في
خلافة الهادي بعد ثلاثة أشهر مضت منها. وله نوادر وأخبار مستظرفة هذا موضع
ذكرها، فلنقتصر هاهنا من أخباره عليها دون غيرها.

قيل: سقط لمطيع حائط، فقال له بعض أصحابه: احمد الله على السلامة. قال: احمد الله
أنت إذ لم ترعك هدته، ولم يصبك غباره، ولم تغرم أجرة بنائه.
ومن أخباره ما رواه أبو الفرج الإصفهاني بإسناده إلى عبد الملك المرواني عن مطيع بن
إياس، قال: قال لي حماد عجرد يوماً: هل لك أن أريك خشة صديقتي وهي المعروفة بظبية
الوادي! قلت: نعم. قال: إنك إن قعدت عندها وخبثت عينك في النظر أفسدتها علي.
فقلت: لا والله لا أتكلم بكلمة تسوءك ولأسرنك. فمضى بي وقال: والله لئن خالفت ما
قلت لأخرجنك. قال: قلت: إن خالفت إلى ما تكره فاصنع بي ما أحببت. قال: امض
بنا فمضينا، فأدخلني على أحسن خلق الله وأظرفهم وأحسنهم وجهاً. فلما رأيتها
أخذني الزمع، وفطن لي فقال: اسكت يا بن الزانية، فسكت قليلاً، فلحظتني ولحظتها لحظة
أخرى فغضب ووضع قلنسوته على رأسه، وكانت صلعته حمراء كأنها آست قرد، فلما
وضعها وجدت للكلام موضعاً، فقلت:

وإن السوءة الوءا ء يا حماد عن خشه
عن الأرجة الغض ة والتفاحة الهشه

فالتفت إلي وقال: فعلتها يا بن الزانية! فقالت له: أحسن، فوالله ما بلغ صفتك بعد، فما
تريد منه! فقال لها: يا زانية! فسبته وتثاورا، فشقت قميصه وبصقت في وجهه وقالت له:
ما يصادقك ويدع مثل هذا إلا زانية، وخرجنا وقد لقي كل بلاء، وقال لي: ألم أقل لك يا بن
الزانية: إنك ستفسد علي مجلسي! فأمسكت عن جوابه، وجعل يهجوني ويسبني
ويشكوني إلى أصحابنا، فقالوا لي :اهجه ودعنا وإياه، فقلت:

ألا يا ظبية الوادي وذات الجسد الرادي
وزين المصر والدار وزين الحي والنادي
وذات المبسم العذب وذات المبسم البادي
أما بالله تستحي ين من خلة حماد
فحماد فتى ليس بذي عز فتنقادي
ولا مال ولا طرف ولا حظ لمرتاد
فتوبي واتقي الله وبتي حبل عجراد
فقد ميزت بالحسن عن الخلق بإفراد
وهذا البين قد حم فجودي لي بالزاد

قال: فأخذ أصحابنا رقاعاً فكتبوا الأبيات فيها وألقوها في الطريق، وخرجت أنا فلم

أدخل عليهم ذلك اليوم، فلما رآها وقرأها قال لهم: يا أولاد الزنا فعلها ابن الزانية
وساعدتموه؟ قال: وأخذها حكم الوادي فغنى بها، فلم يبق بالكوفة سقاء ولا طحان ولا
مكار إلا غنى فيها ثم غبت مدة وقدمت فأتاني فما سلم علي حتى قال لي:
أما بالله تستحي ين من خلة حماد
قتلتني قتلك الله! والله ما كلمتني حتى الساعة. قال: قلت: اللهم أدم هجرها له وسوء
رأيها فيه وأسفه عليها وأغوه بها، فشتمني ساعة. قال مطيع: ثم قلت له: قم امض بنا
حتى أريك أختي - وكان لمطيع صديقة يسميها أختي وتسميه أخي، وكانت مغنية - فلما
خرجت إلينا، دعوت قيمة لها فأسررت إليها في أن تصلح لنا طعاماً وشراباً، وعرفتها أن
الذي معي حماد فضحكت. ثم أخذت صاحبتي في الغناء وقد علمت بموضعه وعرفت،
فكان أول ما غنت:
أما بالله تستحي ين من خلة حماد
فقال لها: يا زانية! وأقبل علي وقال: وأنت يا زاني يا بن الزانية! أسررت هذا إلى قيمتها!
فقلت: لا والله كذبت. وشاتمته صاحبتي ساعة ثم قامت فدخلت، وجعل يتغيظ علي.
فقلت: أنت ترى أني أمرتها أن تغني بما غنت؟ فقال: أرى ذلك وأظنه ظناً والله ولكني
أتيقنه. فحلفت له بالطلاق على بطلاه ظنه وانصرفنا.
وحكى قال يحيى بن زياد المحاربي لمطيع وكان صديقاً له: انطلق بنا إلى فلانة صديقتي،
فإن بيني وبينها مغاضبة لتصلح بيننا وبئس المصلح والله أنت.
قال: فدخلا عليها، فأقبلا
يتعاتبان ومطيع ساكت، حتى إذا أكثر قال يحيى: ما يسكتك؟ أسكت الله نأمتك! قال
مطيع:
أنت معتلة عليه وما زا ل مهيناً لنفسه في رضاك
فأعجب يحيى وهش له. فقال مطيع:
فدعيه وواصلي ابن إياس جعلت نفسه الغداة فداك
فقام يحيى إليه بوسادة في البيت فما زال يجلد بها رأسه ويقول: ألهذا جئت بك يا بن
الزانية! ومطيع يغوث حتى مل يحيى، والجارية تضحك منهما، ثم تركه.
وروي عن محمد بن الفضل السكوني قال: رفع صاحب الخبر إلى المنصور أن مطيع بن

إياس زنديق وأنه يلازم ابنه جعفر وجماعة من أهل بيته، ويوشك أن يفسد أديانهم أو ينسبوا
إلى مذهبه. فقال له المهدي: أنا به عارف، أما الزندقة فليس من أهلها، ولكنه خبيث
الدين فاسق مستحل للمحارم، قال: فأحضره وانهه عن صحبة جعفر وسائر أهله،
فأحضره المهدي وقال له: يا خبيث يا فاسق! لقد أفسدت أخي ومن تصحبه من أهلي،
والله لقد بلغني أنهم يتقارعون عليك، ولا يتم لهم سرور إلا بك، وقد غررتهم وشهرتهم في
الناس، ولولا أني شهدت لك عند أمير المؤمنين بالبراءة مما نسبت إليه من الزندقة، لقد كان
أمر بضرب عنقك! يا ربيع اضربه مائة سوط واحبسه. قال: ولم يا سيدي؟ قال: لأنك
سكير خمير قد أفسدت أهلي كلهم بصحبتك. فقال له: إن أذنت لي وسمعت احتججت.
فقال له: قل، فقال: أنا امرؤ شاعر، وسوقي إنما تنفق مع الملوك وقد كسدت عندكم، وأن
في أيامكم مطرح، وقد رضيت منها مع سعتها للناس جميعاً بالأكل على مائدة أخيك، لا
يتبع ذلك غيره، وأصفيته على ذلك شكري وشعري، فإن كان ذلك غالياً عندك تبت منه.
فأطرق المهدي ثم رفع رأسه فقال: قد رفع إلي صاحب الخبر أنك تتماجن على السؤال،
وتضحك منهم. قال: لا والله ما ذاك من فعلي ولا شأني ولا جرى مني قط إلا مرة
واحدة، فإن سائلاً أعمى اعترضني وقد عبرت الجسر على بغلتي، فظنني من الجند فرفع
عصاه في وجهي، ثم صاح: اللهم سخر الخليفة لأن يعطي للجند أرزاقهم فيشتروا من
التجار الأمتعة وتربح التجار عليهم فتدر أموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدقوا علي
منها. فنفرت بغلتي من صياحه ورفعة عصاه في وجهي حتى كدت أسقط في الماء.
فقلت: يا هذا، ما رأيت أكثر فضولاً منك، سل الله أن يرزقك ولا تجعل بينك وبينه هذه
الحوالات والوسائط التي لا يحتاج إليها فإن هذه المسائل فضول. فضحك الناس منه ورفع
علي في الخبر قولي له هذا. فضحك المهدي وقال: خلوه ولا يضرب ولا يحبس. فقال له:
أدخل عليك لموجدة وأخرج عن رضا وتبرأ ساحتي وأنصرف بلا جائزة! قال: لا يجوز

هذا، أعطوه مائتي دينار، ولا يعلم أمير المؤمنين فتجدد عنده ذنوبه، وقال له: اخرج عن
بغداد ودع صحبة جعفر حتى ينساك أمير المؤمنين، ثم عد إلي.
فقال له: فأين أقصد؟
قال: أكتب إلى سليمان بن علي فيوليك عملاً ويحسن إليك.
قال: قد رضيت. فوفد إلى
سليمان بكتاب المهدي فولاه الصدقة بالبصرة، وكان عليها داود بن أبي هند فعزله به.
وأخباره في هذا الباب كثيرة أغضينا عن كثير منها.
من نوادر أبي الشبل
هو عاصم بن وهب بن البراجم. مولده الكوفة. نشأ وتأدب بالبصرة. وفد إلى سامراء
أيام المتوكل ومدحه. وكان طيباً كثير الغزل والنوادر والمجون. فنفق عند المتوكل وخدمه
واختص به وامتدحه بقوله:

أقبلي فالخير مقبل واتركي قول المعلل
وثقي بالنجح إن أبصرت وجه المتوكل
ملك ينصف يا ظا لمتي فينا ويعدل
فهو الغاية والمأ مول يرجوه المؤمل

فأمر له بثلاثين ألف درهم. وله أخبار مستظرفة تتضمن شعراً ونوادر تدل على ظرفه
سنذكر منها طرفاً. فمن ذلك ما حكي عنه: أنه مدح مالك بن طوق، وقدر أن يعطيه ألف
درهم. فبعث إليه بصرة مختومة فيها مائة دينار، فظن أنها دراهم فردها إليه وكتب معها:

فليت الذي جادت به كف مالك ومالك مدسوسان في است أم مالك
وكان إلى يوم القيامة في استها فأيسر مفقود وأيسر هالك

وكان مالك يومئذ أميراً على الأهواز. فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره وقال: ما هذا؟
ظلمتنا واعتديت علينا. فقال: قدرت عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم. فقال:
افتحها، ففتحها فإذا فيها مائة دينار، فقال: أقلني أيها الأمير. فقال: قد أقلتك ولك كل ما
تحب أبداً ما بقيت وقصدتني.
قال: وكان له جار طبيب أحمق، فمات فرثاه فقال:

قد بكاه بول المريض بدمع واكف فوق مقلتيه ذروف
ثم شقت جيوبهن القواري ر عليه ونحن نوح اللهيف
يا كساد الخيار شنبر والأق راص طراً ويا كساد السفوف
كنت تمشي مع القوي فإن جا ء ضعيف لم تكترث بالضعيف
لهف نفسي على صنوف رقاعا ت تولت منه وعقل سخيف

وقال أبو الشبل: كان خالد بن يزبد بن هبيرة يشرب النبيذ، وكان يغشانا، وكانت له جارية
صفراء مغنية يقال لها لهب، كانت تغشانا معه، وكنت أعبث بها كثيراً. فقام مولاها يوماً
إلى الخابية يستقي نبيذاً، فإذا قميصه قد انشق، فقلت فيه:
قالت له لهب يوماً وجاد لها بالشعر في باب فعلان ومفعول
أما القميص فقد أزرى الزمان به فليت شعري ما حال السراويل
قال أبو الشنبل: وكانت أم خالد هذا ضراطة تضرط على صوت العيدان وغيرها في
الإيقاع. فقلت فيه:
في الحي من لا عدمت خلته فتى إذا ما قطعته وصلا
له عجوز بالحبق أبصر من بصرته ضارباً ومرتجلا
نادمته مرة وكنت فتى ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا
حتى إذا ما أمالها سكر يبعث في قلبها لها مثلا
اتكأت يسرة وقد خرفت أشراجها ك تقوم الرملا
فلم تزل إستها تطارحني اسمع من يسومني العللا
وقال محمد بن المرزبان: كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي، وكان إذا حضر أضحك
الثكلى بنوادره. فقال له أبي يوماً: حدثنا ببعض نوادرك وطرائفك. قال: نعم. من طرائف
أموري أن ابني زنى بجارية سندية لبعض جيراني، فحبلت وولدت، وكانت قيمة الجارية
عشرين ديناراً. فقال: يا أبت، الصبي والله ابني، فساومت فيه فقيل لي: خمسون ديناراً.
فقلت له ويلك! كنت تخبرني وهي حبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ونربح الفضل بين الثمنين!
وأمسكت عن المساومة بالصبي حتى اشتريه من القوم بما أرادوا. ثم أحبلها ثانياً فولدت
ابناً آخر، فجاء يسألني أن أبتاعه، فقلت: عليك لعنة الله، أي شيء حملك على أن تحبل
هذه، هلا عزلت عنها! فقال: إني لا أستحل العزل. ثم أقبل على جماعة عندي فجعل
يقول: شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله. فقلت له: يا بن الزانية! تستحل الزنا وتتحرج من
العزل! فضحكنا منه.
من نوادر حمزة بن بيض الحنفي
كان شاعراً من شعراء الدولة الأموية، وهو كوفي خليع ماجن، وكان منقطعاً إلى المهلب بن
أبي صفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة، واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً

عظيماً. يقال: إنه أخذ بالشعر من مال وشاء ورقيق وحملان وغير ذلك ألف ألف درهم.
وله نوادر، منها ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني عنه:
أنه كان يسامر عبد الملك بن بشر بن مروان، وكان عبد الملك يعبث به عبثاً شديداً.
فوجه إليه ليلة برسول وقال: خذه على أي حالة وجدته، وأحلفه وغلظ عليه الأيمان على
ذلك. فمضى الرسول فهجم عليه فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال له: أجب الأمير.
فقال: ويحك! إني أكلت طعاماً كثيراً وشربت نبيذاً حلواً وأخذني بطني. فقال: والله ما
تفارقني أو أمضي بك إليه ولو سلحت في ثيابك. فجهد في الخلاص فلم يقدر عليه.
ومضى به، فوجده قاعداً في طارمة له وجارية جميلة جالسة ين يديه، وكان يتحظاها،
تسجر الند. فجلس حمزة يحادثه وهو يعالج ما هو فيه. قال حمزة: فعرضت لي ريح فقلت:
أسرحها وأستريح لعل ريحها لا يظهر مع هذا الند، فأطلقتها، فغلبت والله ريح البخور
وغمرته. فقال: ما هذا يا حمزة؟ فقلت: على عهد الله وميثاقه وعلى المشي والهدى إن
كنت فعلتها! وما هذا إلا عمل الجارية الفاجرة. فغضب، وخجلت الجارية فما قدرت
على الكلام. ثم جاءتني أخرى فسرحتها، فسطع والله ريحها.
فقال: ما هذا؟ ويلك!
أنت والله الآفة. فقلت: امرأتي طالق ثلاثاً إن كنت فعلتها.
فقال: وهذه اليمين لازمة إن
كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، وقال لها: ما قصتك؟ ويلك! قومي إلى الخلاء
إن كنت تجدين شيئاً. فزاد خجلها، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها ما لم
يكن في الحساب. فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال: يا حمزة، خذ بيد
الزانية فقد وهبتها لك وامض، فقد نغصت علي ليلتي. فأخذت بيدها وخرجت. فلقيني
خادم له فقال: ما تريد أن تصنع؟ فقلت له: أمضي بهذه الجارية.
فقال: لا تفعل، فوالله لئن
فعلت ليبغضنك بغضاً لا تنتفع به بعده أبداً، وهذه مائتا دينار خذها ودع هذه الجارية فإنه
يتحظاها، وسيندم على هبته إياها لك. فأبيت إلا بخمسمائة دينار، فقال: ليس غير ما

ذكرت لك. فأخذتها وتركت الجارية. فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك. فلما قربت
من داره لقيني الخادم وقال لي: هل لك في مائة أخرى وتقول مالا يضرك ولعله ينفعك؟ قلت:
وما ذاك؟ قال: إذا دخلت فادع الفسوات الثلاث وانسبها إلى نفسك وانضح عن الجارية ما
قرفتها به. فأخذتها ودخلت على عبد الملك. فلما وقفت بين يديه قلت له: الأمان حتى
أخبرك بخبر يسرك ويضحكك. قال: لك الأمان. فقلت: أرأيت ليلة كذا وكذا وما جرى؟
قال: نعم. قلت: فعلي وعلي إن كان فسا تلك الفسوات غيري. فضحك حتى سقط على
قفاه وقال: ويلك! فلم لم تخبرني؟ قال فقلت: أردت بذلك خصالاً، منها أني قمت فقضيت
حاجتي وقد كان رسولك منعني من ذلك. ومنها أني أخذت جاريتك. ومنها أني كافأتك
على أذاك لي بمثله. قال: وأين الجارية؟ قلت: ما برحت من دارك ولا خرجت حتى
سلمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار. فسر بذلك وأمر لي بمائتي دينار أخرى، قال:
هذه لجميل فعلك في وتركك أخذ الجارية. قال حمزة: ودخلت إليه يوماً وكان له غلام لم ير
الناس أنتن إبطاً منه. فقال لي: يا حمزة، سابق غلامي هذا حتى يفوح صنانكما، فأيكما
كان صنانه أنتن فله مائة دينار. فطمعت في المائة ويئست منها لما أعلمه من نتن إبط الغلام،
فقلت: أفعل. وتعادينا ساعة فسبقني، فسلحت في يدي ثم طليت إبطي بالسلاح، وقد كان
عبد الملك جعل بيننا حكماً، فلما دنا الغلام منه وشمه وثب وقال: هذا والله لا يشاكله
شيء. فصحت به: لا تعجل علي بالحكم، مكانك! ثم دنوت منه فألقمت أنفه إبطي حتى
علمت أنه قد خالط دماغه وأنا ممسك رأسه تحت يدي، فصاح: الموت والله! هذا
بالكنف أشبه منه بالإبط. فضحك عبد الملك ثم قال: أفحكمت له؟ قال: نعم. فأخذت
الدنانير. قال: ودخلت يوماً على سليمان بن عبد الملك. فلما مثلت بين يديه قلت:

رأيتك في المنام شتنت خزاً علي بنفسجاً وقضيت ديني
فصدق يا فدتك النفس رؤيا رأتها في المنام لديك عيني

قال سليمان: يا غلام، أدخله خزانة الكسوة واشتن عليه كل ثوب خز بنفسجي، فخرجت

كأني مشجب. ثم قال: كم دينك؟ قلت: عشرة آلاف، فأمر لي بها وما أعلم والله أني
رأيت من ذلك شيئاً.
من نوادر أبي العيناء
هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان، من بني حنيفة أهل اليمامة. وأسر
ياسر في سباء في خلافة المنصور. فلما صار في يد المنصور أعتقه، فهم موالي بني هاشم.
وكان أبو العيناء ضرير البصر، يقال: إن جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه
فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى، فكل من عمي منهم فهو صحيح النسب.
وهو ممن اشتره بالمجون، وله نوادر وحكايات مستظرفة، ومراسلات عجيبة، سأورد منها
طرفاً، وأسطر طرفاً. فمن ذلك: أن بعض الرؤساء قال له: يا أبا العيناء، لو مت لرقص
الناس طرباً وسروراً. فقال بديهة:

أردت مذمتي فأجدت مدحي بحمد الله ذلك لا بحمدك
فلا تك واثقاً أبداً بعمد فقد يأتي القضاء بغير عمدك

ثم قال: أجل! الناس قد ذهبوا، فلوا رآني الموتى لطربوا لدخول مثلي عليهم، وحلول
عقلي لديهم، ووصول فضلي إليهم، فما زال الموتى يغبطونكم ويرحمونني بكم.
وقال: واتصلت أشغال أبي الصقر الوزير، فتأخر توقيعه عن أبي العيناء برسومه. فكتب
إليه: رقعتي، أطال الله بقاء الوزير، رقعة من علم شغلك فاطرح عدلك، وحقق أمرك
فبسط عذرك. أما والليل إذا عسعس، فالبنان لبنات الدنان، وملامسات الحسان، وأما
والصبح إذا تنفس، فالبنان للعنان، ومؤامرات السلطان، فمن أبو العيناء القرنان!. فوقع أبو
الصقر تحت سطوره: لكل طعام مكان، ولكل معوز إمكان، وقد وقعنا لك بالرسوم،
وجعلنا لك بالرسوم، وجعلنا لك حظاً من المقسوم، وكفينا أنفسنا عذرك الذي هو تعزير،
ولسانك الذي هو تحذير. والسلام.
ثم لقيه أبو العيناء في صدر موكبه فقال: طاعة شيمك لسلطان كرمك، ألزمتك الصبر على
ذنوبي إليك، وتجني خلقي عليك. فقال أبو الصقر: كبير حسناتك، يستغرق يسير
سيئاتك. فدعا له وانصرف شاكراً. قال: وبسط أبو العيناء لسانه على أهله في بعض

الدواوين. فقال له فتى من أبناء الكتاب كانت فيه جرأة: كل الناس لك يا أبا العيناء
زوجة، وأنت زوجة أبي علي البصير. فقال له أبو العيناء: قد ملكنا عصمتك بيقين
فحواك، ثم ننظر في شكوك دعواك، وقد طلقت الناس كلهم سواك، ذلك أدنى ألا نعول،
وفيك ما يروى الفحول، ويتجاوز السول. قال: ففضحه بهذا الكلام، فلم يجبه. قال: وكان
في بني الجراح فتى خليع ماجن فأراد العبث بأبي العيناء، فنهاه نصحاؤه فأبى، فقالوا:
شأنك. فقال له: يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ فقال: حين آمن أهلك وأبوك الذين لم
يؤدبوك. فقال له الفتى: إذاً قد علمت أنك ما أسلمت. فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك
دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وسترى أي السلطانين أقوى، وأي الشيطانين أغوى،
وسيعلم أهلك، ما جنى عليهم جهلك. قال: فأتاه أبوه فتبرأ من ذمته، ودفعه إليه برمته.
فقال له أبو العيناء: قد وهبت جوره لعدلك، وتصدقت بحمقه على عقلك.
ومن أخبار أبي العيناء أيضاً: أن محمد بن عبيد الله بن خاقان حمله على برذون زعم أنه
غير فاره، فكتب إلى أبيه: أعلم الوزير أعزه الله تعالى أن أبا علي محمداً أراد أن يبرني
فعقني، وأن يركبني فأرجلني! أمر لي بدابة تقف للنبرة، وتعثر بالبعرة، كالقضيب اليابس
عجفاً، وكالعاشق المجهود دنفاً، يساعد أعلاه لأسفله، حباقه مقرون بسعاله، فلو أمسك
لترجيت، أو أفرد لتعزيت، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور، والمجلس المشهور، كأنه
خطيب مرشد، أو شاعر منشد، تضحك من فعله النسوان، ويتناغى من فعله الصبيان،
فمن صائح يصيح: داوه بالطباشير، ومن قائل يقول: نق له من الشعير. قد حفظ الأشعار،
وروى الأخبار، ولحق العلماء في الأمصار، فلو أعين بنطق، لروى بحق وصدق، عن جابر
الجعفي، وعامر الشعبي. وإنما أتيت من من كاتبه الأعور، الذي إذا اختار لنفسه أطاب
وأكثر، وإذا اختار لغيره أخبث وأنزر. فإن رأى الوزير أن يبدلني ويريحني بمركوب يضحكني
كما يضحك مني، يمحو بحسنه وفراهته، ما سطره العيب بقبحه ودمامته. ولست أرد

كرامه، سرجه ولجامه، لأن الوزير أكرم من أن يسلب ما يهديه، أو ينقص ما يمضيه فوجه
إليه عبيد الله برذوناً من براذينه بسرجه ولجامه. ثم اجتمع محمد بن عبيد الله عند أبيه.
فقال عبيد الله لأبي العيناء: شكوت دابة محمد، وقد أخبرني إنه ليشتريه منك الآن بمائة
دينار، وما هذا ثمنه فلا يشتكي. فقال: أعز الله الوزير لو لم أكذب مستزيداً، لم أنصرف
مستفيداً. وإني وإياه لكما قالت امرأة العزيز: " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه
وإنه لمن الصادقين ". فضحك عبيد الله وقال: حجتك الداحضة، بملاحتك وظرفك أبلغ
من حجة غيرك البالغة. ودخل أبو العيناء على أبي الصقر وكان قد تأخر عنه، فقال: ما
أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال:
فلم لم تأت على غيره؟ قال: أبعدني عن الشراء قلة يساري، وكرهت ذلة المكاري، ومنة
العواري. قال: وصار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد، فقيل له: هو مشغول يصلي، فقال:
لكل جديد لذة. وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة. وقال له صاعد يوماً: ما الذي أخرك
عنا؟ قال: بنتي. قال: وكيف؟ قال: قالت لي: يا أبت، قد كنت تغدو من عندنا فتأتي
بالخلعة السرية، والجائزة السنية، ثم أنت الآن تغدو مسدفاً، وترجع معتماً، فإلى من؟ قلت:
إلى أبي العلاء ذي الدرايتين. قال: أيعطيك؟ قلت: لا. قالت: أفيشفعك؟ قلت: لا.
قالت: أيرفع مجلسك؟ قلت: لا. قالت: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئاً!.
وقال له رجل من بني هاشم: بلغني أنك بغاء. قال: ولم أنكرت ذلك مع قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " مولى القوم منهم "؟ قال: إنك دعي فينا. قال: بغائي صحح نسبي
فيكم. وسأل أبو العيناء الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك في شفاعة لصاحب له،
فكتب الكتاب وناوله الرجل، فعاد به إلى أبي العيناء وقال: قد أسعف. قال: فهل قرأته؟
قال: لا، لأنه مختوم. قال: ويحك! فضه لا يكون صحيفة المتلمس. ففضه فإذا فيه: موصل

كتابي سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفهه وبذاء لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً. فإن
أحسنت إليه فلا تحسبه علي يداً، وإن لم تحسن إليه لم أعده عليك ذنباً، والسلام. فركب
أبو العيناء إلى الجاحظ وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان. فخجل الجاحظ وقال: يا
أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به. قال: فإذا بلغك أن صاحبي قد شتمك فاعلم أنها
علامته فيمن شكر معروفه. وقال أبو العيناء: مررت يوماً بدرب بسامراء، فقال لي غلامي:
يا مولاي، في الدرب حمل سمين والدرب خال. فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلساني وصرت
به إلى منزلي. فلا كان من الغد جاءتني رقعة من بعض رؤساء ذلك الدرب مكتوب فيها:
جعلت فداك، ضاع لنا بالأمس حمل، فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت سرقته، فأمر برده
متفضلاً. قال أبو العيناء: فكتبت إليه: أي سبحان الله! ما أعجب هذا الأمر مشايخ
دربنا يزعمون أنك بغاء وأكذبهم ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان دربكم أني سرقت
الحمل!. قال فسكت وما عاودني. ولأبي العيناء أخبار كثيرة وحكايات مشهورة قد
أوردنا منها ما يدخل في هذا الباب وتركنا ما سواه.

ما ورد في كراهة المزح

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من مزح استخف به ". وقال
حكيم: خير المزاح لا ينال، وشره لا يقال، سكرات الموت به محدقة، وعيون الآجال إليه
محدقة. وقال آخر: تجنب شؤم الهزل ونكد المزاح، فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد
عسر، وفحلان إذا لقحا لم ينتجا غير ضر. وقالوا: المزاح يضع قدر الشريف، ويذهب هيبة
الجليل. وقالوا: لا تقل ما يسوءك عاجله، ويضرك آجله. وقالوا: إياك وما يستقبح من
الكلام، فإنه ينفر عنك الكرام، ويجسر عليك اللئام. وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا المزاح،
فإنها حمقة تورث ضغينة. وقال حكيم لابنه: يا بني، إياك والمزاح، فإنه يذهب ببهاء الوجه
ويحط من المروءة. قال شاعر:

اكره لنفسك ما لغيرك تكره  وافعل لنفسك فعل من يتنزه
وارفع بصمتك عنك سبات الورى  خوف الجواب فإنه بك أشبه

ودع الفكاهة بالمزاح فإنها تودي وتسقط من بها يتفكه
وقيل:
ألا رب قول قد جرى ممن ممازح فساق إليه الموت في طرف الحبل
فإن مزاح المرء في غير حينه دليل على فرط الحماقة والجهل
وقيل:
فإياك إياك المزاح فإنه يجري عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه ويورث بعد العز صاحبه ذلا
وقال بعض البلغاء: المزاح خرف، والاقتصاد فيه ظرف، والإفراط فيه ندامة. وقالوا: من
كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به أو حقد عليه. ويقال: أكثر أسباب القطيعة المزاح.
وإن كان لا غنى للنفس عنه للجمام، فليكن بمقدار الملح في الطعام. قال أبو الفتح البستي
رحمه الله:
أفد طبعك المكدود بالهم راحة تراح وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
وقيل:
امزح بمقدار الطلاقة واجتنب مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
لا تغضبن أخاً إذا مازحته إن المزاح على مقدمة الغضب
وقيل:
مازح صديقك ما أحب مزاحاً وتوق منه في المزاح جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة كانت لبدء عداوة مفتاحا
وقال سعيد بن العاص لولده: يا بني، اقتصد في مزحك، فإن الإفراط فيه يذهب البهاء،
ويجرئ السفهاء. ويقال: المزاح أوله فرح، وآخره ترح. قال أبو العتاهية:
وترى الفتى يلقي أخاه وخدنه في بعض منطقه بما لا يغفر
ويقول كنت ملاعباً وممازحاً هيهات! نارك في الحشا تتسعر
ألقيتها وطفقت تضحك لاهياً وفؤاده مما به يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب أن المزاح هو السباب الأكبر
فهذه نبذة مما قيل في الفكاهات والمجون، يفرح لها قلب المحزون، وتزول عنه الشجون.
فلنذكر ما قيل مما يناسب هذا الباب.
من أشعار المزاحين
وسنورد في هذا الفصل من أشعار هذا الفن، ما رفلت معانيه في حلل أنفاسها على
صفحات أطراسها، وأهلت مغانيه بما أودعه لسان القلم صدر قرطاسها من بديع إيناسها.

يضحك سامعه وإن كان ثكلاً. ويستوفيه وإن كان عجلاً. هذا مع ما فيه من فحش القول
الذي إذا تأملته في موضعه كان أزين من عقود اللآلئ، وإن لمحته في غيره كان أقفر من ظلم
الليالي. نسأل الله المسامحة لكاتبه وقائله، ومستمعه وناقله.
فمن ذلك ما كتب به ابن
حجاج لمن شرب دواء:
يا أبا أحمد بنفسي أدي ك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طا عة شرب الدواء يوم الدواء
كيف أمسى سبال مبعرك الند ل غريقاً في المرة الصفراء
وقال الحسن بن هانئ:
للطمة يلطمني أمرد تأخذ مني العين والفكا
أطيب من تفاحة من يدي ذي لحية محشوة مسكا
وقال أبو عبد الله محمد بن الحسن الحجاج:
قومي تنحي فلست من شأني قومي اذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهر عليك حصنني ولا زمان إليك ألجاني
قعدت تفسين فوق طنفستي ما بين راحي وبين ريحاني
فما عدمنا من الكنيف وقد حضرت إلا بنات وردان
وقال أبو بكر محمد الخوارزمي:
فسا الشيخ سهواً وفي كفه شراب فلمناه لوماً قبيحا
فقال لي الدخل والخرج لي فأدلت راحاً وأخرجت ريحا
وقال ابن سكرة الهاشمي:
وبات في السطح معي صاحب من أكرم الناس ذوي الفضل
أفسو فيفسو فهو لي مسعد وإنما أملي ويستملي
الباب الرابع
في الخمر
وتحريمها وآفاتها وجناياتها وأسمائها، وأخبار من تنزه عنها في الجاهلية، ومن حد فيها من
الأشراف، ومن اشتهر بها، ولبس ثوب الخلاعة بسببها، وما قيل فيها من جيد الشعر، وما
قيل في وصف آلاتها وآنيتها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما وصفت به المجالس وما يجري
هذا المجرى.
ما قيل في الخمر وتحريمها
أجمع الناس على أن الخمر المحرمة في كتاب الله عز وجل هي المتخذة من عصير العنب
بعد أن يغلى ويقذف بالزبد م غير أن يمسها نار. وإذا انقلبت بنفسها وتخللت طهرت من
غير أن يتسبب في ذلك بشيء يلقى فيها. وطهارتها إذا غلبت عليها الحموضة وفارقتها

النشوة. والخمر المتخذة أيضاً من التمر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم
في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: " الخمر من هاتي الشجرتين النخلة والعنبة ".
وفي حديث آخر: " من هاتين الشجرتين الكمة والنخلة ". وعن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: أما بعد، أيها الناس: إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة، من التمر والعنب والعسل
والحنطة والشعير ". والخمر ما خامر العقل. ولا خلاف بين أحد من الأئمة في أن الخمر
حرام، لما ورد في ذلك من الكتاب والسنة. أما ما ورد في كتاب الله عز وجل فأربع آيات،
منها ما يقتضي الإباحة، ومنها ما يقتضي الكراهة والتحريم.
فأول ما نزل فيها بمكة قوله
عز وجل: " ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً ". فكان
المسلمون يشربونها يومئذ وهي حلال لهم. ثم أنزل الله عز وجل بالمدينة: " يسألونك عن
الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما " نزلت هذه الآية في
عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وفر من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال، فأنزل الله
تعالى هذه الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن ربكم تقدم في تحريم الخمر ".
فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا: لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه إثم كبير، وشربها
قوم لقوله تعالى: " ومنافع للناس ". وكانوا يستمتعون بمنافعهم ويتجنبون مآثمها، إلى أن صنع
عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب، فقدموا بعضهم ليصلي بهم، فقرأ
قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون إلى آخر السورة بحذف " لا " فأنزل الله عز وجل. "
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون " فحرم السكر في
أوقات الصلاة. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله عز وجل تقارب في النهي

عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحرمها. فلما نزلت هذه الآية تركها قوم، وقالوا: لا خير في
شيء يحول بيننا وبين الصلاة. وقال قوم: نشربها ونجلس في بيوتنا، فكانوا يتركونها وقت
الصلاة ويشربونها في غير حين الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين، فجعل ينوح على
قتلى بدر ويقول:

تحيا بالسلامة أم بكر وهل لي بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح بكراً فإني رأيت الموت كفت عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدوه بألف من رجال أو سوام

في أبيات أخر. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء فزعاً يجر رداءه حتى
انتهى إليه، ورفع شناً كان في يده ليضربه، فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله
وغضب رسوله، والله لا أطعمها أبداً، ثم نزلت آية التحريم وهي قوله عز وجل: " إنما يريد
الشيطان أو يوقف بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة فهل أنتم منتهون ". وروى أن هذه الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب، وكان
نزولها وتحريم الخمر في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة. وكان من خبر حمزة بن عبد المطلب ما رواه مسلم بن الحجاج بن مسلم في صحيحه عن
علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أصبت شارفاً مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مغنم يوم بدر، وأعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شارفاً أخرى من
الخمس. قال علي: فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعدت رجلاً صواعاً من بني قنيقناع يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من
الصواغين فأستعين به على وليمة عرسي. فبينا أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والغرائر
والحبال، وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار ورجعت حين جمعت ما
جمعت، فإذا شارفاي قد اجتنبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما، فلم
أملك نفسي حين رأيت ذلك المنظر منهما أن قلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة بن
عبد المطلب وهو في هذا البيت في شرب من الأنصار، غنته قينة وأصحابه، فقالت في
غنائها:

ألا يا حمزة للشرف النواء
لم يذكر مسلم في صحيحه من الشعر غير ما ذكرناه. والأبيات التي غنت بها:
ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من شرائحها كباباً ملهوجة على وهج الصلاء
وأصلح من أطايبها طبيخاً لشربك من قديد أو شواء
فأنت أبا عمارة المرجى لكشف الضر عنها والبلاء
فقام حمزة بالسيف فاجتب أسمنتهما وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادهما. فقال علي:
فانطلقت حتى أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند زيد بن حارثة. قال:
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهي الذي لقيت، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " مالك "؟ قلت: يا رسول الله، ما رأيت كاليوم قط، عدا حمزة على ناقتي
فاجتب أسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب. فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بردائه فارتداه ثم انطلق يمشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة حتى جاء الباب
الذي فيه حمزة، فاستأذن فأذنوا له، فإذا هم شرب، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلوم حمة فيما فعل وإذا حمزة محمرة عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم صعد النظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر إلى سرته ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه، فقال
حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي! فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ثمل، فنكص
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقري وخرج وخرجنا معه. وفي حديث
آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: " إن عمك قد ثمل وهما لك علي "
فغرمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي. فلما أصبح حمزة غدا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعتذر. فقال: " مه يا عم فقد سألت الله فعفا عنك ". قالوا: واتخذ
عتبان بن مالك صنيعاً ودعا رجالاً من المسلمين، منهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد
شوى لهم رأس بعير فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم، ثم إنهم افتخروا عند
ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، وأنشد سعد قصيدة فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه،

فقام رجل من الأنصار فأخذ لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موضحة.
فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصار. فقال عمر رضي
الله عنه: اللهم بين لنا رأيك في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر في سورة
المائدة " إنما يريد الشيطان " الآية إلى " منتهون ". فقال عمر: انتهينا يا رب. وقيل: إنها
حرمت بعد غزوة الأحزاب بأيام في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة. والله أعلم. قال
أنس رضي الله عنه: حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش أعجب منها، وما حرم عليهم
شيء أشد من الخمر. قال: فأخرجنا الحباب إلى الطريق فصببنا ما فيها، فمنا من كسر
حبه، ومنا من غسله بالماء والطين، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حيناً، كلما مطرت
استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها.
وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي
طلحة، وما شرابهم إلا فضيخ البسر والتمر، فإذا مناد ينادي، فقال القوم: اخرج فانظر،
فإذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت في سكك المدينة. فقال لي أبو
طلحة: اخرج فاهرقها فهرقتها. فقالوا أو قال بعضهم: قتل فلان! قتل فلان! وهي في
بطونهم، فأنزل الله عز وجل: " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فما طعموا
إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ".
وأما ما ورد في تحريمها في كتاب الله وبينته السنة، فالأحاديث متضافرة في تحريمها. فمن
ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من مات وهو مدمن خمر لقي
الله وهو كعابد وثن ". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة مدمن خمر
". وأما من زعم أنها تباح للتداوي بها فيرد عليه ذلك ما صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه أو
كره أن يصنعها، وقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: " إنها ليست بدواء ولكنه داء ". وعنه
صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل النبي

صلى الله عليه وسلم: " أو مسكر هو " قال نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" كل مسكر حرام إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال ".
فقالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: "عرق أهل النار ". وعن ابن عمر رضي الله
عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن
شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة " وفي لفظ: " حرمها في
الآخرة فلم يسقها " وفي لفظ: " إلا أن يتوب ". وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه:
من سره أن يحرم ما حرم الله ورسوله فليحترم النبيذ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب حين
يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن " أخرجه البخاري في صحيحه
والله سبحانه وتعالى أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
ما قيل في إباحة المطبوخ
والمطبوخ يسمى الطلاء وهو الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. سمي بذلك لأنه
شبيه بطلاء الإبل في ثخنه وسواده. وقد اختلف العلماء في المطبوخ، فقال بعضهم: كل
عصير طبخ حتى ذهب نصفه فهو حلال إلا أنه يكره، وإن طبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي
ثلثه فهو حلال مباح شربه وبيعه إلا أن السكر منه حرام.
وحجتهم في ذلك ما روي: أن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله: أن ارزق المسلمين من الطلاء ما
ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعن عبد الله بن يزيد الخطمي قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه: أما بعد، فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان في عود
الكرم، فإن له اثنين ولكم واحد. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نوحاً عليه السلام
لما نازعه الشيطان في عود الكرم فقال: هذا لي، وقال: هذا لي، فاصطلحا على أن لنوح
ثلثها وللشيطان ثلثيها. وسئل سعيد بن المسيب: ما الشراب الذي أحله عمر رضي الله
عنه؟ فقال: الذي يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه. وحكي أن أبا موسى الأشعري

وأبا الدرداء كانا يشربان من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه. وعلى الجملة فمجموع هذه
الأخبار في مثلث لم يسكر البتة. ودليل ذلك ما حكي عن عبد الله بن عبد الملك ابن
الطفيل الخزرجي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: ألا تشربوا من الطلاء حتى يذهب
ثلثاه ويبقى ثلثه، وكل مسكر حرام. هذا الذي عليه أكثر العلماء. وقال قوم: إذا طبخ
العصير أدنى الطبخ صار حلالاً، وهو قول إسماعيل بن علية وبشر المريسي وجماعة من
أهل العراق. وذهب بعضهم إلى أن الطلاء الذي رخص فيه إنما هو الرب والدبس. والله
عز وجل أعلم.

آفات الخمر وجناياتها

وآفات الخمر وجناياتها كثيرة، لأنها أم الكبائر. وأول آفاتها أنها تذهب العقل، وأفضل ما
في الإنسان عقله، وتحسن القبيح وتقبح الحسن. قال أبو نواس الحسن ابن هانئ عفا الله
عنه ورحمه وغفر له ما أسلف:

اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح

وقال أيضاً:

اسقني صرفاً حمياً تترك الشيخ صبياً
وتريه الغي رشداً وتريه الرشد غياً

وقال أبو الطيب:

رأيت المدامة غلابة تهيج للمرء أشواقه
تسئ من المرء تأديبه ولكن تحسن أخلاقه
وأنفس ما للفتى له وذو اللب يكره إنفاقه
وقد مت أمس بها ميتة وما يشتهي الموت من ذاقه

قالوا: وإنما قيل لمشارب الرجل نديم، من الندامة، لأن الرجل معاقر الكأس إذا سكر تكلم
بما يندم عليه وفعل ما يندم عليه، فقيل لمن شاربه نادمه لأنه فعل مثل فعله فهو نديم له، كما
يقال: جالسه فهو جليس له. والمعاقر: المدمن، كأنه لزم عقر الشيء أي فناءه. وقد شهر
أصحاب الشراب بسوء العقد وقلة الحفاظ، وقالوا: صاحب الشراب صديقك ما
استغنيت عنه حتى تفتقر، وما عوفيت حتى تنكب، وما غلت دنانك حتى تنزف، وما
رأوك بعيونهم حتى يفقدوك. قال بعض الشعراء عفا الله تعالى عنه:

أرى كل قوم يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفا ورحبوا وإن غبت عنهم ساعة فذميم

إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم وكلهم رث الوصال سئوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة ولكنني بالفاسقين عليم
قيل: سقى قوم أعرابية مسكراً، فقالت: أيشرب نساؤكم هذا الشراب؟ قالوا: نعم.
قالت: فما يدري أحدكم من أبوه. وقال قصي بن كلاب لبنيه: اجتنبوا الخمر فإنه يصلح
الأبداء ويفسد الأذهان. وقيل لعدي بن حاتم: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: معاذ الله!
أصبح حليم قوم وأمسي سفيههم. وقيل لأعرابي: مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: لا أشرب
ما يشرب عقلي. وقيل لعثمان بن عفان: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج
عليك؟ قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئاً يذهب جملة ويعود جملة. وقال
عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح: هل لك فيما يثمر المحادثة؟ يريد المنادمة، فقال:
أصلح الله الأمير! الشعر مفلفل واللون مرمد، ولم أقعد إليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر،
وإنما هو عقلي ولساني، فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل. ودخل مصيب هذا على عبد
الملك بن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله، ثم دعا بالطعام فطعم معه.
فقال له عبد الملك: هل لك أن تنادم عليه؟ قال: يا أمير المؤمنين، تأملني. قال: قد أراك.
قال: يا أمير المؤمنين، جلدي أسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولست في منصب، وإنما
بلغ بي مجالستك ومؤاكلتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه. فأعجبه كلامه
وأعفاه.
وقال الحسن: لو كان العقل عرضاً لتغالي الناس في ثمنه، فالعجب لمن يشتري بماله شيئاً
ليشربه فيذهب عقله!.
وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج بن يوسف في وفدة وفدها عليه وقد أكلا: هل لك في
الشراب؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس بحرام ما أحللت، ولكن أمنع أهل عملي، وأكره أن
أخالف قول العبد الصالح وهو قوله تعالى: " وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ".
وقالوا: للنبيذ حدان، حد لا هم معه، وحد لا عقل معه، فعليك بالأول واتق الثاني.
ومن آفات الخمر افتضاح شاربها بريحها عند من يحتشم منه ويتقيه ويخافه يثبت في الفم

اليوم واليومين بعد تركها. فمن شربها ساعة وهو يحتشم من الناس أن يظهر ذل عليه
احتجاج إلى الانقطاع في بيته بعد زوال السكر وأوبة العقل حتى تزول الرائحة. وقد تحايل
الذي يشربون الخمر على قطع ريحها من الفم وعالجوا ذلك بأدوية صنعوها يستعملونها بعد
شربها. فأجود ما صنعوه من هذه الأدوية أن يؤخذ من المؤ والبسباسة والسعد والجناح
والقرنفل أجزاء متساوية وجزءان من الصمغ، ويدق ذلك ويجبل بماء الورد ويستعمل منه فإنه
يقطع رائحة الخمر من الفم، كما زعموا. وقد نظم بعض الشعراء هذه المفردات في أربعة
أبيات فقال:

مر وبسباسة وسعد إلى جناح وماء ورد
ينظمها الصمغ إن تلاه قرنفل الهند نظم عقد
أجزاؤها كلها سواء والصمغ جزآن، لا تعدي
فيه لذي مرة شفاء وصون عرض وحفظ ود

أسماء الخمر
من حين تعصر إلى أن تشرب
الخمر إذا عصر فاسم ما يسيل منه قبل أن تطأه الرجل: السلاف، وأصله من السلف وهو
المتقدم من كل شيء، وهو في مثل ذلك الخرطوم أيضاً. ويقال للذي يعصر بالأقدام: العصير،
والموضع الذي يعصر فيه: المعصرة. والنطل: ما عصر فيه السلاف، ويقال للعاصر: الناطل،
ثم يترك العصير حتى يغلي فإذا غلا فهو خمر، وقيل: سميت خمراً لأنها تخامر العقول
فتخلطها. وقالوا: لأنها تخمر في الإناء، أي تغطى وهي مؤنثة. ويقال لها: القهوة، لأنها تقهى
عن الطعام والشراب، يقال: أقهى عن الطعام وأقهم عنه إذا لم يشتهه. ومن أسمائها:
الشمول، سميت بذلك لأن لها عصفة كعصفة الشمال، وقيل: لأنها تشمل القوم بريحها.
ومنها: السلاف والسلافة والخرطوم وقد تقدم معناها. ومنها: القرقف لأن شاربها يقرقف
إذا شربها، أي يرعد، يقال: قرقف وقفقف. وقال أبو عمرو: القرقف اسم للخمر غير صفة
وأنكر قولهم سميت بها لأنها ترعد. ومنها: الراح لأ،ها تكسب صاحبها الأريحية أي
خفة العطاء. ومنها: العقار لأنها عاقرت الدن، وقيل: لأنها تعقر شاربها من قول العرب:

كلأ بني فلان عقار، أي يعقر الماشية. ومن أسمائها: المدامة والمدام لأنها داومت الظرف
الذي انتبذت فيه. والرحيق ومعناه الخالص من الغش. وقيل: الصافي. وقيل: العتيق.
والكميت سميت بذلك للونها إذ كانت تضرب إلى السواد.
والجريال وهو صبغ أحمر
سميت بذلك للونها أيضاً. والسبيئة والسباء وهي المشتراة وأصلها مسبوءة، يقال: سبأت
الخمر إذا اشتريتها. والمشعشعة وهي الممزوجة. والصهباء وهي التي عصرت من العنب
الأبيض. والشموس شبهت بالدابة التي تجمح براكبها.
والخندريس وهي القديمة. والحانية:
منسوبة إلى الحانة. والماذية: اللينة يقال: عسل ماذي إذا كان ليناً. والعانية: منسوبة إلى
عانة. والسخامية: اللينة من قولهم: قطن سخام أي لين وثوب سخام. قال الراجز:

كأنه بالصحصحان الأنجل  قطن سخامي بأيدي غزل

والمزة والمزاء لطعمها. الإسفنط، قال الأصمعي: هو بالرومية. والغرب ومعناه الحد،
وغرب كل شيء حده. ولعلها سميت بذلك لحدتها. والحميا، وحميا كل شيء سورته
وحدته. والمصطار: الخلة ويقال: المضطار بالضاد أيضاً.
والخمطة: المتغيرة الطعم.
والمعتقة: التي قد طال مكثها. والإثم: اسم لها لعله وقع عليها لما في شربها من الإثم.
والحمق كذلك. قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي  كذاك الإثم يفعل بالعقول

والمعرق: الممزوج قليلاً، يقال: عرق من ماء أي ليس بكثير.
ومن أسمائها: القنديد والفيهج
وأم زنبق والمقطب والطوس والسلسال والسلسل والزرجون والكلفاء والجرباء والعانسة
والطابة والناجود والكأس والطلاء، قال عبيد بن الأبرص:

هي الخمر صرفاً تكنى الطلا  كالذئب يسمى أبا جعدة

والباذق والبختج: فارسيان. والجهوري. والمقدى منسوبة إلى قرية من قرى الشام.
والمزاء من قولك: هذا أمزى من هذا أي أفضل. والنبيذ. والبتع: نبيذ العسل والسكركة
من الذرة. والجعة من الشعير. والفضيخ من البسر. والمزر من الحبوب.
من تنزه عن الخمر في الجاهلية
وتركها ترفعاً عنها

كان ممن تركها في الجاهلية عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبد المطلب بن هاشم وعبد
الله بن جدعان التيمي وكان سيداً جواداً من سادات قريش، وسبب تركه لها أنه شرب مع
أمية بن أبي الصلت الثقفي فأصبحت عين أمية مخضرة فخاف عليها الذهاب، فسأله عبد
الله: ما بال عينك؟ فقال: أنت صاحبها أصبتها البارحة، قال: وبلغ مني الشراب ما أبلغ
معه من جليسي هذا المبلغ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال: الخمر علي حرام، لا أذوقها
أبداً، وقال فيها:

شربت الخمر حتى قال صحبي ألست عن السقاة بمستفيق؟
وحتى ما أوسد في مبيت أنام به سوى الترب السحيق

وممن حرمها في الجاهلية: قيس بن عاصم المنقري، والسبب في ذلك أنه سكر فغمز عكنة
ابنته أو أخته فهربت منه، فلما صحا أخبروه فحرم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجدت الخمر جامحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
ولا أعطي لها ثمناً حياتي ولا أشفي بها أبداً سقيما
فإن الخمر تفضح شاربيها وتجشمهم بها أمراً عظيما
إذا دارت حمياها تعلت طوالع تسفه الرجل الحليما

ومنهم: عامر بن الظرب العدواني، قال:

سآلة للفتى ماليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي

ومنهم: صفوان بن أمية بن محرث الكتامي وعفيف بن معد يكرب الكندي والأسلوم بن
نامي من همدان ومقيس بن عدي السهمي وكان سكر فجعل يخط ببوله: أنعامة أو بعيراً،
فلما أفاق وأخبر بذلك حرمها.

ومنهم: العباس بن مرداس السلمي قيل له: لم تركت الشراب وهو يزيد في جرأتك
وسماحتك؟ فقال: أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم.

ومنهم: سعيد بن ربيعة بن عبد شمس وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة. وقال زيد بن
ظبيان:

بئس الشراب حين تشربه يوهي العظام وطوراً يوهي العصب
إني أخاف مليكي أن يعذبني وفي العشيرة أن يزرى على حسبي

وقال رجل لسعيد بن سلم: ألا تشرب النبيذ؟ فقال: تركت كثيره لله تعالى وقليله للناس.
فاستحسن شعره وقال له: سل حاجتك، فقال: تأمر لي بكتاب إلى عامل المدينة ألا يحدني
على شراب، فقال له: ويلك! لو سألتني عزل عامل المدينة وتوليتك مكانه لفعلت، قال: يا
أمير المؤمنين، ولو عزلته ووليتني مكانه أما كنت تعزلني أيضاً وتولي غيري! قال: بلى، قال:
فكنت أرجع إلى سيرتي الأولى فأحد، فقال المهدي لوزرائه: ما تقولون في حاجة ابن هرمة
وما عندكم فيها من التلطف؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، إنه سأل مالا سبيل إليه، إسقاط حد
من حدود الله عز وجل، فقال المهدي: له حيلة إذا أعيتكم الحيل فيه، اكتبوا إلى عامل
المدينة: من أتاك بابن هرمة سكراناً فاضربه مائة سوط واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان إذا
شرب ومشى في أزقة المدينة يقول: من يشتري مائة بثمانين؟
وأما من شربها منهم واشتهر بها، جماعة من الأكابر والأعيان والخلفاء.
منهم: يزيد بن معاوية شهر بشربها، وكان يقال له: يزيد الخمور، روى هشام بن الكلبي عن
أبيه قال: وجه معاوية جيشاً إلى أرض الروم فأصابهم الجدري، وعند يزيد امرأته أم كلثوم
بنت عبد الله بن عامر فسكر وأنشأ يقول:

إذا ارتفقت علي الأنماط في غرف  بدير مران عندي أم كلثوم
فما أبالي الذي لاقت جيوشهم  بالغذقذونة منحمى ومن موم

فبلغ الخبر معاوية، فقال: أنت هاهنا! إلحق بهم، وسيره إلى قتال الروم.
ومنهم: عبد الملك بن مروان، وكان يسمى: حمامة المسجد، لاجتهاده في العبادة، هذا قبل
أن يلي الخلافة، فلما أفضت الخلافة إليه شرب، فقال له سعيد بن المسيب: بلغني يا أمير
المؤمنين، أنك شربت الطلاء، قال: إي والله والدماء.
ومنهم: يزيد بن عبد الملك بن مروان وهو صاحب حبابة وسلامة، وأخباره مشهورة.
ومنهم: ابنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذهب به الشراب كل مذهب حتى خلع وقتل،
وله في ذلك حكايات وأشعار. منها: أنه سمع بشراعة بن الزندبوذ الكوفي، وكان من أهل

البطالة المشهورين باللعب وإدمان الشراب، فاستدعاه بالكوفة إلى دمشق فحمل إليه فلما
دخل عليه قال له: يا شراعة ما أرسلت إليك لأسألك عن كتاب الله ولا سنة نبيه، قال: لو
سألتني عنهما لوجدتني فيهما حماراً، قال: وإنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوة، قال: أنا
دهقانها الخبير، ولقمانها الحكيم، وطبيبها الماهر، قال: فأخبرني عن الشراب قال: سل عما
بدا لك قال: ما تقول في الماء قال: لا بد منه، والحمار شريكي فيه. قال: فاللبن؟ قال: ما
رأيته إلا استحييت من طول ما أرضعتني أمي به، قال: فالسويق؟ قال: شراب الحزين
والمستعجل والمريض. قال: فشراب التمر؟ قال: سريع الامتلاء، سريع الانفشاش. قال:
فنبيذ الزبيب؟ قال: حاموا به على الشراب، قال: فالخمر؟ قال: تلك والله صديقة
روحي، قال: وأنت والله صديق روحي، قال: فأي المجالس أحسن؟ قال: ما شرب فيه
على وجه السماء: ومن شعر الوليد:

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتاً يساوي ما حييت عقالا
دعوا لي سلمى والنبيذ وقينة وكأساً، ألا حسبي بذلك مالا
أبا لملك أرجو أن أخلد فيكم ألا رب ملك قد أزيل فزالا

ومنهم: المأمون بن الرشيد وشهر بالشراب وله فيه أخبار، منها: أنه شرب هو ويحيى بن
أكثم القاضي وعبد الله بن طاهر، فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى، فأشار إلى
الساقي فأسكره، وكان بين أيديهم رزم من الورد والرياحين، فأمر المأمون فشق ليحيى لحد
من الورد والرياحين وصيروه فيه، وعمل بيتي شعر ودعا قينة فجلست عند رأس يحيى
وغنت بالشعر:

دعوته وهو حي لا حياة به مكفناً في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني فقلت خذ قال كفى لا تواتيني

فانتبه يحيى لرنة العود وصوت الجارية فقال:

يا سيدي وأمير الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني
إني غفلت عن الساقي فصيرني كما تراني سليب العقل والدين
فانظر لنفسك قاض إنني رجل ألراح يقتلني والروح يحييني

ومنهم: العباس بن علي بن عبد الله بن العباس وهو عم المنصور، كان يأخذ الكأس بيده

ويقول: أما العقل فتتلفين، وأما المروءة فتمحقين، وأما الدين فتفسدين، ويسكت ساعة ثم
يقول: وأما النفس فتسخين، وأما القلب فتشجعين، وأما الهم فتطردين، أفتراك مني تفلتين!
ثم يشربها.
ومنهم: بلال بن أبي بردة فضح بالشراب وفيه يقول يحيى بن نوفل الحميري:
وأما بلال فذاك الذي يميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب كمص الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطرباً ناعساً تخال من السكر فيه احولالا
ويمشي ضعيفاً كمشي النزيف تخال به حين يمشي شكالا
ومنهم: عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي قاضي الكوفة وفضح بمنادمة سعد بن هبار وفيه
يقول حارثة بن بدر:
نهاره في قضايا غير عادلة وليله في هوى سعد بن هبار
ومنهم: آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو الذي يقول:
هاك فاشرب يا خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة في ظل كرم سبيت من نهر نيل
في لسان المرء منها مثل لذع الزنجبيل
إنما أذهب مالي طول إدمان الشمول
وحنين العود تثني ه يدا ظبي كحيل
فالطوي العنق الأهيف كالسيف الصقيل
يا خليلي اسقياني واهتفا بالشمس زولي
قل لمن لامك فيها من نصيح أو عذول
يبق بين الباب والدا ر على نعب الطلول
وقيل لأبيه عبد العزيز بن عمر: إن بنيك يشربون الخمر، فقال: صفوهم لي، فقالوا: أما
فلان إذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه، فقال: سوف يدع هذا شربها، قالوا: وأما فلان
فإذا شربها تقيأ في ثيابه، قال: وهذا سوف يدعها، قالوا: وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما
يكون لا ينال أحداً بسوء، قال: هذا لا يدعها أبداً.
ومنهم: حارثة بن زيد العدواني - رجل من تميم - دخل يوماً على زياد ابن أبيه وبوجهه
أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر بوجهك؟ فقال: أصلح الله الأمير ركبت فرسي الأشقر
فجمح بي حتى صدمني الحائط، فقال: أما إنك لو ركبت فرسك الأشهب لم يصبك
مكروه. ولحارثة فيها أشعاراً كثيرة وأخبار مع الأحنف بن قيس، وكان الأحنف ينهاه

عنها وهو لا ينتهي ويجيبه بشعر في مدحها وقيل: إن حارثة هذا أدرك النبي صلى الله
عليه وسلم بالسن في حال صباه وحداثته.
ومنهم: والبة بن الحباب الأسدي وهو الذي ربى أبا نواس وأدبه وعلمه الفتوة وقول
الشعر. حكي أن المنصور قال له يوماً: ادخل إلى محمد - يعني المهدي - وحدثه، فدخل
عليه، فأول ما أنشده قوله:
قولا لعمرو لا تكن ناسياً وسقني لا تحبسن كاسيا
واردد على الهيثم مثل الذي هجت به ويحك وسواسيا
وقل لساقينا على خلوة أدن كذا رأسك من راسيا
فبلغ ذلك المنصور، فقال: لا تعيدوه إليه أردنا أن نصلحه فأراد هو أن يفسده.
ومنهم: أبو الهندي وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي اليربوعي، حج
به نصر بن سيار فلما ورد الحرم قال له نصر: إنك بفناء بيت الله الحرام ومحل حرمه فدع
الشراب، فلما زال عنه وضعه بين يديه وجعل يشرب ويبكي ويقول:
رضيع مدام فارق الراح روعه فظل عليها مستهل المدامع
أديرا على الكأس إني فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع
ومر به نصر بن سيار وهو يميل سكراً، فقال له: أفسدت شرفك، فقال: لو لم أفسد شرفي
لم تكن أنت اليوم والي خراسان.
ومنهم: سعيد بن وهب وكان شاعراً بصرياً.
ومنهم: الحسين بن الضحاك النديم صاحب الحسن بن هانئ وكان خليعاً ماجناً مليح
الشعر وهو الذي يقول:
ألا إنما الدنيا وصال حبيب وأخذك من مشمولة بنصيب
وعيشك بين المسمعات ممتعاً بفنين من عزف وشدو مصيب
وأنس وإنسان تلذ بقربه وبذلة معشوق ونوم رقيب
وعدى ساعات النهار ورقبتي إلى الشمس لما آذنت بمغيب
ومنهم: يحيى بن زياد وهو الذي يقول:
أعاذل ليت البحر خمر وليتني مدى الدهر حوت ساكن لجة البحر
فأضحى وأمسي لا أفارق لجة أروى بها عظمي وأشفي بها صدري
طوال الليالي، ليس عني بناضب ولا ناقص حتى أصير إلى الحشر

ومنهم: أبو نواس الحسن بن هانئ ممن اشتهر بالشراب واللهو والطرب ومنادمة القيان، وله
في الخمر تشبيهات حسنة وحكايات ظريفة، نذكر هاهنا من أخباره طرفاً:
حكي أن مسلم بن الوليد عاتبه وقال: يا أبا نواس، قد خلعت عذارك وأطلت الإكباب
على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء!
فأطرق ثم قال:

فأول شربك طرح الرداء وآخر شربك طرح الإزار
وما هنأتك الملاهي بمثل إماتة مجد وإحياء عار
وما جاد دهر بلذاته على من يضن بخلع العذار

فانصرف مسلم وقد أيس من فلاحه وهو يقول: جواب حاضر، من كهل فاجر. ومما يحفظ
من أخباره، ويروى من أشعاره في ذلك: أنه بلغ إخوانه عنه أنه ترك الشراب واللذات وأخذ
في الزهد والصلاة في أوقاتها فاجتمعوا إليه وأقبلوا يهنئونه، فوضع بين يديه باطية وجعل لا
يدخل إليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد:

قالوا نزعت ولما يعلموا وطري في كل أغيد ساجي الطرف مياس
كيف النزوع وقلبي قد تقسمه لحظ العيون وقرع لسن بالكاس
لا خير في العيش إلا في المجون مع ال أكفاء والراح والريحان والآس
ومسمع يتغنى والكئوس لها حث علينا بأخماس وأسداس
يا موري الزند قد أكبت قوادحه اقبس إذا شئت من قلبي بمقباس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

وحدث الفضل بن سلمة عن الثوري، قال: خرج الحسن بن هانئ ومعه مطيط صاحبه،
حتى أتيا دار خمار. فقال الحسن لمطيط: ادخل بنا نمزح بهذا الخمار. فدخلا فسلما فرد
عليهما. فقال له الحسن: أعندك خمر عتيقة يا خمار؟ فقال: عندي منها أجناس، فأيها
تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاع:

حجبت خيفة وصينت فجاءت كجلاء العروس بعد الصيان
وكأن الأكف تصبغ من ضو ء سناها بالورس والزعفران

فملأ له الخمار قدحاً من خمر صفراء، كأنها ذهب محلول، فشربه الحسن وقال: أحسن من
هذا أريد. فقال له الخمار: أي جنس تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

دفعتها أيدي الهواجر حتى صيرت جسمها كجسم الهواء
فهي كالنور في الإناء وكالنا ر إذا ما تصير في الأحشاء
فملأ له الخمار قدحاً من خمر كأنها العقيق. فشربه وقال: أرفع من هذا أريد. فقال: أي
جنس؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:
وإذا حسا منها الوضيع ثلاثة سمح الوضيع كفعل ذي القدر
في لون ماء الغيث إلا أنها بين الضلوع كواقد الجمر
فملأ له قدحاً من خمر بيضاء، كأنها ماء المزن. فشرب الحسن وقال للخمار: أتعرفني؟
قال: إي والله يا سيدي، أنا أعرف الناس بك. قال: من أنا؟ قال: أنت الذي يسكر من
غير وزن. فضحك الحسن وقال لمطيط: ادفع إليه ما بقي عندك من النفقة، فأعطاه مائة
درهم وانصرف.
وقال الحسين بن الضحاك: كنت مع أبي نواس بمكة عام حج، فسمع صبياً يقرأ " يكاد
البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ". فقال أبو
نواس: في مثل هذا يجيء للخمر صفة حسنة، ففكر ساعة ثم أنشدني:
وسيارة ضلت عن القصد بعد ما ترادفهم أفق من الليل مظلم
فأصغوا إلى صوت ونحن عصابة وفينا فتى من سكره يترنم
فلاحت لهم منا على النأي قهوة كأن سناها ضوء نار تضرم
إذا ما حسوناها أقاموا مكانهم وإن مزجت حثوا الركاب ويمموا
قال: فحدث بهذا الحديث محمد بن الحسين فقال: لا ولا كرامة، ما سرقه من القرآن ولكن
من قول الشاعر:
وليل بهيم كلما قلت غورت كواكبه عادت لنا لتذيل
به الركب إما أومض البرق يمموا وإن لم يلح فالقوم بالسير جهل
وقال أبو نواس فيها:
ألا دارها بالماء حتى تلينها فما تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى إذا ما مللتها أهنت لإكرام النديم مصونها
وقال أيضاً:
نبهته والليل ملتبس به وأزحت عنه حثاثه فانزاحا
قال ابغني المصباح، قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها عطلاً فألبسها المزاج وشاحا
شك البزال فؤادها فكأنها أبدت إليك بريحها تفاحا

وقال أيضاً:
رداً على الكأس، إنكما لا تدريان الكأس ما تجدي
خوفتماني الله جهدكما وكخيفتيه رجاؤه عندي
لا تعذلا في الراح إنكما في غفلة عن كنه ما تسدي
لو نلتما ما نلت ما مزجت إلا بدمعكما من الوجد
ما مثل نعماها إذا اشتملت إلا اشتمال فم على خد
إن كنتما لا تشربان معي خوف الإله شربتها وحدي
وأخبار الحسن بن هانئ فيها كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية.
ومنهم: الثرواني، كان شاعراً مطبوعاً بليغاً، من أهل الخلاعة المشهورين.
وكان آخر أمره أن أصيب في حانة خمار بين زقي خمر وهو ميت. وهو القائل فيها:
كر الشراب على نشوان مضطجع قد هب يشربها والديك لم يصح
والليل في عسكر حمر بوارقه من النجوم، وضوء الصبح لم يضح
والعيش لا عيش إلا أن تباكرها نشوان تقتل هم النفس بالفرح
حتى يظل الذي قد بات يشربها ولا مراح به يختال كالمرح
ومنهم: مطيع بن إياس. وكان شاعراً أديباً ظريفاً مشتهراً بالخلاعة واللعب. وكان
أصحابه على ذلك، وهم يحيى بن زياد، ووالبة بن الحباب، وحماد عجرد.
ومنهم: أبو عبد الرحمن العطوي. كان شاعراً فصيحاً، لا يكاد يتقدمه أحد لجزالة ألفاظه
وحلاوة معاني. وكان مولعاً بالخمر مشتهراً بها مدمناً عليها، أكثر أشعاره فيها. فمن
شعره:
أخطب لكأسك ندماناً تسر به أولا فنادم عليها حكمة الكتب
أخطبه حراً كريماً ذا محافظة ترى مودته من أقرب النسب
وقال أيضاً:
وكم قالوا تمن، فقلت كأساً يطوف بها قضيب في كثيب
وندماناً يساقطني حديثاً كصدق الوعد أو غض الرقيب
ومنهم: أبو هفان. وكان شاعراً محسناً، وخليعاً ماجناً. حكى أنه شرب مع أحمد بن
أبي طاهر حتى فنى ما عندهما، وكانا بجوار العلاء بن أيوب. فقال ابن أبي طاهر لأبي
هفان: تماوت حتى نحتال على أبي العلاء في أن ينيلنا شيئاً. فمضى إليه ابن أبي طاهر
فقال: أصلحك الله! نزلنا جوارك فوجب حقنا عليك، وقد مات أبو هفان وليس له كفن.

فقال لوكيله: امض معه وشاهد أمره وادفع إليه كفناً. فأتاه فوجده ملقى عليه ثوب فنقر
أنفه فضرط. فقال: ما هذا؟ فقال: أصلحك الله عجلت له صعقة القبر فإنه مات وعليه
دين، فضحك وأمر له بدنانير.
ومنهم: الأقيشر. وكان مغرماً بالشراب مدمناً عليه. وهو القائل:
ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا
كميت كأن العنبر الورد ريحه ومسحوق هندي من المسك أذفرا
ومنهم: النعمان بن علي بن نضلة. وكان عاملاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على
ميسان، وكان مدمن الشراب. وهو القائل:
ألا أبلغ الحسناء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم
فإن كنت ندماني فبالأكبر سقني ولا تسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم
فبلغ الشعر عمر رضي الله عنه.
فكتب إليه: " بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير " أما بعد، فقد بلغني
قولك:
لعل أمير المؤمنين يسوءه تنادمنا بالجوسق المتهدم
وأيم الله لقد ساءني! وعزله. فلما قدم عليه سأله، فقال: والله ما كان من هذا شيء،
وما كان إلا فضل شعر وجدته وما شربتها قط. فقال عمر: أظن ذلك، ولكن لا تعمل لي
عملاً أبداً. فنزل البصرة، ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات رحمه الله.
ومنهم: عمارة بن الوليد بن المغيرة. خطب امرأة من قومه، فقالت: لا أتزوجك حتى تدع
الخمر والزنا. فقال: أما الزنا فإني أدعه، وأما الخمر فوجدي بها شديد. ثم اشتد وجده
بالمرأة فعاود طلبها، فقالت: حتى يحلف بطلاقي يوم يزني أو يشرب خمراً، فحلف لها
وتزوجها. ومكث حيناً لا يشرب، إلى أن مر بخمار وعنده قوم يشربون وقينة تغنيهم وهو
على ناقة، فطرب إليهم وارتاح ورمى بثيابه إلى الخمار، وقال: أسقهم بها، ونحر لهم ناقته،

ومكث أياماً يطعمهم ويسقيهم حتى أنفد ما معه. ثم رجع إلى امرأته، فلامته، فأنشأ يقول:

أقلي علي اللوم يا أم سالم وكفى فإن العيش ليس بدائم
أسرك لما صرع القوم نشوة خروجي منهم سالماً غير غارم
سليماً كأني لم أكن كنت منهم وليس الخداع من تصافى التنادم

ثم قال لها: الحقي بأهلك، وعاد إلى ما كان عليه.

وأما من افتخر بشربها وسبائها، فقد كانت العرب تفتخر بسبائها، وتضيفه إلى عظيم غنائها، وتقرنه بمذكور بلائها. وشاهد ذلك قول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجفال

فقرن دوده في سباء الزق ببسالته في كر الخيل. ولما أنشد أبو الطيب المتنبي سيف الدولة بن حمدان قصيدته التي يقول فيها:

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

فقال له سيف الدولة: انتقدنا عليك يا أبا الطيب هذين البيتين كما انتقد على امرئ القيس بيتاه، وذكرهما، قال: وبيتاك لا يلتئم شطراهما كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين: كان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وأن تقول أنت:

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال: أيد الله مولانا! إن كان صح أن الذي استدرك على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا، والثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفاريقه، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية. وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد، وقرن السماحة في سباء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء، وأنا لم ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكرى الردى وهو الموت ليجانسه. ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً وعينه باكية قلت:

ووجهك وضاح وثغرك باسم
لأجمع بين الأضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها.
فأعجب سيف الدولة بقوله
ووصله.
وقال لقيط بن زرارة:
شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان
وقال حسان بن ثابت الأنصاري عفا الله عنه ورحمه:
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهها اللقاء
حكي أن حسان بن ثابت عنف جماعة من الفتيان على شرب الخمر وسوء تنادمهم
عليها وأنهم يضربون عليها ضرب الإبل ولا يرجعون عنها أبداً، فقالوا: إنا إذا هممنا بالإقلاع
عنها ذكرنا قولك:
ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهها اللقاء
فعاودناها.
وقال الأخطل يخاطب عبد الملك بن مروان:
إذا ما نديمي علني ثم علني ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كأنني عليك أمير المؤمنين أمير
وقال آخر:
شربنا من الداذي حتى كأننا ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا تولى الغني عنا وعاودنا الفقر
ومثله للمنخل اليشكري:
فإذا سكرت فإنني رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير
وقال عنترة:
وإذا سكرت فإنني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي
أخذه البحتري وزاد عليه في قوله:
وما زالت خلا للندامى إذا انتشوا وراحوا بدوراً يستحثون أنجما
تكرمت من قبل الكئوس عليهم فما اسطعن أن يحدثن فيك تكرما
والزيادة أن عنترة ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحتري ذكر أن ممدوحه يتكرم قبل
الكئوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكئوس أن تزيده تكرما.
وكان الأعشى ميمون بن قيس مشهوراً بتعاطي الخمر مشغوفاً بها كثير الذكر لها في
شعره. ومن اشتهاره بها قال المفضل بين قدماء الشعراء: أشعرهم امرؤ القيس إذا ركب،

والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب. وقصد الأعشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليسلم وامتدحه بقصيدته التي أولها:
ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا
فاعترضه في طريقه من أراد منعه، فقالوا له: إنه يحرم عليك الزنا والخمر. فقال: أما الزنا
فقد كبرت فلا حاجة لي فيه، وأما الخمر فلا أستطيع تركها.
وعاد لينظر في أمره، وقيل: إنه
قال: أعود فأشربها سنة وأرجع، فمات قبل الحول.
قالوا: ونظر الحسن بن وهب إلى رجل يعبس في كأسه، فقال: ما أنصفتها، تضحك في
وجهك وتعبس في وجهها. ومن ذلك قول الشريف الرضي:
كالخمر يعبس حاسيها على مقة والكأس تجلو عليه ثغر مبتسم
وهو مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز حيث يقول:
ما أنصف الندمان كأس مدامة ضحكت إليه فشمها بتعبس
مما قيل فيها من جيد الشعر
قد أوسع الشعراء في هذا المغنى وأطنبوا فيه وتنوعوا. فمنهم من مدحها ومنهم من
وصفها وشبهها، ومنهم من ذكر أفعالها وتغزل فيها. وسنورد في هذا الموضع نبذة مما
طالعناه في ذلك، إذ لو أوردنا مجموع ما وقفنا عليه لطال، ولاتسعت فيه دائرة المقال.
فأما ما قيل فيها على سبيل المدح لها، فمن ذلك قول ابن الرومي حيث يقول:
تالله ما أدري بأية علة يدعون هذا الراح باسم الراح؟
ألريحها ولروحها تحت الحشا أم لارتياح نديمها المرتاح؟
إن حرمت فبحقها من خمرة ما كان مثل حريمها بمباح
أو حللت فبحقها من نشوة تشفي سقام قلوبنا بصحاح
وقال أيضاً:
خمر إذا ما نديمي ظل يكرعها أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو رام يحلف أن الشمس ما غربت في فيه كذبه في وجهه الشفق
ومثله قول الطليق المرواني:
فإذا ما غربت في فمه أطلعت في الخد منه شفقا
وقال الناجم:
وقهوة كشعاع الشمس صافية مثل السراب ترى من رقة شبحا
إذا تعاطيتها لم تدر من فرح راحاً بلا قدح أعطيت أم قدحا؟
وقال الناشي:
يا ربما كأس تناولتها تسحب ذيلاً من تلاليها
كأنها النار ولكنها منعم والله صاليها

**ومما قيل في وصفها وتشبيهها، فمن ذلك ما قاله يزيد بن معاوية:**

**ومدامة حمراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء**
**فالخمر شمس والحباب كواكب والكف قطب والإناء سماء**

**وقال السروي:**

**عنيت بالمدامة الشعراء وصفوها وذاك عندي عناء**
**كيف تحصيل علمها وهي موت وحياة وعلة وشفاء**
**فهي في باطن الجوانح نار وهي في ظاهر المحاجر ماء**
**حلوة مرة فما أحد يد ري أداء خصوصها أم دواء**

**وقال البحتري:**

**اشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء**
**من قهوة تنسى الهموم وتبعث ال شوق الذي قد ضل في الأحشاء**
**يخفى الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء**
**ولها نسيم كالرياض تنفست في أوجه الأرواح والأنداء**
**وفواقع مثل الدموع ترددت في صحن خد الكاعب الحسناء**
**يسقيكها رشأ يكاد يردها سكرى بفترة مقلة حوراء**
**يسعى بها وبمثلها من طرفه عوداً وإبداءً على الندماء**

**وقال الوأواء الدمشقي:**

**فامزج بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدماء**
**واشرب على زهر الرياض مدامة تنفي الهموم بعاجل السراء**
**لطفت فصارت من لطيف محلها تجري كجري الروح في الأعضاء**
**وكأن مخنفة عليها جوهر ما بين نار أذكيته وهواء**
**وكأنها وكأن حامل كأسها إذ قام يجلوها علىالندماء**
**شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء**

**وقال أبو نواس:**

**أقول لما تحاكيا شبها أيهما للتشابه الذهب**
**هما سواء وفرق بينهما أنهما جامد ومنسكب**

**وله أيضاً:**

**إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا**
**ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغربا**
**يدور بها ساق أغن ترى له على مستدار الأذن صدغاً معقربا**
**سقاهم ومناني بعينيه منية فكانت إلى نفسي ألذ وأطيبا**

**ومثل البيت الأول قول ابن المعتز:**

**كأنه قائم والكأس في يده هلال أول شهر غاب في شفق**

**وقال ابن الرومي:**

**ومهفهف تمت محاسنه حتى تجاوز منتهى النفس**

أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس
فكأنه والكأس في فمه قمر يقبل عارض الشمس
وقال الحسين بن الضحاك:
كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك
وقال آخر:
واكتست من فضة درراً خلتها من تحتها ذهبا
ككميت اللون قلدها فارس من لؤلؤ حببا
وقال آخر:
تغشى بياض شاربها فتخالها بيمين مختضب
دارت وعين الشمس غائبة فحسبت عين الشمس لم تغب
وقال آخر:
حمراء ورديةٍ مشعشعة كأنها في إنائها لهب
صهباء صرفاً لو مستها حجر من جامد الصخر مسه طرب
وقال آخر:
قلت والراح في أكف الندامى كنجوم تلوح في أبراج
أمداماً خرطتم لمدام أم زجاجاً سبكتم لزجاج
وقال الحسن بن وهب:
وقهوة صافية كالمسك لما نفحا
شربت من دنانها من كل دن قدحا
فعدت لا تحملني أعواد سرجي مرحا
من شدة السكر الذي على فؤادي طفحا
وقال ابن المعتز:
خليلي قد طاب الشراب المبرد وقد عدت بعد النسك والعود أحمد
فهات عقاراً من قميص زجاجة كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة له حلق بيض تحل وتعقد
وقال التنوخي:
وراح من الشمس مخلوقة بدت في قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن وماء ولكنه غير جاري
إذا ما تأملته وهي فيه تأملت ماء محيطاً بنار
فهذا النهاية في الابيضاض وهذا النهاية في الاحمرار
وما كان في الحكم أن يوجدا لفرط تنافيهما والنفار
ولكن تجاور سطحاهما ال بسيطان فأتلفا بالحوار
كأن المدير لها باليمين إذا مال بالسقي أو باليسار
تدرع ثوباً من الياسمين له فرد كم من الجلنار
وقال ابن وكيع التنيسي:
حملت كفه إلى شفتيه كأسه والظلام مرخى الإزار
فالتقى لؤلؤاً حباب وثغر وعقيقان من فم وعقار
وقال آخر:
ثم فاسقني قد تبلج الغسق من قهوة في الزجاج تأتلق
كأننا والكئوس نأخذها نشرب ناراً وليس نحترق
وقال أبو نواس:

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الجزاء الثمينا
من سلاف كأنها كل شيء يتمنى مخير أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها وتبقى لنا بها المكنونا
فإذا ما اجتليتها فهباء تمنع الكف ما تبيح العيونا
ثم شجت فاستضحكت عن لآل تمنع الكف ما تبيح العيونا
في كئوس كأنهن نجوم جاريات، بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا فإذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد قلت قوم من قرة يصطلونا

وقال ابن المعتز:

وخمارة من بنات المجوس ترى الدن في بيتها شائلا
وزنا لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلا

وأما ما قيل في أفعالها، فمن ذلك قول أبي تمام الطائي:

وكأس كمعسول الأماني شربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلي
إذا عوتبت بالماء كان اعتذارها لهيباً كوقع النار في الحطب الجزل
إذا اليد نالتها بوتر توفرت على ضغنها ثم استقادت من الرجل

ومثله قول ديك الجن واسمه عبد السلام:

فقام تكاد الكأس تخضب كفه وتحسبه من وجنتيه استعارها
مشعشعة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
فظللنا بأيدينا نتعتع روحها وتأخذ من أقدامنا الراح ثارها

وقريب من المعنى الأول قول أبي بكر الخالدي:

كانت لها أرجل الأعلاج واترة بالدوس فانتصفت من أرؤس العرب

أخذ هذا المعنى أبو غالب الإصباعي الكاتب فقال:

عقرتهم معقورة لو سالمت شرابها ما سميت بعقار
لانت لهم حتى انتشوا وتمكنت منهم فصاحت فيهم بالثار
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت صرعى تداس بأرجل العصار